



عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

الصهيونية المسيحية وخلفياتها العقديّة تجاه مدينة القدس

دلال محمد طالب التميمي

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1446هـ - 2024م

الصهيونية المسيحية وخلفياتها العقديّة تجاه مدينة القدس

إعداد:

دلال محمد طالب التميمي

بكالوريوس تربية إسلامية من جامعة القدس المفتوحة / فلسطين

المشرف: د. محمد الديك

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج

أصول الدين - كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة القدس

1446هـ/2024م



جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
برنامج أصول الدين




إجازة الرسالة

الصهيونية المسيحية وخلفياتها العقدية تجاه مدينة القدس

اسم الطالبة: دلال محمد طالب التيمي
الرقم الجامعي: 21510095

المشرف: د. محمد الديك

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 31 / 8 / 2024 من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

1. رئيس لجنة المناقشة: د. محمد الديك
التوقيع: 
2. ممتحنًا داخليًا: د. حاتم جلال التيمي
التوقيع: 
3. ممتحنًا خارجيًا: د. إيمان متعب عياش
التوقيع: 

القدس - فلسطين

1446هـ - 2024

الإهداء :

إلى حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته وأتباعه ومن سار على سنته إلى يوم الدين.

إلى روح والدي أول مجاهد أبصرته عيناى ووعاه قلبي.

إلى روح والدي معلمتي الأولى رزقهما الله عليين مع الأنبياء والشهداء والصديقين

إلى أرواح أخوي الشهداء محمود وطالب.. وإلى أرواح الشهداء الذين مضوا على طريق تحرير فلسطين الطاهرة....

وإلى زوجي رفيق دربي.. وإلى ابني جميل الأول الذي يرافق سيدنا إبراهيم عليه السلام ...

وإلى أولادي.. هند مهجة قلبي وأم أمها... ويزن الذي اختزل الحب به وفيه.. الاستثناء بين رجال زمانه .. وهيا الروح أميرة قريناتها.. وجميل الجديد بلسمي وهبة ربي لي.. وعبد الرحمن سلواى وسيد رفقاء روعي...

وإلى أختي الأعلى ما بقي لي من رائحة أمي وأبي وعائلتها الكريمة.....

إلى أحفادي أوس وماريا أحبة العين والقلب.. والمستقبل الذي يحمل البشريات...

وإلى جميع ذرية أبي حبيبي...

جميعكم أهدىكم ثمرة جهدي هذا...

الباحثة

دلال التميمي

إقرار

أقر أنا معدة هذه الرسالة أنّها قدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنّها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تم الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أية درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع.....


الاسم: دلال محمد طالب التميمي.

التاريخ: 31 / 8 / 2024م.

شكر وتقدير:

الشكر لله سبحانه أولاً أن منّ عليّ بحوله وقوته إتمام هذا البحث العلمي وأسأله سبحانه أن يكون نافعاً ويتقبل كلّ حرف فيه خالصاً لوجهه الكريم وفي سبيله. كما وأتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الدكتور المشرف محمد الديك رفع الله قدره بين الأنام ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين.

كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى اللجنة المشرفة على مناقشة هذه الرسالة الدكتور الفاضل حاتم جلال والدكتورة الفاضلة إيمان متعب عياش.

وأتقدم بالشكر إلى جامعة القدس العزيزة التي ضمنتني إلى مسيرتها العلمية وإلى رئيسها الفاضل وإلى هيئاتها الإدارية والأكاديمية وأخص بالشكر الدكتور عميد كلية الدراسات العليا دتمم جميعكم نبراساً يُستضاء بكم لخير هذه الأمة.

الباحثة

دلال التميمي

المخلص

تناولت هذه الدراسة كشف النتائج الكارثية التي حلت بفلسطين وشعبها ومدينة القدس بعد الهجمة الإمبريالية للمسيحية الصهيونية عليهما، وما نتج عنها من خلق لمشروعها الإحلالي الاستيطاني المسمى دولة إسرائيل، وما عانى بسببه الشعب العربي الفلسطيني من قتل وتدمير وتهجير لمدنه وقراه، وما يعانیه المقدسيون حتى اللحظة، ليصبح قدرهم بين شرّين لا ثالث لهما وهما: إمّا التهجير وإمّا البقاء في المدينة عبر الحصول على الجنسية الإسرائيلية.

من أجل تحقيق أهداف الدراسة تمّ استخدام المنهج التحليلي الوصفي والمنهج التاريخي والمنهج التحليلي الاستنباطي، وتوصلت الباحثة في هذه الدراسة إلى فساد عقيدة أرض الميعاد وعقيدة الماشيح أو المسيا المنتظر لدى اليهود وعقيدة المسيح المنتظر لدى المسيحية الصهيونية نتيجة علمية لوقوع التحريف في الكتاب المقدس، كما أسهمت عمليات الأركيولوجيا الحديثة وما تمّ من كشوفات أدبية وكتابية وعينية من الحضارات القديمة كالكنعانية والآشورية والبابلية والمصرية عن زيف نبوءات التوراة عن أرض الميعاد والشعب المختار والمسيح المنتظر، وتبين ثبات بطلان الكتاب المقدس بعهديه التوراة وما يسمى الأسفار المقدسة والأنجيل تاريخياً، لتُقام الحُجّة الدامغة متماهية مع ما قال به القرآن العظيم من أنّ أصحاب هذه الكتب ليسوا هم أتباع موسى عليه السلام ولا عيسى عليه السلام، كما أشارت النتائج إلى عين نصوص التوراة اليهودية، فهي المنهج العقدي للمسيحية الصهيونية والتي تطبقها اليوم على أرض فلسطين وبحذافيرها منذ أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين على الجغرافية والإنسان.

وبناءً عليه فإن من أهم ما تهدف إليه الدراسة هو التعرف على غايات الهجمة الاستعمارية الإمبريالية للصهيونية المسيحية على فلسطين وكشف حقيقة ما يسمى دولة إسرائيل، كونها في الأساس مشروع غربي، وتعزية الدور لهذا المشروع المكلف به من الصهيونية المسيحية الغربية في المشرق العربي الإسلامي، وما أعقب من نتائج على المنطقة العربية بعامّة، وعلى مدينة القدس بخاصة.

Christian Zionism and Its Doctrinal Background Regarding the City of Jerusalem

Prepared by: Dalal Mohamad Taleb Al-Tamimi

Supervisor: Dr. Mohamad Al-Deek

Abstract

This study dealt with exposing the imperialist attack of Christian Zionism on Palestine in general and on the city of Jerusalem in particular from all its aspects, which resulted in the creation of its colonial settlement project called the State of Israel and what the people of Jerusalem suffer, so that their fate becomes between two evils with no third: either displacement or remaining in the city by obtaining Israeli citizenship. In order to achieve the goal of the study, the descriptive analytical method, the historical method, and the deductive analytical method were used. In this study.

The researcher reached the corruption of the doctrine of the Promised Land and the doctrine of the Messiah or the awaited Messiah among the Jews and the doctrine of the awaited Messiah among Christian Zionism as a scientific result of the distortion of the Holy Book. Modern archaeological processes and the literary, written, and visual discoveries from ancient civilizations such as the Canaanite, Assyrian, Babylonian, and Egyptian civilizations contributed to the falsity of the prophecies of the Torah about the Promised Land, the Chosen People, and the awaited Messiah, and demonstrated the historical invalidity of the Holy Book in its two covenants, the Torah and what is called the historical holy books and the Gospels. The great Quran reinforced the trend that the owners of these books are not the followers of Moses, peace be upon him, nor Jesus, peace be upon him, as the results indicated that the texts of the Jewish Torah are the doctrinal approach of Zionist Christianity, which is being applied today on the land of Palestine in its entirety since the late nineteenth century, the twentieth century, and the beginning of the twenty-first century on geography and humanity. Accordingly,

the most important thing that the researcher recommends is the speed of Arab and Islamic action at all levels to save the Holy City from the clutches of Judaization, and to work to stop the farce of peace talks and the ridiculous agreements that follow them imposed by the sponsoring countries led by America, which were put in place in order to gain time to change the reality in the city of Jerusalem towards Judaizing and Israelizing it, and to change the curricula imposed by the enemy state on the rising generations in the Holy City and Palestine as a whole, which prepares the youth psychologically to welcome the State of Israel and seek peace with it and sever their connection to their faith and erase their identity and cancel their Arabism as Israeli citizens.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين كما ينبغي له الحمد في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الرسل رسول الله وسيد الأولين وآخرين وبعد:

تناولت هذه الدراسة الأسس العقديّة للشريعتين اليهودية والمسيحية التي جاءت في الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث (التوراة والإنجيل)، وهذا دفع الباحثة للحديث عن التأسيس العقدي لكليهما، فهو المنهل الذي استقت منه الصهيونية المسيحية عقائدها، ليتم احتلال فلسطين واقعًا عمليًا والاستيلاء على القدس بالقوة العسكرية المسلّحة عبر السياسة الخارجية للاستعمار البريطاني أولاً، وللولايات المتحدة ثانياً، اللتين تتراسان التوجه المسيحي المتصهين في الغرب المسيحي واللّتين تسيطران مع دول الغرب الأوروبي على المجالس والهيئات والمنظمات الدولية وقراراتها بشأن إدارة دقّة السياسة العالمية وبخاصة في فلسطين.

دأبت الحركة الصهيونية المسيحية الغربية في فلسطين من خلال مشروعها الذي يُعرف بدولة "إسرائيل" على اختلاق عمق تاريخي لها، من خلال مخيلتها الاستعمارية التي اعتمدت في هذا على النصوص والرؤى التوراتية، فسيطرت على أدوات مشروعها فكريًا وعمليًا من خلال المنظومة القضائية والقانونية ومؤسسات السياسة الداخلية والخارجية والمؤسسة العسكرية، والمؤسسات العلمية كالجامعات والمعاهد البحثية التي خططت وتخطط للخرائط الهيكلية في القدس وحولها، أو التي تخطط لإقامة مدن حديثة في فلسطين التاريخية، عبر الرسم اللاهوتي التوراتي، والتي واطبت على إنشاء متاحف لها فشلت حقًا في محاولتها إظهار العمق التاريخي لذلك المشروع، سيّما وأنّ تضاريس الأرض تشي بحقيقة جذورها العربية الضاربة في أعماق التاريخ، فالأرض وما عليها من مدن وحواضر تغوص عميقًا عبر التاريخ والتأريخ، بينما تستمر المسيحية الصهيونية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية التي تدعم مشروعها الغربي في فلسطين، واستمراراً على طريق الأم بريطانيا في عملية محاولة إسقاط تاريخها المزيف في الكتاب المقدس بعهديه على القدس، من خلال إتباعها لفرض سياسة تهويد وأسرة جليلة لجميع أوجه الحياة فيها، تحتذي بذلك بما فعلته في الشطر الغربي من القدس عندما أقدمت على تطبيق سياسة تهويد ممنهجة للبشر والحجر والشجر مثلت وجه الاستعمار الحقيقي أبرز أهدافها، القضاء على الملامح العربية الإسلامية للشطر الشرقي تمامًا كما فعلت في الشطر الغربي من خلال الاستيلاء على العقارات، وهدم البيوت وتغيير ديمغرافي ممنهج

بتهجير المقدسين، وتوطين المستوطنين المستجلبين من أصقاع الأرض كافة، وسحب للهويات، وتهويد للعملية التربوية حاضنة الأجيال القادمة، وتدمير كامل للاقتصاد داخل المدينة، وتفتيت للحياة الاجتماعية بإنشاء الجدار العازل، لعزل المقدسين عن ذويهم في المدن الفلسطينية.

أهمية الدراسة:

تتركز أهمية الدراسة في كيفية التصدي المعرفي والعلمي الرصين، وعدم القنوط أمام هذا الزحف الصهيوني الصليبي اليهودي الجديد على فلسطين وشعبها ومقدساتها، وتدعو أيضاً إلى إنعام النظر والتفكر في قضية خذلان العرب والمسلمين شعوباً وساسة للمقدسين والفلسطينيين.

أسباب اختيار الموضوع:

- 1- الحفاظ على الوجه العربي الإسلامي لمدينة القدس وكشف ما يمارسه الاحتلال ضد أهلها ومقدساتها بالوسائل الاستعمارية كافة.
- 2- شدّ انتباه الباحثين من الأجيال القادمة إلى أهمية التثبت من المصادر التاريخية القديمة العربية والغربية، والأخيرة بشكل خاص، التي تتناول موضوعاتها الأرض المقدسة - فلسطين والقدس - بسبب أنّ مرجعيتها الأولى في ذلك الكتاب المقدس لدى اليهود، وهو التوراة.
- 3- عدم الاكتفاء بالعلوم النظرية لإثبات عروبة فلسطين والقدس، والأخذ بنتائج التنقيبات الأثرية وعلم الأركيولوجيا⁽¹⁾، الحديث لإثبات بطلان النصوص التوراتية التي اعتُبرت المصدر التاريخي الأول منذ زمن طويل.

أهداف الدراسة :

- 1- التعرف على أهداف الهجمة الاستعمارية للمسيحية الصهيونية على فلسطين من جوانبها كافة.
- 2- توضيح ما نتج عنها بخلق مشروعها الاستعماري الإحلالي في فلسطين وإنشائها دولة إسرائيل.

(1) الأركيولوجيا: أحد فروع علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، وهو العلم الذي يكشف ويبحث في مخلفات الإنسان القديم وآثاره وما رشح عنها من نتائج تقيد في معرفة النظم التي كان يسير عليها.

3- التعريف بدور هذا المشروع ووظيفته في المشرق العربي الإسلامي الذي اضطلع به من المسيحية الصهيونية، التي تمثلها الدول الغربية بقيادة بريطانيا سابقاً، والولايات المتحدة الأمريكية حالياً.

4- توضيح نتائج قيام هذا المشروع على فلسطين بعامة، والمدينة المقدسة بخاصة وما يعانيه المقدسيون في يومنا هذا، ليصبح قدرهم بين شرّين لا ثالث لهما وهما: إما التهجير، وإما البقاء في المدينة عبر الحصول على الجنسية الإسرائيلية.

مشكلة الدراسة:

التعرض للفجوات التاريخية بخصوص عروبة فلسطين ومدينة القدس والتي كان سببها الاعتماد على التوراة مرجعية تاريخية وحيدة لدى أغلب الباحثين، في الدراسات التي تشير إلى الموضوع، وبذلك كان طرحي لأسئلة البحث وهي:

- 1- ما هي أسس ومصادر عقائد المسيحية الصهيونية؟
- 2- ما معنى مصطلح الصهيونية ولماذا ارتبطت بالمسيحية؟
- 3- لماذا اعتمد الباحث العرب والمسلمون على المصدر التوراتي مصدراً أولياً بخصوص تاريخ فلسطين والقذ ؟
- 4- كيف تم التعامل من الجهات الرسمية السياسية والعلمية العربية مع إسرائيل على أنها دولة احتلال مع غض النظر عن أنها دولة دينية يهودية قامت وفق نبوءات توراتية ؟.

منهج البحث:

جمعت الباحثة بين كل من المنهج التحليلي الوصفي، وبه تم وصف ظاهرة الصهيونية المسيحية وصفاً دقيقاً، مع تحليل واقعها ودراسة أبعادها بالتعبير الكيفي الذي وضح خصائصها للتوصل إلى ما أثمرت به من نتائج على الأرض، في فلسطين عامة والقدس خاصة، بمساندة المنهج التاريخي الذي تم به الوصول إلى الحقائق بعد قراءة الباحثة للأحداث التاريخية بما فيها من معلومات وبيانات تمّ تدوينها من أهل الاختصاص فيما مضى، وتنقيحها ونقدها بحياد وموضوعية، بهدف التأكد من

موثوقيتها العلمية، ثم أعادت الباحثة بلورتها في نتائج موثقة بقرائن وبراهين نظرية وأثرية، وصولاً لاستنباط الحقائق التي تجيب على مشكلة الدراسة من خلال المنهج التحليلي الاستنباطي.

الدراسات السابقة:

بعد البحث المستفيض للباحثة خلال مؤلفات ودراسات علمية وأبحاث جامعية وحسب اطلاع الباحثة لم يتوفر أي كتاب أو رسالة علمية يحمل عنوان مشابهة لهذه الدراسة، وما تبين أنه توجد أبحاث تشبه موضوع البحث أو قريبة منه ومنها:

1- الصهيونية المسيحية 1891-1948⁽¹⁾ - وفيه يعرض المؤلف أبرز الجوانب العقيدية التي تبناها الغرب البروتستانتية لاغتصاب فلسطين بهدف تحويلها إلى مشروع امبريالي مستعمرة يهودية تخدم أهدافه في منطقة المشرق العربي الإسلامي وهو ما اتفقت الباحثة بشأنه مع المؤلف بعد الكشف عن أهداف الصهيونية المسيحية في فلسطين.

2- مستشرقون في علم الآثار كيف كتبوا الألواح وقرأوا التاريخ⁽²⁾ ، وبين فيه الكاتب مقدار الزيف في قراءة الآثاريات الذي بُني وفق النص التوراتي، وما كان لذلك من آثار على تاريخ المشرق العربي، بعد أن تم حصره في المرويات التوراتية فيما أُطلق عليه "علم الآثار التوراتي"، وهو ما دعت الباحثة إلى التحقق المستفيض قبل اعتماده لدراسة تاريخ فلسطين، وهي بذلك تماهت مع الطرح الذي يكشف تزوير التاريخ في النصوص التوراتية.

3- يسوع في التلمود المسيحية المبكرة في التفكير اليهودي الحاخامي⁽³⁾ ، وفيه يتناول المؤلف قضية الاستدلال على حقيقة الوجود التاريخي للمسيح من أدبيات الحاخامات أو من الأدب الحاخامي على اعتبار أنه مصدر غير مسيحي، بينما كشفت الباحثة عن حقيقة عيسى عليه السلام كما جاءت في القرآن الكريم مع إبراز قضية تكفير اليهود لعيسى ونبوته عليه السلام أيضاً.

(1) انظر: بول مركلي، الصهيونية المسيحية، ط4، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق 2004.

(2) انظر: محمد الأسعد، مستشرقون في علم الآثار كيف كتبوا الألواح وقرأوا التاريخ، ط1، دار مسعى والدار العربية للعلوم، بيروت 2010.

(3) انظر: بيتر شيفر، يسوع في التلمود المسيحية المبكرة في التفكير اليهودي الحاخامي، ط1، ترجمة نبيل فياض /المركز الاكاديمي للأبحاث، إصدارات جامعة برنستون، 2007، بيروت 2016.

4- البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي⁽¹⁾ ، وتحدث فيه الكاتب عن تأثير الاتجاه الديني في أمريكا بشأن مواقفها السياسية في تناول قضية الصراع العربي الإسرائيلي، الأمر الذي أكملته الباحثة ضمن الكشف عن توجهات الولايات المتحدة الأمريكية من خلال قيادتها للتوجه الصهيوني المسيحي برمته.

هيكلية الرسالة:

وتتكون من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة بالشكل الآتي:

الفصل الأول: النصرانية: لمحات من التاريخ والعقيدة، نصرانية عيسى كيف تحوّلت إلى مسيحية بولس.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف النصرانية لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: مختصر الجذور والنشأة.

المبحث الثالث: من أهم المرتكزات التي تقوم عليها النصرانية الكتاب المقدس بعهديه.

المبحث الرابع: إسرائيل مشروع صهيوي- صليبي مسيحي غربي استمدت شرعيتها من الكنيسة البروتستانتية التي تُجسّد عقائد المسيحية الصهيونية.

الفصل الثاني: الصهيونية : موجز لتجذر المسيحية الصهيونية في التاريخ الأمريكي.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الصهيونية لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: المسيحية الصهيونية لمحة تاريخية.

المبحث الثالث: الحرب العالمية الأولى : انتصار الحلفاء وبزوغ نجم الولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل الثالث: من مملكة بيت المقدس الصليبية إلى أورشليم اليهودية: عقيدة الصهيونية المسيحية تستولي مجدداً على القدس.

(1) انظر: يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، دراسة في الحركة

الأصولية الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1990.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القدس مقومات حضارية جغرافية وتاريخية ودينية وسياسية.

المبحث الثاني: القدس 1948-2024 تكريس الاستيطان والتغيير الديمغرافي ونهب للمقدسات وتزوير للتاريخ.

المبحث الثالث : التأثيرات السلبية لدولة الاحتلال على مدينة القدس رغم اتفاقيات السلام والمفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي.

الفصل الأول

النصرانية: لمحات من التاريخ والعقيدة: نصرانية عيسى كيف تحوّلت إلى مسيحية بولس تاريخاً وعقيدة.

تمهيد:

لعل من أرقى ما عرفته البشرية من تسامح جاء في تشريعات الدين الإسلامي، وما يرتبط في تلك التشريعات من حقائق عقديّة جعلت من طبيعة الإيمان بالرسائل السابقة للإسلام وأنبياءها من أركان الإيمان التي يُبنى عليه صدق إيمان المسلم بما نُزّلَ على محمد -صلى الله عليه وسلم- ولهذا فإنّ الإيمان بعيسى عليه السلام رسولاً وبالنصرانية شريعةً كان مسلماً به عند المسلمين، بل عُدّ الإيمان بالرسول وشرائعهم السابقة لرسالة الإسلام الركن الثالث من أركان الإيمان التي لا يكتمل إسلام المسلم الصحيح إلا بها، فالقرآن قال بنبوّة عيسى عليه السلام وبشريّته وبرسالته السماوية، وأتباعه سمّاهم نصارى.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ۖ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾⁽¹⁾

⁽¹⁾ سورة الصف ، الآية، 14.

والمقصود بلفظة النَّصَارَى كما وردت في تفسيرَي الإمام الطبري⁽¹⁾ وابن كثير⁽²⁾، في الآيات هم أتباع عيسى عليه السلام من الحواريين وسماهم القرآن نصارى باعتبار هم من نصرخوا عيسى عليه السلام حين كذّبه اليهود⁽³⁾ وسعت إلى قتله، وبناءً عليه كان لا بد من تحديد المصطلح في الدراسات ولا سيّما الشرعية، لما له من الأهمية، بحيث يؤسس على ضوءه المنطلقات الفكرية والعقدية والقضايا ذات العلاقة التي يتناولها جميعها هذا البحث.

فالنصارى مصطلح جاء في القرآن الكريم دلّ على أنّهم أتباع عيسى عليه السلام من المسلمين الموحدين المنكرين لألوهية عيسى عليه السلام والمؤمنين، بنبوته وبشريته، وهم أنصاره وحواريوه وتلاميذه الموحدون المسلمون، إضافة إلى أنّ القرآن سماهم أهل الكتاب وأهل الإنجيل، فإنّه لم يأت على ذكر المسيحية ولا المسيحيين كما يسمون أنفسهم اليوم نسبة إلى المسيح عيسى منذ النصف الأول من القرن الميلادي الأول، وهم من اعتنقوا عقيدة ألوهية عيسى فنسبهم إلى المسيح عيسى غير صحيح أساساً، وأمّا أول تسميتهم بالمسيحيين في أنطاكية عام 42 م ف جاء على هيئة نعت يُقصد به شتيمة⁽⁴⁾، وعليه فإنّ عيسى - عليه السلام - لم ينسب ديانته إلى نفسه، ولم يُسمّ أتباعه مسيحيين، إضافة إلى اندثار إنجيله الذي نزل معه.

وعليه فإن اللفظة القرآنية النصارى هي ذاتها التي تقصدها الباحثة عن المسيحيين في هذا البحث، وهو المصطلح المتعارف عليه بين المسلمين عند الإشارة إليهم رغم علمنا ما تم في النصرانية من

(1) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 22، ص 622-620، ط1، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، 2001م -1422هـ.

(2) انظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، ج5، ص 296، حققه: الدكتور عبد الرحمن عميرة، لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء، 1994م.

(3) هي الشريعة التي اختص بها الله نبيه موسى عليه السلام وتنسب إلى يهوذا ابن يعقوب - عليه السلام - وقلبت العرب الذال دال فسميت يهود وقيل في معناها يهود من اليهود أي الرجوع والتوبة إلى الله كما جاء في القرآن الكريم وسماهم القرآن بني إسرائيل نسبة ليعقوب عليه السلام وعرفوا بهذا في عهد موسى عليه السلام وبعد موسى أصبح الشائع عنهم أنهم يهود خاصة بعد ظهور النصرانية؛ فبني إسرائيل اسم جامع لأبناء يعقوب من اليهود والنصارى بينما اليهود اختص بها اتباع موسى عليه السلام. انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص18.

(4) انظر: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص من اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، ص889، ط10، دار الثقافة بالاتفاق مع رابطة الانجيليين بالشرق الأوسط، 1995م، القاهرة.

تحريف، إلى أن أصبحت مسيحية وأصبح أتباعها مسيحيون، وتسمية ابن حزم توضح لنا هذا الجانب، يقول ابن حزم: النصارى عامةً- ويقصد بها أتباع بولس من المسيحيين- وبجميع فرقهم هم الملة التي اعتنقت التثليث، وحتى يومنا هذا لا تعترف بالتوحيد الخالص، ورغم أنهم أهل كتاب، ولكنهم أنكروا نبوة بعض الأنبياء⁽¹⁾.

المبحث الأول: تعريف النصرانية لغةً واصطلاحاً.

قصدت الباحثة من هذا البحث التعريف بالنصرانية لغةً واصطلاحاً، وذلك من خلال الرجوع إلى المعاجم اللغوية إضافة إلى الموسوعات، والتنويه إلى أن المقصود من النصرانية هو المسيحية أيضاً، والعودة إلى أصل المفردة من خلال جذرها الثلاثي كما ورد في معاجم اللغة قديمها وحديثها بموازاة ما جاء من تعريف لها في أدبيات الديانة المسيحية وموسوعاتها أو معاجمها اللغوية.

المطلب الأول: تعريف النصرانية لغةً:

وتهدف الباحثة إلى الربط بين المعنى اللغوي للجذر وبين التسمية لمصطلح النصرانية التي تتساقق حديثاً مع مصطلح المسيحية.

النصرانية وجذرها الثلاثي (ن.ص.ر): نصر ينصر نصراً ونصرة، وتنصر وينتصر ومنتصر، وتنصر الشخص دخل في النصرانية، والنصرانية دين المسيح عليه السلام، والنصارى هم أتباع المسيح، وواحدنا نصراني، ومرّد النسب إلى مدينة الناصرة التي نشأ فيها المسيح، وإليها نُسبهُ⁽²⁾.

والنصرانية هي دين النصارى، والتي تتفق في السياق العام لمصطلح المسيحية، نسبة إلى المسيح ومفردتها مسيحي والجمع مسيحيون، وفي ذلك قال الدكتور سفر الحوالي بما يخص نسب اللفظة القرآنية نصارى، "أنّها تعود لأتباع المسيح عليه السلام، وهم الذين شاع تسميتهم هذه الأيام

(1) انظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص47، ط سنة

1347هـ، صححه وذيله: عبد الرحمن خليفة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.

(2) انظر: المعجم الوسيط، باب النون، ص925، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004م-1425هـ، جمهورية مصر

العربية.

بالمسيحين"⁽¹⁾ ، وهو نسب غير صحيح وهم يعبدون المسيح فيقرؤون بألوهيته دون رسالته، وفيه أورد دانيال بات المعنى نفسه لمصطلح "المسيحية" في(قاموس كامبريدج للمسيحية): إنَّ المسيحية تُنسب لغة إلى المسيح، وكان أول ظهور المصطلح في أنطاكية، ودلَّ على أن كل من ينتسب للمسيح ذكراً أو أنثى يحمل هذا اللقب على أنه من أتباع المسيح⁽²⁾ .

وبذلك اتفقت في معناها اللغوي مختلف المعاجم قديماً ومنها على سبيل المثال لا الحصر: أساس البلاغة للزمخشري ومعجم التوقيف على مهمات التعاريف، والقاموس المحيط، وحديثها كالمعجم الوسيط والمعجم الوجيز ومعجم البستاني والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته إضافة إلى إتفاق المصطلح لغوياً بما يقابله في المصادر الغربية ومنها معجم كامبريدج للديانة المسيحية والموسوعة البريطانية.

على ضوء ما سبق من تعريف للنصرانية في المعاجم قديماً وحديثاً تستنتج الباحثة ما يأتي:-

- 1- تعود اللفظة القرآنية لغوياً في معاجم اللغة العربية إلى الجذر الثلاثي (ن.ص.ر).
- 2- النصرانية أتباعها النصارى الذين تعبدوا بشريعة عيسى عليه السلام وهي ذاتها المدلول المتعارف عليه لأتباع ما عُرف بالديانة المسيحية في زماننا، وإن كان هذا النسب فيه عدوان على عيسى عليه السلام بسبب ما تتسم به المسيحية من تحريف وتزوير.
- 3- الديانة المسيحية في العالم اليوم هي الديانة التي تقوم على الكتاب المقدس والذي هو عبارة عن الأناجيل الأربعة المتعارف عليها بين مسيحيي العالم بالعهد الجديد، وعلى أسفار ما يعرف بالعهد القديم، وهو التوراة.
- 4- ينتسب مسيحيو العالم في زماننا هذا إلى ديانة أقرت بألوهية المسيح دون رسالته، وهي الديانة المسيحية.

(1) بتصرف: الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، المعجم الوجيز، حرف النون، ص121، دار منابر الفكر، 1434هـ، مكة المكرمة .

(2) انظر: (Eds.), (2010) ;The Cambridge dictionary of Christianity ;Vol c1,p Patte,d.

5- انتقلت أغلب المصادر الموسوعية والمعجمية الغربية مع المعاجم العربية في نسب النصرانية شرعاً سماوياً إلى عيسى عليه السلام ليصبح كل من ينتسب إلى عيسى مسيحي بدلاً من نصراني فأتباع المسيح هم المسيحيون وكان أول ظهورهم في أنطاكية، وهو ما أورده دانيال بات في معجم كامبردج.

6- إن مصطلح النصرانية اليوم يقصد به المسيحية، وأتباعها هم جميع مسيحيو العالم أصحاب الأناجيل الأربعة بما معها من رسائل، فيما يسمى العهد الجديد أو الإنجيل، إضافة إلى العهد القديم وهو التوراة، ما يشكل عندهم الكتاب المقدس السابق ذكره الذي منه تنطلق الأسس العقدية للمسيحية الصهيونية تجاه فلسطين بعامة والقدس بخاصة

وهو ما قصدت الباحثة الوصول إليه، لأنّ هذا يعتبر المحور الرئيس الذي تدور حوله الرسالة.⁽¹⁾

فتاريخ شريعة المسيح عيسى عليه السلام سيشهد على ما نالها من تحريف على يد الرسول بولس منذ القرن الأول لبعثة المسيح عليه السلام، وبسبب ما تم فيها من تحريف وتزوير في القرون اللاحقة لبولس بأيدي البابوات والقساوسة والمجامع الكنسية، وهذا ما سأورده في المباحث اللاحقة إن شاء الله.

المطلب الثاني: النصرانية اصطلاحاً:

عندما نقول اصطلاحاً نشير إلى معنى النصرانية ومفهومها في الشريعة الإسلامية وما يقابلها في المسيحية، تُعزى تسمية النصارى ونصراني ونصرانية إلى وجوه عدة هي:

- نُصرتهم للسيد المسيح كما ورد في القرآن العظيم في أكثر من موطن، ومنها { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ }⁽²⁾

(1) انظر: الكلام، يوسف، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقدّيس دراسة في التاريخ النقدي للكتاب

المقدس في الغرب المسيحي، اشتيوي، محمد، الإنجيل دراسة وتحليل، محمود، علي سري، العهد القديم دراسة نقدية.

(2) سورة آل عمران ، الآية، 52.

- ومن الوجوه التي تعزى إليها تسمية النصارى نسبتهم إلى مدينة الناصرة كما أوردتها أناجيلهم من أنها كانت سبباً لتسمية عيسى عليه السلام بيسوع الناصري.

- كانت تسميتهم نصارى أيضاً ربما بسبب نصرتهم بعضهم بعضاً بعد وفاة المسيح عليه السلام.

- الأرجح أن التسمية كانت بسبب نصرتهم للمسيح عليه السلام ومفردها نصران، ثم اشتهر بها أتباعه بعد وفاته⁽¹⁾.

- جاء تعريف النصرانية بأنها: الديانة السماوية التي أنزلت على عيسى عليه السلام والتمتمة لرسالة موسى عليه السلام، ومكتملة لما جاء في التوراة من تعاليم وموجهة على الخصوص لبني إسرائيل، وإليها تنسب كلمة نصراني⁽²⁾.

• وهي الديانة التي تُنسب إلى أمة المسيح عيسى بن مريم، فالنصارى كما ورد هم أتباعه الذين آمنوا به واتبعوه ونصروه وأخذوا بدعوته كما جاءت من الله، وكلمة (أنصاري) (وأنصار) في الآية السابقة تعني أتباع عيسى الذين آمنوا ببشريته ورسالته، وشريعته تسمى بها فيما بعد الذين اتبعوا المسيح اسماً أي من نسبوا أنفسهم إليه، والمقصود بهم المسيحيون وهم من غيرَ وبدلَ وحرفَ وأضافَ لدعوته العقائد الباطلة⁽³⁾، قال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}⁽⁴⁾

(1) انظر: البيضاوي، أبي الخير، ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص 84، ج 1، دار إحياء التراث العربي، تقديم: عبد الرحمن المرعشلي 1418هـ-1989م، بيروت، لبنان.

(2) انظر: مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، ج 25، ص 361-363، حرف النون، ط 2، 1419هـ-1999م.

(3) انظر: زقزوق، محمود حمدي، الموسوعة الإسلامية العامة، ص 1400-1401، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، 1424هـ-2003م.

(4) التوبة، الآية، 31.

* وأوردها الراغب الأصفهاني في معجم مفرداته⁽¹⁾ قال: النصارى: سُموا بذلك لقول الله: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ }⁽²⁾.

* ثم بعد تبديلهم لجوهر العقيدة الذي بُعث بها عيسى عليه السلام أوردها مؤلف المعجم المفهرس لمعاني القرآن محمد فؤاد عبد الباقي فقال: النصرانية هي ديانة أصحاب الإنجيل قبل أن يُؤلها المسيح، وبعد أن حرّفوا وبدّلوا جوهر العقيدة وقالوا بألوهية عيسى صار نسبهم إلى المسيح، أي مسيحيون⁽³⁾. فكان الرد القرآني عليهم في قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾⁽⁴⁾.

كتب التفاسير للقرآن العظيم تقف على ذات الأسباب في تعليل التسمية وتبيين نسبها، ومنها أنهم سُموا نصارى لأنهم لجأوا إلى "نصرة" وهي قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام والمقصود بها مدينة الناصرة في فلسطين⁽⁵⁾.

-وفي(قاموس كامبريدج للمسيحية⁽⁶⁾): النصارى هم أتباع يشوع الناصري، وهو لقب أطلقه بنو إسرائيل على المسيح نسبة إلى الناصرة التي نزلت فيها مريم أم المسيح عيسى قبل أن تقصد بيت المقدس وتنزل بيت لحم لتضع مولودها⁽¹⁾.

(1) انظر: الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن كتاب النون، ص809، ط4، تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار القلم، دمشق، 1430هـ-2009م.

(2) البقرة 113.

(3) انظر: الزين، محمد بسام رشدي، المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، مادة نصارى، ص1220-1221، ط1، 1416-1995، دار الفكر المعاصر، سوريا، دمشق.

(4) سورة المائدة، الآية 72.

(5) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، م1، ج2، ص102، ط4، تحقيق: محمد عبد الله نمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر، بيروت، 1409هـ.

(6) في أصلها لقب أطلق هذا الاسم الأول مرة على المؤمنين في أنطاكية عام 42-43 م فيما كان لقب مسيحي يُطلق كشتيمة على أتباع المسيح كما قال المؤرخ تاسيستس المولود 54م بعد أن نعتهم بالعاميين والسفلة ليتدرج هذا اللقب على يد بولس بعد أن أطلقه على أغريباس بعد دعوته له بإتباع المسيحية كديانة، انظر: مجموعة اللاهوتيين، حرف "م" من قاموس الكتاب المقدس، ص37).

في إنجيل متى 23-1:2: "وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل للأنبياء أنه سيدعى ناصرياً".

(1) Patte,d. (eds.),(2010) the cambridge dictionary of christianity ; cambridge university press

المبحث الثاني: مختصر الجذور والنشأة.

التعريف بعيسى عليه السلام، طبيعة المولد والحياة وما تضمنته المصادر الغير إسلامية عنه، وحقيقة رسالته، والإشارة إلى موقف اليهود منه، ومكانته في أدبيات الديانة المسيحية.

المطلب الأول: عيسى عليه السلام المولد والحياة.

إيضاح حقيقة ولادة عيسى التي تختلف عن طبيعة سائر البشر، كونها تمت دون أب بيولوجي، ثم بعثته لليهود وإنكارهم له والتأمر على قتله.

المسألة الأولى: ولادة ونبوة عيسى في المصادر المسيحية واليهودية.

عند البدء بالتأريخ لحياة المسيح عليه السلام يجد الباحث نفسه أمام واقع المقارنة بين العديد من المصادر الدينية والتاريخية الإسلامية والمسيحية واليهودية وبين المصادر المسيحية التاريخية والنقدية العلمية، وبين المصادر الدينية في المسيحية نفسها، بوصفها ديانة أتباعها يشكلون عدداً يفرض نفسه بقوة على تعداد سكان الأرض، وعليه كان لا بد من التنقل بين شيء من تلك المصادر والمقارنة بينها، ثم المقاربة بهدف الرسو على رصيف الحقيقة التاريخية والدينية ما أمكن لميلاد وحياة وحقيقة رسالة عيسى عليه السلام ووفاته، إضافة إلى ما يجده الباحث من عنت بسبب أن التعريف بعيسى عليه السلام جاء في الأدبيات الغربية للمسيحية ممزوجاً بتاريخها بشكل لا يستطيع معه الباحث الفصل بين عيسى وحقيقة رسالته، فقد غاب عن تاريخ المسيحية الزمن الحقيقي لميلاد عيسى للعام واليوم، كما غابت أحداث طفولته وشبابه حتى بلوغه الثلاثين حين عمّده يوحنا المعمدان في نهر الأردن، بخاصة وأن اليهودية وكتابها التوراة تُعتبر الديانة الأم التي انبثقت عنها النصرانية الأولى، ومن هذا الباب أيد البروفيسور بيتر شيفر في كتابه (المسيح في التلمود، المسيحية المبكرة في التفكير

اليهودي الحاخامي⁽¹⁾، فكرة ما تناوله الكثير من الكتاب الغربيين والعرب أن كتب الديانة الأم أي الكتب المقدسة اليهودية خلت تماماً من ذكر عيسى ومن الإشارة إلى أي نوع تصريح يخص حياته وميلاده وديانته على الوجه التاريخي والعلمي الصحيح، عدا عن شذرات من الإشارات التي تصف عيسى وبغير ذكر اسمه على الوجه الصحيح، لتصف حال عائلته قبل قيامه بالتمرد والهردة على الديانة الأم⁽²⁾.

ففي التاريخ اليهودي، يُحدثنا المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس وهو من أبرز مؤرخي اليهود من القرن الميلادي الأول عن عيسى بصفته رجلاً حكيمًا لا نبياً مرسلًا، وأنه عاصر عهد هيردوس الذي قتل يوحنا المعمدان بن زكريا واصفاً زكرياً بأنه كبير كهنة وأخبار اليهود، فيما ادّعى فلافيوس أنّ يسوع الرجل الذي ربما جاز أن يسمى إنساناً حسب وصفه، قد أظهر العجائب، وله تلاميذ من اليهود والأمم، وأنّه هو الذي وشى به أخبار اليهود وأكابر القوم منهم لحاكم الرومان بيلاطس البنطي الذي بدوره أصدر القرار بصلبه، ثمّ كان أنّ قام من الموت بعد ثلاثة أيام ليُحيط به تلامذته من الحواريين، ويضيف فلافيوس أنّ هذا ما جاء به بعض الأنبياء عنه إضافة إلى معجزاته بعد قيامه من الموت، وأردف فلافيوس أنّه لا زال هناك من يؤمن به على اعتبار أنه زعيمٌ لهم في زمانه- أي زمان فلافيوس- يُدعون مسحيين!⁽³⁾ والشاهد هنا أنّ فلافيوس أخبر بوجود عيسى عليه السلام في عهد هيردوس ولكنّه نفى النبوة عن عيسى وزكريا كليهما، فاليهود رفضت دعوة عيسى واختلفت في نبوّته، إلا أنهم اتفقوا على تكذيبه، فالريانيون من اليهود في التلمود كذبوه واتهموه بالسحر بما جاء معه من

(1) انظر: شيفر، بيتر، يسوع في التلمود المسيحية المبكرة في التفكير اليهودي الحاخامي، ص40-45، ط1، ترجمة نبيل فياض، إصدارات جامعة برينستون، 2007، المركز الأكاديمي للأبحاث العراق، -تورنتو -كندا.

(2) انظر: المصدر نفسه.

(3) انظر: بن كربون، يوسيفوس، تاريخ يوسيفوس اليهودي، الفصل السادس، ص 213-215، طبع على نفقة الخواجات سليم نقولا مدور وإبراهيم سركيس، 1872م، بيروت.

المعجزات، وفي ذلك قال زعيم القرائين بنيامين النهاوندي (800-850) م: "أته خرج من اليهود خمسة ادعوا النبوة منهم يسوع"، واعتمد النهاوندي في هذا على سفر دانيال⁽¹⁾.

وفي الموسوعة البريطانية اعتُبر عيسى أو يسوع الناصري (المسيح المختار) أنه مؤسس الديانة المسيحية منذ القرن الأول الميلادي من خلال حياته وتعاليمه وموته وقيامته، فالمسيح يهودياً والمسيحية بدأت حركة داخل اليهودية، وأتباعه من الحواريين اليهود تناقلت روايات وتعاليم الإنجيل الحقيقي للمسيح شفويًا، فالمسيح لم يدون إنجيله، والناصري الأوائل آثروا السماع على التدين وبقي الأمر كذلك ما يربو على الثلاثة عقود ونيف من القرن الميلادي الأول بعد 35 عاما من رفع المسيح، وبينما جُمعت بعض تعاليمه في الأناجيل فيما بعد، جُوبه بمعارضة داخل اليهود لتتطلق دعوته إلى الأمم عن طريق بولس الرسول، وفي القرن الثالث الميلادي وبعد اعتناق قسطنطين الإمبراطور الروماني لها توسعت داخل الامبراطورية الرومانية المترامية واختزلت في عقيدة التثليث الممزوجة بالوثنيات الرومانية⁽²⁾.

وعليه تكون ترجمة عيسى بأنه: كلمة الله ألقاها إلى مريم البتول، لم يولد لأب كسائر البشر، غير معلوم تاريخ ولادته على وجه اليقين يوماً وتاريخاً، أجمعت المصادر التاريخية والدينية على ولادته في زمن هيردوس الملك الروماني على فلسطين في العام 4 ق.م في بيت لحم⁽³⁾، وإن اختلفت الأناجيل في زمن ولادته على وجه اليقين، فإن كلاً من إنجيل متى ولوقا يذكران أنه وُلد في عهد هيردوس الذي كانت وفاته قبل الميلاد بأربع سنوات، خرجت به أمه إلى مصر بعد ولادته عندما صدر الأمر من هيردوس بقتل الأطفال في مملكته دون السنتين وعادت بعد موت هيردوس ونزلت الناصرة مع ابنها وهذا سبب نسبه إلى الناصرة، فإنّ بها نشأته⁽⁴⁾، وأمّا مولد المسيح ونسبه وتعميده فاختلقت فيه

(1) الجدل اليهودي في ضوء الجينيزا القاهرية مخطوطة بودليان، اكسفورد، رقم 18-25Fols32، الفصل الأول،

ص7، دار الزهراء للنشر، 1994م-1415هـ.

(2) انظر: الموسوعة البريطانية، ج 26، ص 28.

(3) انظر: الفرت، محمد أبو الغيط، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة، ص19-

11، ط1، دار الطباعة المحمدية، درب الأتراك بالأزهر، 1410هـ-1989م.

(4) إنجيل متى، 2، 22، وإنجيل لوقا، 2، 1، 40.

الأناجيل الأربعة تاريخياً، فقد أورد ديورانت في كتابه (قصة الحضارة) عن متى ولوقا، فعند متى ولوقا كان ميلاده قبل العام الثالث ق.م في بيت لحم، في عهد الملك هيرودس، غير أن لوقا ذكر ميلاد عيسى بين 2-1 ق.م، وفق حادثة تعميده التي كانت بين الأعوام 28-29م، حينما كان المسيح في الثلاثين من العمر في عهد تيبيريوس وقام بتعميده يوحنا، وأمّا في قضية نسبه إلى الناصرة فقال:- إن هذا ما ذكره مرقس في إنجيله-رافضا فكرة نسب يسوع إلى بيت لحم، وإنّما هو يسوع الناصري فقط عند مرقس، ومعناه معين يهوّة¹، على عكس ما أيّده كل من متى ولوقا كما يظن النقاد آخذين بعين الاعتبار أنّ مولد عيسى عليه السلام في بيت لحم يُعزز فكرة تناسله من داوود، متناسين أو غاضين الطرف عن أن نسب عيسى إلى داود عن طريق يوسف النجار يدحض فكرة ولادة عيسى من عذراء! الأمر الذي يحقق النبوءة التوراتية وهو ما لم يرحّحه ديورانت نفسه في تاريخه².

وفي كتاب (تاريخ حضارات العالم) لمؤلفه الفرنسي شارل سنيوبوس من أساتذة جامعة السوربون الفرنسية جاء تعريف عيسى: بأنّه السيد والرب والمخلص، ابن الإنسان وابن الله والرب، سمّاه أتباعه من الروم الممسوح والمسيح، اتفقت الكنيسة بمختلف فروعها على أنّه يسوع الناصري المصلوب والقائم من بين الأموات، بينما رفضت اليهود اعتبار عيسى هو المسيا والملك المنتظر لهم من نسل داود- عليه السلام-، خرج عيسى عليه السلام في الناصرة في ولاية الجليل من أسرة تعمل بالنجارة، وفي حين كان ولا زال الاختلاف قائماً في المفهوم عن المسيح بين اليهودية والمسيحية-⁽³⁾، تبنت

(1) هو الإله الذي أعلن عن نفسه لها لبني إسرائيل بقرار الهي وقد ورد في مجمل اسفار العهد القديم بأكثر من 6800 مرة على انه الإله الشخصي لإسرائيل وهو الإله أي الله الذي اعطى اسمه لأبناء إسرائيل الاولين حين كان يظهر لهم وعبارة "أنا هو الكائن والذي سيكون " تعيد أنه الإله الذي نذر نفسه لهذا الشعب في كل زمان ومكان وهو من اختار أن يحميه من أي طغيان الهي! فهو قد ضمن حمايته الأبدية لإسرائيل لأنه مصدر تاريخها وعمق قصتها وهو الإله الذي سينال ميزة خاصة بسبب قصة إسرائيل فيما لو كان أميناً ووفياً وتحمل عواقب المخاطرة في التاريخ المستقبلي لهذا الشعب، القاموس الموسوعي للعهد القديم، ص671.

(2) انظر: ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، ج3، م3، ص 213، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، لبنان، بيروت، بدون تاريخ.

(3) انظر: سنيوبوس، شارل، تاريخ حضارات العالم، ص252، ط1، 2012، الدار العالمية للكتب والنشر.

المسيحية المبكرة منظوراً مبالغاً فيه في أنهم -أي المسيحيون- هم إسرائيل الجديدة التي حلت محل إسرائيل القديمة، وبإصرار منهم أن ذلك هو ما يريد الله فاخترهم لذلك¹.

وهنا تماماً تتضح علاقة المسيحية بوصفها معتقداً أهم أركانه تمتد إلى نبوءات العهد القديم مع الحركة المسيحية الصهيونية التي سعت إلى قيام دولة إسرائيل ولا زالت تسعى إلى تحقيق نبوءات التوراة التي لم يتبق منها سوى بناء الهيكل.

المسألة الثانية: ولادة ونبوة عيسى عليه السلام في المصادر الإسلامية.

وولادة عيسى عليه السلام المعجزة الإلهية من غير أب، وما صاحبها من معجزات وكلامه في المهدي، وحقيقة نبوته إلى بني إسرائيل مع ما أيده الله به من معجزات، وحقيقة رسالته وإيمان الحواريين المسلمين بها، ثم ما آلت إليه الأمور من تأمر اليهود على عيسى، هو ما تُخبرنا به آيات سورتي آل عمران ومريم في القرآن العظيم، وبينما سادَ ضعف التوثيق في المصادر الدينية والتاريخية التي تتحدث عن الجانب التاريخي لميلاد وحياة وموت عيسى وحقيقة رسالته في الأنجيل الأربعة المعتمدة التي يشوبها الكثير من النقص والمصادقية، لشدة ما مرّت فيه من عهود التغيير والتبديل فيها، وفيما يصاحب ما تقدم فيها من قدر ضئيل عن حياته كثرة التخمين والظن، فإنّ القرآن هو الوثيقة التاريخية الوحيدة التي بين أيدينا التي يُعتمد عليها بما ورد فيها عن عيسى وشأنه، وهو ما اتفقت عليه التحقيقات التاريخية والعلمية، وما اتفق بشأنه جميع العلماء والمحققين من أصحاب الملل كافة، إضافة إلى ما حفظه لنا التاريخ من وثيقة أخرى هي إنجيل برنابا، وهو واحد من الأنجيل الذي أنكرته ولا زالت الكنيسة، ويمكن اعتباره وثيقة تاريخية تمدُّ الباحثين بصورة أوسع عن عيسى وحياته ممّا جاء

في الأنجيل المعتمدة لدى الكنيسة حتى يومنا هذا².

(1) انظر: قاموس كامبردج، ص 658-659.

Patte,d. (eds.),(2010); the cambridge dictionary of christianity ;vol ; cambridge university press

(2) انظر: الفرت، محمد أبو الغيط، قصة موت المسيح وقيامه في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة، ص 11-

12، ط 1، مصدر سابق.

فعيسى عليه السلام هو كلمة الله إلى مريم البتول، لم يولد لأب كسائر البشر، غير معلوم تاريخ ولادته على وجه اليقين يوماً وتاريخاً، أجمعت المصادر الإسلامية التاريخية والدينية على ولادة عيسى المعجزة الإلهية وأثبتت بما لا يدعو مجالاً للشك نبوته ودعوته في بني إسرائيل في القرآن والسنة.

فمريم ابنة عمران بن ماثان تعود في سلالتها إلى داود عليه السلام وكان أبوها عمران رجلاً صالحاً من أشهر عبّاد بني إسرائيل في زمانه، وأمها حنة بنت فاوود من العابدات، نذرت ما في بطنها بعد حملها لخدمة بيت المقدس ولكن المولود لها كانت أنثى أسمتها مريم ووهبتها لخدمة البيت بعد أن كفلها نبي ذلك الزمان لليهود، وهو زكريا عليه السلام، اشتهرت بعبادتها وسدانيتها للبيت وكريم صفاتها وأخلاقها حتى اصطفاها الله سبحانه لعبء المعجزة في حملها لعيسى عليه السلام من غير أب، الذي أنطقه الله في المهد معجزة له أمام قومه المبعوث فيهم من بني إسرائيل الذين اتهموا أمه بالسوء، ليكون أول كلامه في الدنيا إعلان عبوديته لله، وهذا مناقض لأدبيات المسيحية الحديثة التي تقول فيه إنه إله وابن إله، وبشرها بنبوته، وتصدرت الآيات في سورتي آل عمران ومريم الإخبار عن قصة مريم وحملها وولادتها بالمسيح ونبوته ورسالته¹، وفصل القرآن العظيم في مسألة ألوهية عيسى واضعاً حداً لكل من تسوّل له نفسه الاختلاف أو الشك في عيسى ومعجزة ولادته وبشريته ونبوته، فقال سبحانه: { ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ }².

وإمعاناً في بيان ما نسبته المسيحية الحديثة لله سبحانه في أنه الأب وعيسى ابنه قال الله سبحانه: {مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (3)، ثم كان من تمام كلام عيسى في مهده في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} (4)، ولكن بني إسرائيل أنكروه وقالوا في أمه ما يعيب، والله كرمها باصطفائه لها، وأنكروا معجزة حمله وولادته ونبوته ورسالته وحملوا عليه وهو الذي بُعث متمماً لرسالة موسى عليهما السلام ورسولاً إليهم ومعه الإنجيل

(1) انظر: ابن كثير، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ج2، ص56-70، مكتبة المعارف،

1410هـ-1990م، بيروت .

(2) سورة مريم، الآية، 34

(3) سورة مريم، الآية 35.

(4) سورة مريم، الآية 36.

ومن أولي العزم من الرسل¹ ، وهو الأمر الذي منع من اكتمال دعوة عيسى عليه السلام، فمنذ غياب عيسى ورفعته حتى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي اضطهدت النصرانية حتى تأسيس المسيحية الجديدة على يد بولس² .

ثم فإنه قد أرسل في بني إسرائيل في عهد ساد فيه جحودهم وإنكارهم للحق فَشَقُوا وقست قلوبهم ففسدوا إمعاناً منهم في تكذيب أنبياءهم، فكان عيسى آخر الأنبياء إليهم من الله فتنكروا له وكفروا به وقذفوا أمه، ليزعموا أنه ابن يوسف النجار، ورفضوا الاعتراف بشريعته على أنها متممة لشريعة موسى، قائلين أن شرع موسى لا يُنسخ فاستكبروا وألحوا في تعنتهم على ما فيهم من سلوكيات ضد الفطرة في معاش حياتهم، فلم يلتفتوا إلى طهارة لا في طعام ولا غيره، وهنا اختلفت يهود في نبي الله عيسى وحوارييه على أكثر من فرقة، إلى الوقت الذي ظهرت فيه عقيدة التثليث والشاهد هنا أن عيسى عليه السلام بُعث لإصلاح أمر بني إسرائيل بعد أن حادوا عن طريق موسى عليهما السلام بشروط طويلة، فكانت متممة لما جاء فيها، فنصرانية عيسى إنما هي حقاً أصل من أصول شريعة موسى عليهما السلام³ ، وهو ما أخبرنا به سبحانه في قوله تعالى: { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَنُفِّخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا }⁴ ، هذا هو عيسى عليه السلام في القرآن وقد جعل أمه آية للناس، فالقرآن هو الوثيقة العلمية التاريخية المعتمدة التي لم يُحرّف فيها أحد من البشر، ذلك لما فيه من ميزات تفنقدها الأنجيل الأربعة، منها

(1) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص56-70 ، مصدر سابق .

(2) انظر: هلال، رضا، المسيحية الأصولية في أمريكا المسيح اليهودي ونهاية العالم، ص23-26، ط1، مكتبة الشروق، القاهرة، 1421 هـ- 2000م.

(3) انظر: ابن تيمية، أبو العباس، نقي الدين أحمد بن عبد الحلیم، قواعد الأديان، ص79-71، ط1، دراسة وتحقيق: إبراهيم: محمد الجمل، 1410 هـ- 1989 م.

(4) سورة آل عمران، الآيات، 48-50.

الحفظ والتواتر والمنهج العلمي النزيه في السرد التاريخي، وهذا هو رأي كثير من النقاد الغربيين أنفسهم بما يعتبرونه الترجمة الحقيقية لحياة عيسى بن مريم وعرض شريعته الحقيقية، فالاستناد إلى القرآن في البحث عن مسيحية عيسى عليه السلام عمل نزيه حقيق بالاحترام مقارنة بما طرأ على الأناجيل من تحريف وتزوير عبر عصور المسيحية¹، وزبدة القول أن المقاربة (في المعاني) أسلوب ناجع عند المقارنة (بين الأديان) ومن ثم تكون أوجه التوازن بين الغث والسمين، وهو الأمثل بين الكتب المقدسة لمعرفة حقيقة الوحي الإلهي فيها وحقيقة من تلاعبت به أيدي البشر تزويراً وتحريفاً تبعاً للأهواء، فإنجيل عيسى الذي نزل معه بلُغته ولُغته قومه (الآرامية العربية) معلوم مصيره، فقد آل إلى الضياع والاندثار، وهو ما توصل إليه المسيو الفرنسي آيتين دينيه الرسام والباحث الفرنسي في الديانات الذي أعلن إسلامه عام 1927م بعد أن هدّته شجاعته في البحث عن الحق إلى أن الإنجيل الذي نزل مع عيسى قد اندثر تماماً²، وهو ما عُلم في تاريخ المسيحية وِبإجماع كنائسها أن عيسى بُعث في بني إسرائيل، تصديقاً لما بقي من شريعة موسى عليهما السلام، وتعلم - أي الكنائس - مدى ما تم تغييره وتحريفه في النصرانية الحقّة، وما صارت إليه الأناجيل بكثرة التحريف والتزوير فيها، وتعلم تلك الكنائس أيضاً تمام العلم دور بولس الرسول في بناء المسيحية الحديثة وتُدرك دور المجامع الكنسية ودور البابوات والأساقفة في تحريف تعاليم النصرانية على مرّ عصورها التاريخية، أدركت هذا من خلال الحركة النقدية للكتاب المقدس منذ العام 1893، حيث أصدر البابا ليون من ضمن قراراته البابوية في رسالته الدورية بتاريخ 18/11/1893م أمراً بضرورة الاهتمام بالدراسات البحثية والنقدية للكتاب المقدس والوقوف على نتائجها، إمعاناً منه في الحفاظ على عصمة وقدسيسة الكنيسة وخوفاً من التصادم مع النتائج البحثية العلمية التي كشفت عدم نسبته إلى الله، ومن ثم فقدان مركزيته ونفوذه الديني⁽³⁾، في حين هي تقف بالمرصاد لما يقوله القرآن عن نصرانية عيسى، رغم اتفاق القرآن معها في أصل تلك الرسالة وتبرئة عيسى وأمه من فرية اليهود، وتُنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالمطلق وما جاء به، رغم أن الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام قد بشرّ بمجيئه فعلاً، قال

(1) انظر: شلبي، متولي يوسف، أضواء على المسيحية، ص17، الدار الكويتية للطباعة والنشر، 1387هـ -1969م.

(2) انظر: الكلام، يوسف، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقدّيس، ص237-238، الإصدار

الأول 2009م، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا.

(3) انظر: شلبي، متولي يوسف، المصدر السابق، ص67.

تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ بَنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي إِسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾¹

وثيقة الهية لا تشتت ولا تباين في مصدرها التاريخي والعلمي، وهذا ما ورد في إنجيل برنابا، وهو أحد الأناجيل المرفوض من الكنيسة المسيحية باختلاف طوائفها وأيده الكثير من المؤرخين والمفكرين ونقاد التاريخ فيما تم طرحه عن اعتراف برنابا في إنجيله بنبوة محمد وأنه المسيا المنتظر، يقول برنابا في إنجيله: " إِنَّ الْآيَاتِ الَّتِي يَفْعَلُهَا اللَّهُ عَلَىٰ يَدَيَّ تَظْهَرُ أَنِّي أَتَكَلَّمُ بِمَا يَرِيدُ اللَّهُ وَلَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي نَظِيرَ الَّذِي تَقُولُونَ عَنْهُ، لِأَنِّي لَسْتُ أَهْلًا لِأَنَّ أَجَلَ رِبَاطَاتٍ أَوْ سَيُورِ حِذَاءِ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي تَسْمُونَهُ مَسِيَا الَّذِي خُلِقَ قَبْلِي وَسَيَأْتِي بَعْدِي بِكَلَامِ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُ لَدِينِهِ نِهَآيَةٌ "، يقول الدكتور سعادة بيك: " إن المراد من مسيا محمد "، ويقول: " إن برنابا ذكر محمد باللفظ الصريح في عدة فصول ووصفه بأنه رسول الله وذكر أن آدم لما طُرد من الجنة رأى سطوراً قد كُتبت فوق بابها بأحرف من النور " لا إله إلا الله محمد رسول الله "، وهنا نتوصل إلى واحد من الدوافع التي حرمت بسببها المجامع الدينية والبابوية والكنيسة إنجيل برنابا رغم أنه تفوق على الأناجيل المعتمدة ثقافة وزمناً وقدماً² وإنجيل برنابا وما كان للكنيسة شأن معه فهو حقيقة، سواء صدقت اليهود أم كذبت وسواء حاربتنا المسيحية على هذا طول قرون ولا زالت، فالتوراة والإنجيل السماويان كلاهما بَشَّرَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المطلب الثاني: النصرانية بين الاتباع والابتداع ومسيحية بولس.

وترمي الباحثة فيه إلى المقارنة بين شريعة عيسى عليه السلام التي اندثرت وبين مسيحية بولس التي وضعها ونسبها إلى عيسى عليه السلام.

المسألة الأولى: التعريف ببولس الرسول.

ليس بمقدورنا الغور في النصرانية تاريخاً وعقيدة ولو بشكل يسير دون أن نمرّ على سيرة رجل صنع من النصرانية ديناً مستحدثاً جديداً أطلق عليه فيما بعد المسيحية عوضاً عن رسالة المسيح الحقيقية النصرانية، إنّه بولس الرسول أو شاؤول اليهودي.

(1) سورة الصف، الآية 6.

(2) انظر: شلبي، متولي يوسف، أضواء على المسيحية، ص 67، مصدر سابق.

في البدء ومن خلال نظرة تاريخية في الأناجيل الأربعة وما ضمَّ العهد الجديد من كتب بين دفتيه فإن الجزم سيكون حاسماً في أن بولس لم يعرف المسيح، ولم يلتق به بشكل قطعي، فمن هو بولس؟

بولس هو شاول اليهودي الذي تشكل رسائله أغلب العهد الجديد، وُلد في طرسوس لعائلة يهودية، روماني الجنسية، ورد على أورشليم في العشرينات من عمره، أخذ علمه من الحاخام اليهودي غملائيل، كان فريسياً مقاوماً للنصارى، قبل أن يتنصّر ليُدعى فيما بعد تنصّره أنه يقابل عيسى بعد قيامته، استطاع أن يؤثر أثراً بالغاً في الأناجيل الأربعة التي دُونت عملياً بعد تدوينه لرسائله، وفي حقيقة الأمر فإن رسائل بولس شكلت الأسس الحقيقية للمسيحية، بسبب أنه كتبها بين الأعوام 50-60 م، بينما تمت كتابة الأناجيل في الفترة الواقعة بين 70-110م، فكان من الطبيعي أن يتأثر أصحاب تلك الأناجيل بما قدّم له بولس في رسائله، لثُعتبر عملياً أسس الكتب الأربعة ولو كانت في الظاهر تتكلم عن عيسى وشأنه! فقد طغت مفاهيم بولس وآراؤه اللاهوتية على الأناجيل، لتتنصر على شريعة عيسى عليه السلام انتصاراً أدى إلى اندثار كل ما قال وعمل به المسيح على الأرض.

لم يختلف عيسى عليه السلام عن باقي الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فقد كانت دعوته التوحيد وإضاءة الطريق لمن اتبعوه لعبادة الله الواحد على الشكل الذي أراده الله سبحانه، ومن خلال الفطرة التي فطر الله عليها بني البشر في الاستدلال على خالق لهذا الكون والإيمان بوجوده، وفي قوله تعالى ما يُستضاء به على معرفة ذلك: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }¹ وقد بلّغ عيسى عليه السلام عن ربّه كما أمر ونزل معه الإنجيل، ولكن شياطين الإنس اجتالت أتباعه فكان الابتداع دون الاتباع وأشهر من فعل هذا في النصرانية بولس الذي ابتدع ديناً جديداً نَسَبَهُ إلى المسيح عيسى والمسيح منه براء، فسُمي أتباعه مسيحيون، والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام عن رجل استطاع من خلال المزج بين جنسيته الرومانية وبين عقيدته اليهودية أن يُغيّر خارطة الشرائع الإلهية في العالم القديم ويُقنع الرومان بما أملى عليه دهاؤه وحنكته من اتباع ديانته التي استمرت حتى يومنا هذا، وهو الذي كتب الرسائل ودوّن فيها مواظمه للمسيحيين على أنها

(1) سورة المائدة، الآية، 17.

تعاليم من عند الله أوحى له به عيسى روحياً،¹ ثم أصبح ذلك التأول على الله عقيدة راسخة لدى أتباعه حتى يومنا هذا، بل تاريخ تلك الديانة يتحدث عن الكثر ممن حملوا عبء هذه الدعوة ونهضوا يبشرون بها بين الأمم عبر تاريخ المسيحية معتمدين على الصراع الفكري تارة، وعلى الصراع العسكري تارة أخرى، وهم يحملون إرث آبائهم وأجدادهم أتباع شاول اليهودي الخبيث الذي دخل النصرانية تحت اسم بولس ليحطّم النصرانية بكل اتجاهاتها الصحيحة، فابتدع فيها فكرة التثليث وألوهية عيسى وقيامته من الموت وصعوده إلى السماء وجلوسه إلى يمين أبيه إضافة إلى خرافة العشاء الرباني وغفران الذنوب مستمداً هذا من الفلسفات الإغريقية والوثنية، فأبطل الختان، واخترع قصة الغداء، وجعل من شريعة عيسى ديناً عالمياً، وفي حقيقتها كانت لبني إسرائيل خاصة، وهو صاحب أربعة عشر سفرًا تعليمياً من أصل إحدى وعشرين رسالة هي مجموع الرسائل التي تُعد مصدراً تشريعياً في النصرانية، والمقصود بها الديانة المسيحية اليوم.²

فكان هؤلاء الأتباع جاحدين للحق الذي ظهر أمامهم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يكتف بولس بتحريف النصرانية الأولى، بل ابتدع فيها من الشرائع المخالفة لفطرة الإنسان كما هو في حال الرهبنة، وفي ذلك قول الله: { ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ }³ وفي جامع البيان للطبري جاء: أن الأتباع الأوائل لعيسى عليه السلام ورغم صفاتهم تلك إلا أنهم أحدثوا في رسالة عيسى الرهبانية، معتقدين أنها تقربهم إلى الله، وهم بذلك لم يروعوا حق رعايتها، فكان ابتداعهم أشد حين حرّموا الزواج، وهذا في الحقيقة ليس إلا اليسير ضمن ما بدّل وحرّف هؤلاء الأتباع في أصل ديانة المسيح عليه السلام.⁴

(1) انظر: ماكبي، هيم، بولس وتحريف المسيحية، ص17-21، مصدر سابق.

(2) انظر: شلبي، أحمد، المسيحية، ص114-118، ط10، مكتبة النهضة المصرية، 1998، القاهرة.

(3) سورة الحديد، الآية، 27.

(4) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج22، ص384، تحقيق:

عبد الله بن محسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1422هـ-2001م، القاهرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن النصرانية هي عبارة عن تكذيب عيسى عليه السلام، وابتداع أتباعه ممن سُموا نصارى بعده ديناً غير دينه، ضلّوا به وأضلّوا، فقالوا فيه : إنه الله الذي خلق الأولين والآخرين بل إنه ديان يوم الدين .¹

وقال ابن القيم: إنها الديانة التي جُعِلت أركانها على عبادة الصلبان والصور المدهونة في السقوف والحيطان وهي أمة الآب والابن والروح القدس المثلثة، وهم من جعلوا لله ولداً، وجعلوا الله في عقيدتهم ثالث ثلاثة، وجعلوا له مريم صاحبة، والمسيح ابناً وكفروا بوحدانيتها .²

وهو ما أكده بعد الإشارة إليه ابن البطريق 877-940م في كتابه (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) من كبار مؤرخي النصارى، بخصوص عقيدة التثليث وألوهية المسيح وقيامته وأن دعوته جاءت للتبشير بين كافة الأمم .³

وفي حقيقة الأمر أنّ الكثير من الحروب في الفكر والفكر المضاد لتاريخ النصرانية كانت قد استعرت بين الكتّاب والنقّاد الغربيين أنفسهم حول حقيقة النصرانية ودعوة عيسى بما فيها من نبوءات بولس الرسول وتبشيره بالمسيحية خاصته بين الأمم على أنها نصرانية عيسى عليه السلام، وهو ما كان نتيجة مؤكدة لدراسات الباحثين في أن عيسى فعلاً لم يدّع قط أنه المسيح المنتظر، ولم ينسب إلى نفسه الألوهية ولا قال عن نفسه ابن الله، بينما أظهرت نتائج الباحثين أن هذه العقائد قد بدأ تناولها

(1) بتصريف: ابن تيمية، أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، م3، ص132-134، ط2، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، دار العاصمة الرياض، 1419هـ -1999م، المملكة العربية السعودية .

(2) بتصريف: ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص123-133، ط1، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية، دار عالم الفوائد، 1429هـ، مكة المكرمة.

(3) انظر: ابن البطريق، أفتيشيوس سعيد، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص92-93م، طبعة الآباء اليسوعيين، 1905، بيروت .

عند المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية التي استخدمها القديس بولس مصراً على استخدامها مؤلف الإنجيل الرابع.¹

وفي معرض كلامه من خلال دراسته قال الأستاذ يوسف درّة الحداد في كتابه "مصادر الوحي الإنجيلي" والذي يُعتبر مصدر إلهام لصوفية المسيحية وعدا عن أنه أحد الباحثين فعلاً في ما يسمى الصوفية المسيحية قال في تعريفه للمسيحية مفرقاً بينها وبين النصرانية: "إنها تلك العقيدة التي أسسها بولس الرسول، التي قامت عليها المسيحية التاريخية كلها بسبب أن العهد الجديد دُون بعد رسائل بولس" التي اعتبرها الحداد ذات قيمة أثرية وموضوعية كونها تحمل المبادئ الأولى التي قامت عليها الدعوة المسيحية في البيئة الهلنستية، وهي الأثر الأول الذي كتبه بولس في المسيح والمسيحية، فبفضله كما يرى الحداد عاشت الدعوة المسيحية² مفرقاً بينها وبين النصرانية التي ادّعاها المنتصرون من بني إسرائيل والذين يعتمدون السُنّة اليهودية.

فالنصرانية تفسر الإنجيل على ضوء التوراة والسنة اليهودية، والمسيحية - أي مسيحية بولس - تفسر الكتاب والمقصود به الكتاب المقدس بقسميه - على ضوء إنجيل مجد الله السعيد الذي أوّتمن عليه بولس - أي بولس الرسول - بتأثير من بيئة الدعوة أي - البيئة الهلنستية - ومن شخصية بولس نفسه! ليستمر الصراع بين النصاري وبين المسيحيين، وليعتبر النصاري من (بني إسرائيل) بولس مرتدّاً كافراً فيما يُطلق عليهم بولس في كل رسائله الإخوة الكاذبين، ومنذ مؤتمر الرسل الأول في أورشليم عام 49 م انتصر بولس على النصاري من بني إسرائيل ليجعل من النصرانية في بني إسرائيل بما فيها من الشريعة والختان (الديانة) المسيحية للأمميين، ليتحرر الأمميون من الشريعة الموسوية والختان، وبذلك كان المؤتمر الأول في أورشليم والمنعقد سنة 49 م هو السبب المباشر لانقسام أهل الإنجيل إلى نصرانية بني إسرائيل، وإلى مسيحية المهتدين من الأمميين، لينكفئ النصاري حول يعقوب أخو المسيح وأحد تلاميذه ! بينما ينتسب المسيحيون إلى بولس الذي كان يصف النصرانية

(1) انظر: جنيبير، شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، ص39، ترجمة: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (بدون تاريخ).

(2) انظر: الحداد، يوسف درّة، مصادر الوحي الإنجيلي، فلسفة المسيحية الرسائل الكلامية والصوفية والراعية، ج2، ص 316-323، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، (بدون تاريخ).

لأتباعه من الأمميّين أنّها- أي تلك النصرانية- إنّما هي نصرانية الضعفاء من بني إسرائيل، الذين يقولون بالحلال والحرام في الأطعمة، والذين يبشرون المسيحيين الرومانيين لينشروا البلبلة بينهم، وهؤلاء مقاطعتهم واجبة فإنهم لا يعملون للمسيح الرب⁽¹⁾ !.

وأخيراً تستنبط الباحثة مما سبق ما يأتي بيانه وهو:-

1- أنّ بولس أو شاول اليهودي هو المؤسس الأول والحقيقي لتهود النصرانية وإفراغها من مضامينها شريعةً منزلةً على عيسى عليه السلام.

2- كُتبت الأناجيل الأربعة المعروفة لدى مسيحي العالم في عهد المسيحية الأول بعد كتابة بولس لرسائله، وكانت تلك الأناجيل على خطاها لاهوتياً.

3- عبّر بولس بالمسيحية من ادعائه أنه يهودي فريسي، صوب الهلينية اليونانية فاخترع ديناً لا علاقة له بشريعة عيسى عليه السلام طابَعُهُ وتني نَسَبَهُ إلى المسيح عليه السلام.

4- التشكيك في يهودية بولس وارد كما أثبت ذلك العالم اليهودي البريطاني المختص في دراسة المسيحية واليهودية هيم ماكبي، لأن بولس اعتمد نسخة التوراة باليونانية لعدم معرفته العبرية لكونه روماني الأصل.

5- جميع ما ورد عن حقيقة المسيحية يعلمها المسيحيون بالضرورة، وهذا ثابت فيما أورده ابن البطريرق من علماء المسيحيين 877-940 ميلادي، والدليل بقاء الإيمان بقواعد بولس للمسيحية المستحدثة حتى يومنا هذا، والباحث الأستاذ الحداد في فلسفة ما يسمى الصوفية المسيحية يؤكد هذا.

6- هذا يقودنا إلى حتمية المنهج العلمي الرصين الذي تحدث به القرآن عن عيسى عليه السلام، وبعثته وشريعته، ومصيره، وما آلت إليه دعوته بعد اغتصابها من بولس. وفي قوله تعالى: ﴿ وَفَقَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ

(1) انظر: الحداد، يوسف درة، مصادر الوحي الإنجيلي، فلسفة المسيحية الرسائل الكلامية والصوفية والراعية، ج2، ص 316-23، المصدر السابق.

ومصدقاً لما بيّن يديّة من التّوراة وهُدَى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ¹ بينما استمر خلفاؤه وورثته خلال قرون المسيحية بشكل يبدو مغايراً في النهج ذاته من تعديل على تعاليم المسيحية، وصولاً إلى التمرد على كنيسة روما ! فبرز مارتن لوتر الذي سار على خطى بولس في عملية تهويد ما بقي من مسيحية الكنيسة في خط سير جديد منذ القرن السادس عشر، جعل فيه نبوءات العهد القديم وتعاليمه المنهل الذي تستقي منه حركة الإصلاح التي انشقت عن الكنيسة الأم في روما، والتي كان هو رائدها، فيما سُمي بالبروتستانت -أي المحتجين- ليخلق لوتر بذلك كنيسة مسيحية أخرى جديدة جُمعت فيها العديد من الفرق المحتجة تحت مسمى طائفة البروتستانت، والتي يعتمد عليها نشاط المسيحية الصهيونية في تنفيذ نبوءات العهد القديم وجعلها واقعاً على الأرض في القدس وفلسطين، وهو ما سنتناوله الباحثة في المباحث القادمة إن شاء الله.

المسألة الثانية : الفجوة التاريخية بين شريعة عيسى عليه السلام وتدوين مسيحية بولس أفرزت ما سُمي بالحركة النقدية للتاريخ المسيحي.

بداية بإمكاننا القول إن حركة النقد التاريخي للمسيحية بدأت منذ القرن الثامن عشر لتشتد قوتها في القرن التاسع عشر بعد أن أصبحت عبارة عن مدارس نقد فكرية وتحليلية منهجية للمسيحية وأنجيلها الأربعة ولحياة المسيح نفسه منذ منتصف القرن الميلادي الأول، وأبرز من فطن إلى محاكمة تاريخ المسيحية بعد لوتر هم: هيرمان صموئيل ريماروس 1768، وويليام بوسيه، وأدولف فون هارنك 1851-1930، الألماني الذي كان من أشهر من دعا إلى دراسة نقدية تاريخية تحليلية (للمسيحية) في عهد عيسى عليه السلام وبعده، مروراً بالقرن الرابع الميلادي الذي اعتُرف فيه بالمسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية إلى عهد لوتر وحركته إلى القرن 19، وهارنك هذا ركز على تداخل الإيمان المسيحي بالفلسفة اليونانية 1885م من خلال نشر الجزء الأول من كتابه الأول المعنون " تاريخ العقيدة " متأثراً بمدارس النقد التاريخي ومنهجه النقدي التاريخي في اللاهوت وفي عام 1888 أصدر مؤلفه " تاريخ العقائد " في ثلاث أجزاء تناول فيها أثر الفلسفة الهلينية في العقائد المسيحية في قرونها الأولى جازماً في أنّ المسيحية فكراً وتعاليم أخذت من الفكر اليوناني، بل اختلطت واتحدت مع الفلسفة

(1) سورة المائدة، الآية، 46.

والفكر اليوناني بالكلية، للدرجة التي ضاعت فيها المسيحية الأولى أو نصرانية عيسى عليه السلام، ووفق المنهج العلمي أخضع هارنك العهد الجديد للدراسة النقدية التحليلية التي ألغت الاعتراف بإنجيل يوحنا، لتطفو على السطح بعد ذلك في ألمانيا مسيرة النقد التاريخية التي أسست في القرن التاسع عشر للمنهج النقدي التاريخي، الذي بدوره أسس لمدارس النقد التاريخية للمسيحية والكتاب المقدس في أوروبا كلها، وأما ويليام بوسيه فقد كان من أتباع مدرسة هانك، ومشى على دربها، وهو من أنكر ودحض عقيدة ألوهية المسيح، وجاءت نتيجة دراساته النقدية كسابقيه في أن المسيحية اختلطت بالوثنية الهلينية، فاستقت عقائدها ومصطلحاتها منها، وبعد استتطاق عمليات النقد لتاريخ الديانة بداية من القرن الميلادي الأول نتوصل إلى أن بولس ابتدع ديانة أخرى لا تمت إلى النصرانية بصلة، فنصرانية عيسى كانت خاصة في بني إسرائيل، وجعل منها بولس عامة لكل الأمم بعد رفع المسيح، وأيضاً أصلت مسيحية بولس لألوهية عيسى عليه السلام، وعقيدة التثليث، كما توغلت في حادثة صلبه التي لم تحدث أصلاً، وهو أمر جزم به القرآن العظيم، ولا مجال فيه للاجتهاد قال تعالى: ﴿وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعِ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾¹، فالعهد الجديد كله من قرون المسيحية الأولى وصولاً إلى القرن الحالي - كما يورد الأستاذ يوسف درة الحداد- قائم على مسيحية بولس، التي هي في تفاسيرها ضد التفسير النصراني للإنجيل الحقيقي والمسيح. والذي يعتمد على ثلاثة محاور رئيسة فيه، هي:

1- إقامة التوراة والإنجيل معاً.

2- اعتبار يسوع المسيح كلمة الله وروحاً منه حل عن طريق الملائكة في يسوع الناصري.

3- اعتبار هذا الحلول لكلمة الله في عيسى عليه السلام ظاهرياً لا تجسيداً، أي نفي الألوهية عن

المسيح والتي أحلتها المسيحية فيه.²

وعن حقيقة ما جرى تخبرنا به الآيات القرآنية، فقد كانت ولا زالت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم شاهدة على عمق وامتداد هذا الاضطراب القائم بين الكنائس المسيحية وتفرقتها ومؤثرة فيه بفضل حقيقة

(1) سورة النساء، الآية، 157.

(2) انظر: الحداد، يوسف درة، مصادر الوحي الإنجيلي، ص 316-323، مصدر سابق.

عيسى عليه السلام وشريعته السماوية كما جاءت في القرآن العظيم، فالنصرانية التي تصدّى لها بولس بالتحريف والتزوير والإنكار والابتداع هي دعوة عيسى التي بعث بها في عصرها الأول، وأما النصارى الذين آمنوا به من اليهود المنتصرين كما يصفهم الحداد في كتابه، فلا لبس في أنهم المجموعة التي آمنت بعيسى عليه السلام حين قال من أنصاري إلى الله فقال الحواريون نحن أنصار الله، صدّقه في ذلك إميل الخوري في كتابه (مؤامرة اليهود على المسيحية) عندما اعتبر مصطلح نصارى شتيمة من شتائم اليهود للمسيحيين، فليهود المئات من الأبحاث والكتب إضافة إلى ما وضعته من أناجيل نسبتها للمسيح تطعن بالمسيح وشريعته¹، وزبدة الكلام هو أن مصطلحي النصرانية والمسيحية قد عبرا تاريخ الصراع حول دعوة عيسى، والأمر جلي عند الخوري، فعندما نسب دعوة عيسى إلى اليهود سمّاها نصرانية وعندما نسبها إلى المسيح سمّاها المسيحية، والمقصود هو ما سمّاها اليهود لأتباع عيسى أنهم نصارى في بداية الدعوة، بينما سمّى المسيحيون أنفسهم نسبة إلى المسيح، بسبب ما أدخله بولس من أنواع البدع على النصرانية الأولى التي حدّقت بها إلى ما سُمّي الديانة المسيحية، ونُسبت إلى المسيح كونه الله المعبود وابن الله - تعالى الله علوا كبيرا عما يصفون - وبغض النظر عما فعله اليهود نتيجة كرههم للمسيح عليه السلام فإنه يُستشف من هذا أن أتباع عيسى عليه السلام كانوا هم النصارى في بداية الدعوة، وجاءت صفتهم هذه في القرآن أربع عشرة مرة، للإشارة إلى تصحيح معتقداتهم².

في حين أصبح أتباع بولس هم "المسيحيون" والذين يُنسبون إلى المسيح، رغم أنهم أتباع بولس فعلاً، وهذا هو ما أسس له بولس في عقيدة المسيحيين الذين عملوا على تعطيل العقل لديهم، وأثروا الابتداع الذي صنعه بولس على الاتباع للشريعة التي بُعث بها عيسى عليه السلام، بينما أيد تلك النظرية البروفيسور بيتر شيفر في كتابه (يسوع في التلمود) ما صحّ أنّه فعلاً يدعم ما توصلت إليه الدراسات البحثية فيما يخص لقب (نصارى) الذي أطلقه اليهود أيضاً على أتباع عيسى الحقيقيين في بداية الدعوة وحتى يومنا هذا، على اعتبار أنّ النصارى هم أولئك اليهود الذين آمنوا بعيسى ويعقوب

(1) انظر: حرب، إميل الخوري، مؤامرة اليهود على المسيحية، الفصل الثاني، ص35-36، دار العلم للملايين، مطبعة الكشاف، 1947، بيروت، لبنان.

(2) انظر: الموسوعة العربية الميسرة، حرف النون، ص3384.

الصغير ابن حلفى عليه السلام ودعوته، رغم أنّ تعريفه شمل يسوع بأنه مسيح اليهود المنتظر، وهو ما لا ولم تعترف به اليهود طبعاً، ولو أطلقت اليهودية الحاخامية على أتباع عيسى مسيحيين لكان هذا اعتراف منها أنّ عيسى هو المسيح المنتظر لدى اليهود حقاً، ولكنها تعمدت إطلاق اسم النصارى على أتباع يسوع المسيح المنفصلين عن الشريعة الأم وهي اليهودية، واعتبارهم هراطقة، وهو أمر أجمعت عليه كل المصادر الحاخامية بإصرار غير مسبوق¹. بينما يشتد الصراع حول تاريخ المسيحية والمسيح بعد انطلاق قطار الأبحاث النقدية للكتاب المقدس، ليستمر قرنين من الزمن في العصر الحديث، سيما وأنّ منهم من اعتبر عيسى من صوفية اليهودية نفسها مشككاً في أنه من بذر بذور المسيحية الأولى وينسبها إلى المتصوفة منهم، في مقدمة هؤلاء، وأول من دق باب نقد الكتاب المقدس الذي يحتوي على تاريخ المسيحية هيرمان ريماروس أستاذ اللغات الشرقية في جامعة كمبرج 1768، فبعد وفاته ترك وراءه مخطوطاً عن حياة المسيح يتكون من 1400 صفحة، رفض أن ينشره حال حياته، يدعم فيه نظرية أن لا وجود أساساً لما سُمي بنصرانية عيسى، وأنها مجرد تعاليم من إيمان اليهود المتشددة، وعن أنّ يسوع لا يمكن أن يكون مؤسس المسيحية، بل هو عبارة عن الشخص الأخير في مجموعة المتصوفة من اليهود، والتي تؤمن بالبعث والحساب، معتبراً أنّ المسيح لم يأتِ بدين جديد، وإنّ جُلّ ما في الأمر أنه جاء ليُنَبِّه إلى ما سيؤول إليه هذا العالم من زوال، انتظاراً ليوم القيامة، والموعود مع يوم المحشر الذي يُحاسب الناس فيه على أفعالهم²، رفض عقيدة ألوهية المسيح وقصة ولادته من غير أب، وعقيدة قيامته، وقال في الأناجيل هي كتب بشرية موضوعة بعيدة كل البعد عن الوحي الإلهي، نافياً أن تكون هناك ديانة جديدة أكبر عقائدها التثليث المنسوبة لعيسى بعد أن زوّج تاريخه وبخاصة في الثلاثين سنة الأولى لظهوره³، وبهذا يعتبر ريماروس مؤسس ورائد لمدارس النقد التاريخية للمسيحية منذ أوائل القرن الثامن عشر على الرغم من

(1) انظر: شيفر، بيتر، يسوع في التلمود، ترجمه وتعليق: نبيل فياض، ط1، ص 8 - ص 20، إصدارات جامعة برينستون، سنة 2007، المركز الأكاديمي للأبحاث، 2016، بيروت.

(2) المصدر نفسه، ص 203.

(3) بتصرف: موقع تكلا <https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/new-testament/84.html>

أنه رفض نشر مخطوطه، هذه بعض من حروب اشتعلت بين النقاد ورواد الكتابة الغربيين في مسألة تاريخ المسيحية منذ نهايات القرن السابع عشر ميلادي.

وفي معرض تجوالنا بين مدارس النقد التاريخي للمسيحية من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين تستنتج الباحثة ما يأتي:

1- لم يعترف ريماروس بنبوة عيسى عليه السلام، بل اعتبره مجرد متصوف يهودي بشر بزوال العالم، ومجئ يوم القيامة والمحشر لحساب الناس على أفعالهم، وبذلك ردَّ ريماروس جذور النصرانية الأولى إلى اليهودية.

2- اعتبر ريماروس أنّ المسيحية "مسيحية بولس" جاءت بعد المسيح عليه السلام وأنه ليس مؤسس المسيحية.

3- في حين عظّم الأستاذ الحدّاد من شأن بولس واعتبره مؤسس المسيحية ومتمماً لرسالة يسوع منذ فجر الدعوة.

4- وضع بولس رسائله بعد رفع عيسى عليه السلام، وقبل كتابة الأناجيل الأربعة المتداولة وجعلها الأسس للكتاب المقدّس لدى المسيحيين حتى يومنا.

5- فيما اعتُبر بولس بما تركه من إرث عقدي فوق المسيح نفسه في الأهمية لدى المسيحيين، ليحمل إرثه من خلال الحروب أتباعاً نشطوا وكافحوا واستنفدوا كل الأساليب الفكرية والعسكرية للتبشير بالديانة الجديدة.

الخلاصة التي تستنبطها الباحثة مما يقوده المنهج العلمي وفق التسلسل التاريخي للديانة: أنّ مسيحية بولس الرسول أو شاؤول اليهودي ليست هي بالمطلق شريعة عيسى عليه السلام، فالكنيسة والرهبنة والأفكار الوثنية كالغنوصية، بدع أصبحت ثوابت في عمق تلك الديانة، تلاها البابوية في العصور المتقدمة، وهو ما كشفت عنه الحركة النقدية لتاريخ تلك الديانة، وهو الحدّ الذي أدرك عنده ريماروس أنّ عيسى عليه السلام ليس هو مؤسس الديانة المسيحية الحالية، فدوّن ذلك في مخطوطه ولم ينشره، خوفاً من الفكر المضاد لطرحه ومن الكنيسة، ليموت مخنوقاً بما توصل إليه من حقيقة.

المسألة الثالثة: الإسلام يجزم في حقيقة عيسى وولادته ونبوته.

ويأتي الرد حاسماً ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على وحدانية الله سبحانه وتأكيداً على أنه وحده سبحانه من يتصف بالألوهية، فلا يُعبد معه سواه، ليكشف القرآن العظيم عن أن أصل دعوة عيسى عليه السلام هي (لا إله إلا الله) وتكفير أصحاب عقيدة التثليث التي روج لها وجعلها من أسس المسيحية المستحدثة شافول اليهودي أو الرسول بولس ونشرها بين الأمم المسيحية الحالية ومن سابق القرون عليها، وتكذيب حادثة الصلب لعيسى عليه السلام، وتطهير أمه البتول من محاولات الطعن فيها، وإعلان مصير كل من يؤمن بالثالوث بأنه كافر، وهو إلى جهنم مخلداً فيها، وأن لا إله إلا الله وحده لا شريك ولا ند ولا ولد، وأن عيسى ومحمد عليهما السلام هما رسولان من عند الله، وبذا فقد كسب الإسلام عداء اليهود والنصارى منذ ظهوره وحتى يومنا هذا، سيما وأن الإسلام كان واضحاً جلياً وحاسماً في الرد على ما زعمه أصحاب العقيدة المبدلة الذين اتبعوا مسيحية ما بعد عيسى عليه السلام، وقد بدا ذلك في العديد من الآيات القرآنية التي أظهرت ما آلت إليه نصرانية عيسى وما قام به أهل الكتاب اليهود والنصارى من تبديل وتحريف لكتبهم، بهدف طمس الحقائق وإخفائها، وقد وبَّخهم الله بما بدَّلوا وظلموا فقال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾**¹ وقد فصل ابن القيم معنى التحريف في "هداية الحيارى" بمجموعة من المعاني هي: لبس الحق بالباطل، الخلط بينهما وصعوبة التمييز بينهما، وإخفاء الحق بالكلية قولاً وعملاً والميل بالكلام عن مقصوده لفظاً ومعنى، والتفوه بغير الكلام المقصود حتى يُغمط مراده.² ولنا في قول الرازي لمن ناظره من النصارى في محمد والمسيح عليهما السلام شفاء فقال: **﴿إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ قَدْ شَرَّفَ عَيْسَىٰ وَهُوَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِهِ عَلَىٰ سَائِرِ خَلْقِهِ فِي زَمَانِهِ، تَبْيَاناً لَشِدَّةِ التَّشْرِيفِ مِنَ اللَّهِ لَهُ، فَكَمَا هُوَ حُبُّ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ، وَلَيْسَ أَنْ يَكُونَ وَلِداً عَلَى الْحَقِيقَةِ كَمَا يَفْتَرِي النَّصَارَىٰ، وَالِدًا لَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ وَمُحَمَّدَ حَبِيبَ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ سَبْحَانَهُ تَعَالَىٰ عَنِ الْخَلْقِ وَالْمَحَبَّةِ وَتَنَزَّهُ عَنِ الْوَالِدِيَّةِ وَالْوَالِدِيَّةِ وَشَرَّفَ جَمِيعَ أَنْبِيَائِهِ وَرَسَلَهُ بِمَعْنَى التَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ، وَلَيْسَ بِمَعْنَى**

(1) سورة البقرة، الآية، 159.

(2) بتصرف: الجوزية، ابن القيم، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية، ص 114-115، ط1، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 1429هـ، مكة المكرمة.

أنهم أولاده رغم أنهم فعلاً أحبأوه، وهذا يُفضي إلى عدم جواز القول عن عيسى أنه ابن الله أو ولد الله، وأضاف الرازي أن النصارى قالت المسيح ابن الله وهذا لا ينفي أن فئة منهم قالت بعبودية عيسى ورسالته، رغم ما كان ابْتُدِعَ في مسألة التثليث التي حصلت من النصارى الذين حرّفوا وبدّلوا¹.

وفي عيسى عليه السلام قال ابن تيمية: "إنَّ عيسى عليه السلام خلق بكلمة من كلمات الله، وهي (كن) فهو مخلوق، قال سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾²، فأدم خُلق من تراب، وبقي كذلك حتى قال الله له (كن) فنُفخت فيه الروح، أمّا عيسى عليه السلام فلم تجرِ عليه سنن الله في خلق البشر، فقد خلقه من ماء الأبوين وجعله في رحم البتول، ثم قال له (كن)، وبهذا تتضح الصورة التي خُلقَ عليها عيسى عليه السلام بكلمة (كن) وهي من كلام الله الغير مخلوق فيما صار عيسى في خلقه الله له مغايراً لطبيعة سائر البشر، لأنه ليس من تراب، ولهذا سُمي كلمة الله لينال تلك الصفة في الخلق وحيداً بين البشر، وبذا يأتي تفصيل ما سبق من أقوال متوافقا مع ما أوردته الشريعة الإسلامية بخصوص عيسى عليه السلام خلقه وولادته وبعثته، وكتابه، فهو الصحيح بالمطلق، وهو ما أوضحناه بالحجة والبرهان من كلام الله تعالى سبحانه مقارنة بما تضارب من تحليل وتحريف لشخصه عليه السلام، وما دلّت عليه القرائن من تبديل لدعواه ورسالته إلى بني اسرائيل من النصارى الذين نسبوا أنفسهم إليه فيما بعد فسُموا بالمسيحيين، وصولاً لعقيدة التثليث، الأمر الذي نحا بهؤلاء نحو الكفر نتيجة إشراك عيسى عليه السلام بالألوهية مع الله ونسبتهم إليه الولد وهو عيسى، تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً³.

إنها إذن علاقة الإيمان والتضمين من الإسلام لشريعة عيسى السماوية ، فالإسلام استرسل في الرفع من شأن المسيح وأمه، وهو من أقر بصدقه ومعجزاته، موضحاً أن شريعته وحيّ الهيّ وأنه رسول من الله آتاه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وبذلك هو من أوائل المدافعين عن دعوة عيسى عليه

(1) انظر: الرازي، أبو عبد الله، فخر الدين محمد بن عمر، مناظرة في الرد على النصارى، تقديم: عبد المجيد النجار، ص39-48، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986، بيروت.

(2) سورة آل عمران، الآية، 59.

(3) انظر: ابن تيمية، أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق القول في مسألة عيسى ابن الله والقرآن كلام الله، ص35-36، ط1، دار الصحابة للتراث والنشر، طنطا، 1412هـ-1992م.

السلام. ولالإمام الرازي قول جميل في هذا الباب: "الإسلام هو من سَفَّه كل من رمى المسيح عليه السلام وأمه العذراء ببهتان وقذف، تأباه فطرة المؤمن بالله ورسله وكتبه"، مفرقاً بين أصحاب الشرائع السماوية، وبين الوثنيين ليطلق عليهم القرآن في سورة آل عمران أهل الكتاب، تمييزاً ورفعاً لهم عن باقي الأمم الوثنية قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾¹، والإسلام أيضاً هو من أقرّ بما نزل مع عيسى من الإنجيل متمماً ومصدقاً لشريعة موسى عليه السلام ورسولاً إلى بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّورَةَ وَالْإِنجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾² فالإسلام لم يهاجم دعوة المسيح، ولكنه هاجم البدع وما خُرِّفَ وَزُورَ فيها³

والخلاصة هي تمام قول الإسلام: في حقيقة عيسى ونبوته ودعوته، فهو نبي الله إلى بني إسرائيل، وهو لم يدعُ الناس إلى عبادته، ولا قال بأنه ابن الله، ولا ادعى الألوهية، وكتابه إنجيل واحد وليست أنجيل متعددة وأعمال رسل! كانت ولادته معجزة وحقيقة دعوته إلى الله بعبوديته سبحانه، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد، لا شريك له ولا ند ولا ولد، تتقد دعوته بالعاطفة والحنان على هؤلاء القوم الذين ابتعدوا عن جادة الصواب، وكانت وفاته ورفع معجزة ليس لبشر أن يتكهن فيهما، فإنما هما شأن الخالق عز وجل.

وخلاصة ما استنبطته الباحثة في هذا الشأن:

1- كشف حقيقة الديانة المسيحية التي يدين بها اليوم العالم غريبه وشرقيه وأدبياتها المستحدثة المدونة بعد عقود من دعوة المسيح كما يقول الحداد بواسطة بولس الرسول، واختيار الباحثة للأستاذ الحداد كونه دون اعترافاً صريحاً من خلال مؤلفاته اللاهوتية عن الفرق بين نصرانية عيسى ومسيحية بولس، فأقر بأن المسيحية الحالية إنما هي ديانة بولس ومن استحدثته، وإن اختلفت الفترة الزمنية التي بُدئ بها تدوين المسيحية بين المؤرخين النصارى أنفسهم، إلا أن ذلك يدل على صدق النظرية التي

(1) سورة آل عمران، الآية، 64.

(2) سورة آل عمران، الآية، 48.

(3) انظر: الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر، مناظرة في الرد على النصارى، ص 39-48، مصدر

سابق.

تدعم ابتداء بولس لمسيحيته من على أكتاف حقيقة شريعة عيسى عليه السلام، وتلك شهادة كبرى كما يراها الحداد لحقيقة المسيحية!، وكما يصفها بالبرهان القاطع على صدق دعوة بولس الرسولية لمطابقتها إنجيل عيسى!¹.

2- فرسائل بولس تتميز عن "إنجيل عيسى" بأسلوبه الكلامي الخاص النابع من البيئتين (الإسرائيلية) والهلنستية كما يصفها الحداد!

3- فبينما تأكدت صحة نظرية ريماروس من القرن الثامن عشر حول ما اعتبره أستاذ اللاهوت الحداد عن رسائل بولس أنها ضمن العهد الجديد وفي منزلة قدسيته لدى مسيحيي العالم، ظهر وجه الاختلاف في الرؤى اللاهوتية والاتفاق في الرؤى التاريخية بينهما، رغم المساحة الزمنية الكبيرة جداً الفاصلة بينهما، فالحداد أقرّ فعلاً بأنّ المسيحية هي ديانة بولس الرسول، وهو مؤسسها، بينما كشف ريماروس أنّ عيسى فعلاً ليس هو مؤسس المسيحية، وإنما هو آخر متصوفة اليهود الذين آمنوا بالمحشر والمنشر والبعث والحساب!.

4- وأما إنجيل عيسى "الكتاب السماوي" فكان ذلك الجسر الذي عبرت فوقه مسيحية بولس بعد أن اندثرت شريعة عيسى عليه السلام، فدعوة عيسى كانت خاصة ببني إسرائيل، وجعلها بولس أممية، وكتاب عيسى إنجيلاً واحداً وجعل منه بولس أربعة أناجيل، وعيسى لم يتعبد لله في كنيسة كما للمسيحيين اليوم على اختلاف طوائفهم، وأما بولس فأسسها ونشرها في البلاد، وعيسى لم يتعبد بالصور والأقانيم والرسومات على الجدران، وتعبد بها بولس، وعيسى لم يتخذ الصليب شعاراً له واتخذه بولس، وعيسى لم يقل عن نفسه إله، وجعل بولس منه إلهاً يُعبد مع الله، فهو القائل: "والله نفسه أبونا وربنا يسوع المسيح يهدي طريقنا إليكم".² ثم صار قول بولس مقدماً على قول عيسى، رغم أنه لم يُعترف برسائل بولس إلا في ما بعد 264 م.³

(1) انظر: الحداد، يوسف درة، مصادر الوحي الإنجيلي، ص7، مصدر سابق.

(2) أعمال الرسل 4: 11-12.

(3) انظر: الحداد، يوسف درة، مصادر الوحي الإنجيلي، ص310-329، المصدر نفسه.

المبحث الثالث: من أهم المرتكزات التي تقوم عليها المسيحية الكتاب المقدس بعهديه.

تمهيد:

استمرت المسيحية ما يقارب الأربعة قرون إلا قليلاً بعد ميلاد المسيح بدون كتاب مقدس يُعرف لها بشكل رسمي على الرغم من اعتبار أتباعها لها الدعوة التي تمتت شريعة موسى عليه السلام، فلم تتسخ المسيحية شريعة موسى بل اعتبرت العهد الجديد أو الإنجيل متمماً للتوراة: (لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل فإنني الحق أقول لكم إلى أن تروا السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل)⁽¹⁾، وفيما أقرّ المجمع الكنسي في نيقية عام 325م⁽²⁾، ما عُرف بقانون الإيمان النيقية، وفيه أن الكتاب المقدس المسيحي هو التوراة والإنجيل كلاهما معاً، مفرقين بينهما باسم العهد القديم للتوراة والعهد الجديد للإنجيل، افتقرت المسيحية كديانة إلى وجود النص الأصلي منذ عهدها الأولى في القرن الثالث والرابع للميلاد مما حدا بالمانويين (أصحاب ماني) والوثنيين أيضاً (أصحاب سلسوس) إلى القول بأن المسيحيين بدّلوا أنجيلهم مراراً وتكراراً وبأنها ليست الأنجيل التي تُنسب لأصحابها الأصليين، وأنّ الإنجيل ما كتبه المسيح ولا حواريه، بل في حقيقته يُنسب إلى رجل مجهول النسب، وأمّا المسلمون فقد ساروا شوطاً بعيداً في عملية النقد لتلك الكتب المقدسة ضمن ضوابط علمية مشددة لم تبدأ عند المسيحيين إلا بعد قرون طويلة من تحكّم الكنيسة بالإيمان المسيحي وأتباعه ضمن ما أُطلق عليه الحركة النقدية

(1) انجيل متى 5: 17:18.

(2) مجمع نيقية الكنسي عام 325م: هو أحد أهم المجامع (المؤتمرات) الكنسية المسيحية على الإطلاق، ودعا إليه الإمبراطور الروماني قسطنطين عام 325م، وتم فيه الإقرار على ما عرف أنه الإيمان النيقاوي، والذي أقر ألووية عيسى وفق عقيدة بولس التي تتفق مع الكاهن اثناسيوس في أن المسيح إله أزلياً، على اعتبار انه ابن الله على عكس ما كان ينادي به أريوس، وهو أن المسيح إنسان يتفوق على بني البشر في كثير من الأشياء، ولكنه إنسان ونهايته الموت، إضافة إلى أن أريوس كان ينادي باعتماد إنجيل برنابا كتاباً مقدساً لدى المسيحيين الذي بشر بنبوءة محمد صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي جاء مغايراً لأنجيل بولس الإزائية (المتشابهة)، والتي أقرها مجمع نيقية كتاباً مقدساً للمسيحيين بعد أن أمر بحرق جميع الأنجيل الأخرى، وكانت حوالي الثلاثمائة إنجيل كلها حُرقت، وحكم على أريوس وأتباعه بالكفر والهرطقة، وطردهوا واضطهدوا من الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد وباقي الطوائف (موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، سعدون الساموك، ص277، ط1، الأردن، عمان 1422هـ-2002م)

للكتاب المقدس، والتي كشفت عن مدى ما تعرضت له تلك الكتب المقدسة من تحريف كانت أعظم أسبابه أن تلك الكتب دُوِّنت بأيدي بشرية، ولها مؤلفون عدة، إضافة إلى أن الدراسة النقدية لمراحل تدوين التوراة والإنجيل كشفت عن أنها مجرد نتاج بشري من قبل أحبار اليهود والمسيحيين، معتمدين على مصادر شفوية وأقوال متوارثة بينهم، ليتم التدوين للعهد القديم بعد زمن موسى بسبعة قرون في أثناء السبي البابلي أو بعده عام 537 ق.م، والبارز في الأمر أنه لا وجود لنص مخطوط يعود إلى تلك الحقبة الزمنية، وكذا الأمر في أنجيل العهد الجديد التي دُوِّنت بعد المسيح بعقود طويلة، من القرن الأول الميلادي، وأقدمها أنجيل مرقس في عام 64-65 م، و إنجيل متى ولوقا في عام 70م، وقبل ذلك سفر أعمال الرسل وتم تدوينه بين عام 51م-67 م، على الرغم من أن عيسى عليه السلام لم يترك كتاباً، وإنما مجرد أقوال، ومع نهاية القرن الأول الميلادي كانت نهاية التدوين بإنجيل يوحنا، ويفتقر العهد الجديد كسابقه إلى نص مخطوط يعود إلى حقبة تدوينه، الأمر الذي ينفي عن تلك الكتب صفة الوحي الإلهي⁽¹⁾، وهو ذاته الذي توصل إليه د. يوسف الصديقي بأن شريعة عيسى عليه السلام التي جاءت مكتملة لرسالة التوراة قد تبدلت على يد بولس بشكل تم فيه القضاء على جوهرها لتعتقها الأمم الوثنية بعد أن أصبحت المسيحية، والتي كان عليها أي - مسيحية بولس- أن تسعى لتنظيم نفسها ومنذ القرن الأول الميلادي بعيداً عن الرسالة الأم وهي اليهودية بما أصبحت تحمله لها من عداء مبكر⁽²⁾، ومن ثم قدمت نفسها على أنها حركة إصلاح وتصحيح للديانة الأم، وبشارة إلى جميع الأمم، وأما عيسى عليه السلام فكان أول فجر لدعوته في بني إسرائيل على وجه التحديد، واستمرت دعوته في بني إسرائيل حتى تواريه عن الساحة نهائياً.

(1) انظر: الكلام، يوسف، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقدیس، ص 79-80، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق 2009م.

(2) انظر: الصديقي، يوسف محمود محمد، عقيدة الديانة المسيحية قراءة نقدية، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ص 573-578، العدد الثلاثون، جامعة قطر، 1433هـ-2012م.

المطلب الأول: الكتاب المقدس.

يشكل الكتاب المقدس بعهديه الشطر الأعظم في المرتكزات التي بُنيت عليها مسيحية بولس منذ قرون المسيحية الأولى بعد أن توارى عيسى عليه السلام عن المشهد، والكتاب المقدس هو الذي أسهم عميقا في بلورة أدبيات كلتا الديانتين اليهودية والمسيحية التي تعتبر المصدر الرئيس العقدي للصهيونية المسيحية.

المسألة الأولى: تعريف الكتاب المقدس.

يُطلق علماء اللاهوت على كتابي التوراة والإنجيل (الكتاب المقدس) ، حيث يتناول هذا الكتاب مجموع الأسفار الإلهية التي كتبها الأحرار والقديسون بإلهام من الروح القدس كما يزعمون، المكونة للعهدين القديم والجديد والمؤلفة من 66 سفرًا، 39 للعهد القديم و27 للعهد الجديد، وسُمِّي الكتاب المقدس مرة واحدة بهذا الاسم تمييزاً له عن الكتابات غير المقدسة⁽¹⁾.

والأسفار تلك هي: الطائفة من الكتب التي اعترفت بها الكنيسة كقواعد للإيمان المسيحي وتسمى الكتب القانونية والكنسية والشرعية، تم إقرار الكتاب المقدس بشقيه بعد أن اضطروا لجمعه من الكتابات التي تقرأ في الكنائس الكبرى في القرن الرابع الميلادي، فيما ترى الكنيسة أن العهد الجديد هو إلهام من الله رفض أرنست رينان وهو فيلسوف ومفكر فرنسي فكرة الإلهام أو المعجزة في الكتب السماوية وطالب بعرضها على النقد وقواعده كونها مجرد نصوص كما فعل المستشرقون مع القرآن والسنة النبوية⁽²⁾ ، ويمثل الكتاب المقدس لدى مسيحيين العالم : مجموع الكتب المتعلقة بخلق العالم وفدائه وتقديسه وتاريخ علاقة الله لشعبه! وفيه نبوءات تُفسر نهاية العالم، وقد دُوّن هذا الكتاب بأيدي أربعين من الكُتّاب، فيهم الراعي والصيد ومحصل الضرائب والقائد والنبى والسياسي والملك ! خلال ألف وستمئة عام، جميعهم يهود، خلا لوقا، فإنه من أبوين وثنيين من غير اليهود من أنطاكية،

(1) انظر: المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد، أطلس الأديان، ص32، ط1، العبيكان للنشر، الرياض، 1428هـ-2007م.

(2) انظر: شالي، فيلسيان، موجز تاريخ الأديان، ص227-228، ط2، ترجمة: حافظ الجمالي ، دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق، 1994م.

وكاتب لواحد من الأناجيل الأربعة المعتمدة في المسيحية، تتغاير أساليب الكتابة في تلك الكتب بين النثر والشعر والتاريخ والقصص، وتشتتت في الوقت الزمني لكتابتها خلال صراع أدبي يظهر بوضوح تقضه جودة اللغة التي دُوت فيها بين كاتب وآخر، نظراً لتناثر الأحوال والظروف والقرون، سيّما وأن أغلب العهد القديم لغته عبرانية مع قليل من الآرامية الخاص بعقائد يهود، وعن لغة العهد الجديد فهي اليونانية المطعمة بألفاظ عبرانية دخلت على تاريخ المسيحية عبر القرون، ولكنها من المصادر والأصول في اللاهوت المسيحي⁽¹⁾.

واللافت ما يقوله اللاهوتيون الذين ألفوا قاموس الكتاب المقدس من: إنّه وحي سماوي استمر بالنزول والإلهام على الذين كتبوه ألفاً وستمئة من الأعوام! وهذا التعريف يقودنا إلى تساؤل هو: أين صفة الوحي في هذا الكتاب؟ كيف لكتاب مقدس يُكتب بأيادي مئات الأشخاص أو أكثر على مرّ القرون ومن جميع فئات الشعب، الراعي والنجار والراهب والكاهن وغيرهم وبالإلهام؟ لتستمر كتابته ألفاً وستمئة سنة! مما يقودنا إلى التساؤل عن مدى مصداقية النصوص فيه، ومصداقية مصادرها؟ وتلك التساؤلات البديهية تعود بنا إلى بدايات المسيحية في قرونها الأولى بعد رفع المسيح، فمن خلال إلقاء نظرة موضوعية على تلك الحقبة التاريخية سيتبين لنا ماهية الكتاب المقدس وفق الأحداث وتفاعلاتها مع أفراد بارزين عملوا على فرض أسلوبهم الخاص في تدوين الكتاب المقدس الذي تعتمده المسيحية الصهيونية مرجعاً عقدياً أصيلاً لكل ما صارت به، ولا تزال الأحداث في فلسطين والقدس بخاصة. تقول المؤرخة الأمريكية بربارا توخمان: "إنّ نبوءات العهد القديم استُغلت من قِبَل اللاهوتيين المسيحيين والكنيسة في تحقيق بعض الرموز المسيحية كما في حال القول بأن المسيح المنتظر في النبوءة التوراتية تحققت بظهور المسيح عيسى عليه السلام والكثير من التفسيرات للرموز المسيحية، تمّ تلبسها لسطور العهد القديم من قِبَل الكنيسة لأحداث سوف تقع، بدت بعد مئات السنين غير عقلانية"، هذا ما استنتجته توخمان بعد تحليلها لآراء الكاتبين هيويم وهويس بعد اختبارهما المعمق لأسس المسيحية وبعد كشف الكاتب أنتوني كولينز عن حقيقة نسب كتاب دانيال الذي دُون في العصر المكابي، ولم يؤلفه دانيال نفسه، بل وتوصل بعض المفكرين الغربيين إلى عدم كتابة موسى

(1) انظر: طاهر، أحمد، الأناجيل دراسة مقارنة، ص14-18، وص 50-52 دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

للأسفار الخمسة في العهد القديم والتي تُنسب إليه ⁽¹⁾، وأما ما نعتقده نحن المسلمين في تورا موسى عليه السلام فوضحته لنا آيات القرآن الكريم بالعديد من المواضع في الآيات والسور، فالتورا وحي إلهي لبني إسرائيل لهدايتهم، وتنوير سبل العبادة التي فيها أسس الحياة القويمة لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ⁽²⁾ وقال تعالى ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ ⁽³⁾ وأما الأسفار الخمسة فإنها من صناعة الديانة اليهودية، وليست تورا موسى عليه السلام والديانة اليهودية التي نسبها مختلقها إلى بني إسرائيل وإلى موسى زورا ودجلا، فموسى مسلم ورسالته الإسلام وفي الآية: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ ⁽⁴⁾ وخلاصة الحديث هنا أنه لا ينبغي لنا تجاهل ما يرمز إليه النص الديني في ديانات العالم، سواء منها السماوية أم الوضعية، لما في ذلك من تأثير على استمرار تلك الديانة وزيادة أتباعها ومن ثم استمراريتها، فاليهود يزعمون أن إرثهم العقدي المستمد من نصوص التورا، والتلمود هو وحي سماوي، بينما يعتقد المسيحيون أن بنيانهم العقائدي المتوارث بعد المسيح أساسه الوحي السماوي في العهد القديم والعهد الجديد، وأما المسلمون فتسقط عندهم أي عقيدة ليس لها أصل في القرآن، وجافتها السنة النبوية الصحيحة، وهو ما جزم به ابن حزم على سبيل المثال في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل).

الأمر الذي ثبت لديهم بما لا يدعو للشك أن الكتب السماوية المعتبرة لدى اليهود والنصارى وإن حوت بعضاً من النصوص التي تعتبر وحيًا حقيقياً إلا أنها بالمجمل قد استهدفت من قبل أهواء البشر التي تلاعبت في نصوصها إلى درجة التحريف والتبديل والوضع بما فرضته عليهم مصالحهم الآنية

(1) انظر: توخمان، بربارا، الكتاب المقدس والسياف انجلترا وفلسطين من العصر البرونزي إلى بلفور، ص11-12،

ج2، ط1، ترجمة، منى عثمان، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1424هـ-2004م،

(2) المائة 44.

(3) آل عمران 3.

(4) يونس 84.

والزمنية، والتي نفت عنها بعد ذلك فكرة الوحي الإلهي⁽¹⁾، فالكتاب المقدس الذي يعتبر من مرتكزات المسيحية الآن والمرجع العقدي الأساس والرئيس للمسيحية الصهيونية هو الذي يحتوي على تناقضات وتنازلاً وشدة تباين في نصوصه باعتراف النقاد مؤمنين وغير مؤمنين وبعتراف الحركة العلمية الغربية، فنصوص الإنجيل تدعي على الله الأبوة والنبوة - تعالى الله علواً كبيراً - بينما تلك النصوص صدقت بولس اليهودي، ونسبت الأناجيل إلى الله، رغم أن كل إنجيل له صاحب هو مؤلفه فتقول المسيحية إنجيل متى وإنجيل لوقا وإنجيل مرقس وإنجيل يوحنا إضافة إلى أنها تقديس بولس، وتدعي أنه رسول عيسى كلفه بالكرامة إلى الأمامين وأما العهد القديم، فله في عدم الضبط وقلة الأسانيد وانعدام الموضوعية الشوط الكبير، فتدعي نصوصه التي يصفونها بالقداسة وبأنها وحي إلهي، تدعي على الله صفات الإنسان من ضعف ونوم ونسيان وغيره، وتنفي النبوة عن أنبياء الله، فتصفهم بصفات لا أخلاقية، كالزنى وشرب الخمر، وغيره، بينما تضيف هالات من القداسة على أبحارها وحاخاماتها، فلوط زنى بابنتيه، ونوح شرب الخمر، وسليمان عابد للأوثان، وداود قتل قائده العسكري الحثي ليختلي بزوجته، هذا بعد أن اعتبرتهم نصوص التوراة مجرد ملوك لبني إسرائيل بعد شاول أو طالوت، ولم تنسبهم إلى الأنبياء المرسلين أصلاً، وهنا تبرز أهمية وجود النص الديني الأصلي في إثبات حقيقة الوحي الإلهي في نصوص الكتاب المقدس، الذي يُعتبر المرتكز الأول في عقيدة كل من اليهود والنصارى حتى يومنا، بل فيه قال عالم اللاهوت سكروجي البروتستانتى والعضو في معهد مودي للكتاب المقدس في كتابه (هل الكتاب المقدس كلام الرب) قال: إنّه من وضع البشر، ودون أيديهم ويقصد بذلك العهدين القديم والجديد⁽²⁾، وعليه فلا بد لنا من القول إنه سيكون طبيعياً خروج عملية النقد اللاهوتي في تاريخ تلك الديانتين الوضعيتين من أصحاب العقول الراجحة الغربية التي تمتلك المنهجية العلمية الموضوعية، أداة من أدوات البحث العلمي، لتضع يدها على المراحل التي مرّ بها الكتاب المقدس بعهديه، ثم يوضع تحت مجهر الدراسات النقدية من جانب النقاد الغربيين، لتطويع

(1) انظر: ابن تيمية الحرّاني، أبو العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحلّيم، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ص36، م1، ط2، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرين، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ - 1999م.

(2) انظر: الكلام، يوسف، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، الإصدار الأول، ص63-65، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2009م

النص الديني للدراسة والنقد، للوصول إلى حقيقته! نريد نحن المسلمين أن يتوصل علم النقد اللاهوتي في تاريخ تلك الديانتين إلى حقيقة نسبة تلك النصوص إلى أنبياء الله موسى وعيسى المسلمين، أو إلى حقيقة أنهما عبارة عن مآثور تاريخي للأحبار والرهبان عبر تاريخ تلك الديانتين والتساؤل البيهبي نفسه هو الذي نطرحه من بوابة البحث العلمي:- هل النصوص الدينية في العهدين القديم والجديد وحي إلهي؟ هل هي متصلة الأسانيد؟ أم أنها نصوص بشرية استمرأتها اليهودية والمسيحية بسبب وجودها إرثاً عقدياً؟.

المسألة الثانية: العهد الجديد (الإنجيل).

العهد لغة: العلم واليمين والميثاق والزمان والوصية والوفاء والذمة والأمان، والعهد كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من الموائيق عهد، وعهد إليّ بكذا أي أوصاني، وعهد الله ميثاقه.⁽¹⁾

الجديد لغة: وجذرها من جدد يجدد وجديد والمصدر الجِدَّة، وجدد الشيء صيره جديد، وجدد البيت أصلحه ورمّمه⁽²⁾

والعهد الجديد اصطلاحاً: هو مجموع الأسفار التي تؤرخ لحياة المسيح عليه السلام والاعتقاد به وللكنيسة في عهدها المبكر، دُوّن العهد الجديد باللغة العامية اليونانية لغة العصر السائدة آنذاك "رغم أن عيسى كان يتكلم الآرامية"، ومجموع أسفاره سبعة وعشرين سفرًا، تنقسم إلى أربعة أقسام هي الأناجيل، وأعمال الرسل، أو الأسفار التاريخية، الرسائل وهي الأسفار التعليمية لكل من بولس وبطرس، ويوحنا، ويهوذا، ويعقوب، وسفر الرؤيا المختص بالوهية عيسى، تشكل تلك الأسفار القانون الكنسي والكتاب المقدس رغم أنها ليست قطعية الثبوت حتى لمن قاموا بتدوينها⁽³⁾، والأناجيل أربعة قبلت بها الكنيسة رغم جهالة مؤلفيها ومن ثم تدريجياً نسبت الكنيسة تلك الأناجيل إلى اثنين من حواربي عيسى عليه السلام، هما: متى ويوحنا، باعتبارهما من حواربي عيسى عليه السلام، معهما إثنين من أتباعهما هما: لوقا ومرقص، ليعتبر هؤلاء الأربعة مؤلفي الأناجيل، التي تُعتبر أساس العهد

(1) انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ص111، م3، دار صادر، بيروت .

(2) انظر: ذات المصدر، م3، حرف د، ص311.

(3) انظر: الموسوعة العربية العالمية، ج16، ص708.

الجديد وأصله⁽¹⁾، اختلفت الأناجيل الأربعة في طريقة نسخها بعد تأثرها ببيئة ناسخها، بينما كان وجه التوافق بين أناجيل متى ولوقا ومرقص أن موضوعها كان حياة المسيح وصلبه وموته وقيامته، مع اختلاف طبيعة كل حدث عند أصحاب الأناجيل⁽²⁾، ومن أبرز وجوه الاختلاف بين تلك الأناجيل: شكل النص الأدبي فيها، فعباراتها مختصرة، وتتضمن قصص قصيرة يُطلق عليها الأمثال، بينما كانت عبارات إنجيل يوحنا على سبيل المثال مطولة، ورغم توافقتها في معالجة الحدث نفسه في النص كما أسلف، إلا أنها اختلفت في نظرتها إلى عيسى عليه السلام في طبيعة شخصه ودعوته، فمتى اعتبر عيسى مشرّعا يوجه الكنيسة والنصارى، ومرقص يُتخيل إليه أنه المنقذ والملك للبشر جميعاً، بينما ركّز يوحنا في إنجيله على ألوهية عيسى المزعومة! ويذهب كثير من العلماء إلى أنّ إنجيل مرقص أقدم الأناجيل، باعتبار أنه كُتب مباشرة، بعد أو قبل استيلاء الرومان على القدس عام 70م واعتبر فيه المسيح خادماً⁽³⁾، وأنّ إنجيل متى ولوقا كُتبا في وقت متأخر، ومحتوى هذين الإنجيلين يشير إلى أنهما على اطلاع بما ورد في إنجيل مرقص، رغم أنهما لم يكونا على علم بإنجيل كل منهما للآخر، وأما إنجيل يوحنا فهو آخر الأناجيل المكتوبة، وكتب في تسعينات القرن الأول الميلادي⁽⁴⁾، واتفقت الكنيسة الأرثوذكسية في عدد الأسفار، فالعهد الجديد عندما يكون مقصود به الإنجيل فهو عبارة عن سبعة وعشرين سفرًا في الإيمان الأرثوذكسي، وعندما يكون المقصود بالعهد علاقة الله بشعبه فإن هذا العهد له عدة مضامين، منها: أن هذا العهد هو العلاقة الغير مشروطة بين الله وبين بيت إسرائيل وبيت يهوذا لمستقبل بني إسرائيل⁽⁵⁾، ولأن من أبرز مهام البحث العلمي احترامه للعلم وسعيه وراء الحقيقة بمنهجية وموضوعية يسعى فيهما للحفاظ على كرامة العلم، فإن

(1) انظر: الموسوعة العربية العالمية، ج16، ص708، نفس المصدر.

(2) هيرمان، بارت، الاقتباس الخاطئ عن المسيح، ص95-98، ترجمة: فادي مرعشلي، شعاع للنشر والعلوم، سوريا، حلب 2009 م.

(3) انظر: نفس المصدر.

(4) انظر: وافي، علي عبد الواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص67، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1384هـ - 1964م.

(5) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص643-644، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص واللاهوتيين، دار الثقافة، القاهرة، 1995م.

الدافع الأول لإماطة اللثام عن ماهية كتاب مقدس يُؤلف بعد عشرات السنين من بعثة نبيه كان هو بيت القصيد في حيثيات هذا البحث، بسبب أولي وهو أنه يشكل أسس عقيدة المسيحية الصهيونية، التي تعتبر احتلال القدس وفلسطين على رأس مهماتها، كونها تحقق النبوءة التوراتية فيما يزعمون أنه بيت الرب إله إسرائيل، بينما كانت سياسة الملك الفارسي كورش مطابقة لتحقيق أحلامهم، في حين تحققت تلك الأحلام بأيادي صهاينة العصر تساندها مسيحية صهيونية ومتهودة، يقول عزرا: "ولما سمع أعداء يهوذا وبنيامين أن بني السبي بينون هيكلاً للرب إله إسرائيل تقدموا إلى زربابل ورؤوس الآباء وقالوا لهم: نبني معكم، لأننا نظيركم نطلب إلهكم، وله قد نبنا من أيام أسرحدون ملك آشور الذي أصدنا إلى هنا، فقال لهم زربابل ويشوع وبقيّة رؤوس آباء إسرائيل: ليس لكم ولنا أن نبني بيتاً لإلهنا ولكننا نحن وحدنا نبني للرب إله إسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس، وكان شعب الأرض (الكنعانيون العرب) يُرخون أيدي شعب يهوذا ويُذعرونهم عن البناء، واستأجروا ضدهم مشيرين ليبطلوا مشورتهم كل أيام كورش ملك فارس، وحتى ملك داريوس ملك فارس"⁽¹⁾.

وعليه صار لا بد أن نَسْأَلَ بصوت مسموع: أي كتاب مقدس هذا الذي تُدَوِّنه لغات وترجمات ومؤلفون ومترجمون عدة؟، واستكمالاً، فالعهد الجديد ضمن الإيمان المسيحي في الموسوعة البريطانية: هو إلى حد بعيد الجزء الأقصر من الكتاب المقدس المسيحي، لكن من خلال ارتباطه بانتشار العقيدة صار له تأثير بعيد جداً عن حجمه المتواضع كالعهد القديم، فهو عبارة عن مجموعة من الكتب تحتوي مجموعة متنوعة من الأدب المسيحي المبكر، تتعامل الأنجيل الأربعة مع الحياة والشخص والمجتمع المسيحي وفق تعاليم يسوع، وأما الجزء المتكون منه من أعمال الرسل والتي هي عبارة عن مراسلات بين قادة مختلفين للكنيسة⁽²⁾ المسيحية المبكرة فتتعلق لنا قصة المسيحية من قيامة يسوع إلى نهاية حياة القديس بولس بالذات⁽³⁾. وهنا نستنبط دور مناهج العلم الحديث وحركات الكشوف الأثرية والدراسات النقدية وجميعها أسهمت في إثبات عدم صدق ما يدّعيه اليهود والنصارى

(1) العهد القديم 4: 1-5، مصدر سابق.

(2) انظر: الموسوعة البريطانية، العهد الجديد الوصف والتاريخ، <https://www.britannica.com/topic/New-Testament>.

(3) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص 87-89، المصدر السابق.

في كلا العهدين، بينما هو في حقيقة الأمر ما تقوم عليه المسيحية الصهيونية من أسس تعود إلى نبوءات كلا العهدين في عودة المسيح وحكمه العالم في ألفية جديدة من القدس، التي تُعتبر قيام دولة الصهاينة إسرائيل هو بمثابة خطوة أولى تتبعها خطوات كانت ولا زالت العقيدة التي تستقي منها المسيحية الصهيونية فكرها وأسسها العقديّة، وفي ذلك جزم الناقد والمفكر الفرنسي شارل جينبر عندما قال: " إن الكنيسة لم تتمكن من الانتصار خلال القرن الرابع إلا بفضل إنهمال الإيمان الأول الذي يمكن أن نسميه بإيمان الإثنى عشر"⁽¹⁾. يقول ابن خلدون في المقدمة إن المقصود بكلمة العهد: هي الأمانة التي صيغت شرائعها في مَجْمَع نيقية 325م بأمر من الإمبراطور الروماني قسطنطين، بسبب ما كان من اختلاف المسيحيين في قواعد دينهم، بأيدي 318 أسقفٍ حرّروا شريعة تلك الأمانة، بعد اتفاقهم على رأي واحد في الأصل الثابت لقواعد دينهم ناتج عن الأحداث التي كانت بعد تفرق حواربي عيسى في البلاد، ومنها بلاد الروم وبخاصة روما، لتُدَوّن الأناجيل الأربعة، وتُضاف إليها الرسائل الكاثوليكية السبعة مع أربع عشرة رسالة لبولس، وهو ما اتفق على أنه العهد الجديد⁽²⁾، فيما فسّرتَه دائرة المعارف الكتابية الأرثوذكسية: بأنّه عهد وثقّة الله بينه وبين شعبه من الذين آمنوا بعيسى من اليهود واتبعوه، فالأناجيل المنسوبة إلى عيسى هي العهد الجديد⁽³⁾.

نستخلص إذن: أنّ العهد الجديد في أدبيات المسيحية هو ما يُشكل أساس اللاهوت المقدس للمسيحيين، باعتباره الجزء الثاني من الكتاب المقدس، وهنا لا بد من الإشارة إلى جزئية هامة، هي أنّ اليهود تعتبر التوراة هو الكتاب المقدس ولا تعترف بالأناجيل المتداولة حتى يومنا هذا لدى المسيحيين، على نقيض من المسيحيين الذين يعتبرون كلا العهدين هما الكتاب المقدس، وهم أصلاً من أطلق اسم العهد القديم على التوراة والعهد الجديد على الأناجيل، لاستمرارية الميثاق والوعد الإلهي لبني إسرائيل، رغم ما اعتبرت الكنيسة نفسها إسرائيل الجديدة بديلاً لليهود الذين سلّموا المسيح للرومان لإعدامه، كما أسلفت في بحثي هذا سابقاً.

(1) انظر: جينبر، شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، ص1، تحقيق: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

(2) انظر: ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ج1، ص414-416، ط1، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق 1425هـ- 2004م.

(3) انظر: دائرة المعارف الكتابية المسيحية، قاموس الكتاب المقدس، مصدر سابق.

ولكن ثمة تاريخ مُدَوّن وإثباتات علمية حول عدم مصداقية العهد الجديد الذي اعتُمد في القرن الميلادي الرابع كتاباً مقدساً لدى المسيحيين، إذ أنه يُعتبر خلاصةً لمجموع القرارات التي صدرت إلى يومنا هذا لدى المسيحيين، عن مجمع نيقية عام 325 ميلادي، في حين بقي المسيحيون طوال تلك القرون من الأول حتى الرابع ميلادي بعد عيسى عليه السلام بدون كتاب أساساً هذا تماماً بين أنّ تلك الأناجيل التي تُنسب لأسماء مؤلفين ليسوا أصحابها الحقيقيين، إنما تفتقر وبشكل جلي إلى وجود النص الأصلي لها، فلا وجود لأصل صحيح منها يُنسب إلى عيسى عليه السلام أو أحد معاصريه⁽¹⁾، فمتى ومُرُفُس ولَوْقا ويُوحنّا لم يكتبوا من هذه الأناجيل شيئاً، فلا يوجد دليل تاريخي يكشف عن أن هؤلاء هم مؤلفو الأناجيل، بخاصة أنّ تلك الأناجيل كُتبت في أماكن مختلفة، وفي ظروفٍ تفتقر إلى الموضوعية، إضافة إلى أنّ متى ويوحنا صاحبي الإنجيل الأول والرابع لا علاقة لهما بتلميذي المسيح الأصليين متى الحواري ويوحنا الحواري، مما يُظهر أنّ كل ذلك التراث الذي بُنيت عليه زائفاً منذ البداية، باختلاف اللغة لترجمة العهد الجديد بيّن، وهو الذي فتح المجال أمام معاول البحث العلمي التي كشفت عن افتقار الكتاب المقدس بِشَقِيهِ العهدين القديم والجديد إلى الإسناد حتى بعد الاستعانة بعلم فقه اللغة واللسانيات "الفيلولوجيا **philology**"، الذي أدى إلى المقارنة بين النصوص اللغوية والتاريخية بأيدي خبراء وعلماء غربيين وغيرهم حول حقيقة ما جاء فيهما⁽²⁾، وهذا الأمر يتوافق مع حقيقة أنّ الإنجيل المنزّل على عيسى عليه السلام قد اندثر تماماً، ومنذ القرن الميلادي الأول لسبب غاية في البساطة أن عيسى عليه السلام لم يترك كتاباً مدوناً، فأعداء دعوته لم يفسحوا له المجال لتدوين إنجيله وفق ما كشفت عنه النظريات البحثية العلمية الإنجيلية، وإنما ترك أقوالاً، بل إنّ تلك الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى مُدَوّنيها هي عبارة عن عين التحريف والتزوير المبني على فرضية ما ترك عيسى عليه السلام من أقوال ومواعظ وكما تزعم الأناجيل نفسها، من أن الإنجيل هو عماد وأصل ما يسمى بالعهد الجديد لدى المسيحيين، فالنتاج يكون أنّ ما يسمى بالعهد الجديد لدى المسيحيين ليس وحياً إلهياً، بل هو نتاج بشري وَكُنَّبَتْهُ بشر عاديون، ربما من تلامذة عيسى، أو من أتباعهم، أو ممن تنصر بسبب هؤلاء الأتباع بعد إيهامهم

(1) انظر: الكلام، يوسف، الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقدّيس، ص 188-189، الإصدار الأول، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2009م.

(2) انظر: شلبي، أحمد، المسيحية، ص 211-217، ط 10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1998.

أنهم رجال ملهون، وأنهم كتبة العهد الجديد، فقد أورد صاحب (سوسنة سليمان) أن اللغات التي كُتبت بها الأناجيل تربو على المئتي، والتي تداولتها الفرق النصرانية، إضافة إلى اختلاف تلك الفرق التابعة للطوائف النصرانية في تفاسير متون تلك الأناجيل، الذي كان سبباً في ظهور البدع بعد أن أصبح هذا الدين عرضة لآراء الناس وخصوماتهم وشديد خلافاتهم⁽¹⁾.

هؤلاء البشر، هم من تصدى لأنواع التحريف التي نالها الإنجيل مما تسبب باندثاره، والباحثة تورد هذا لنثبت أنه لا يكون لبشر مهما كانت قداسته كما يزعم المسيحيون اليوم أن ينسب كلامه الذي كتبه بيديه ووفق أهوائه ومصالحه البشرية إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا أمر اتفقت عليه حركة نقد الكتاب المقدس من المسيحيين والنقاد الغربيين أنفسهم بعد أن كشفت الدراسات النقدية زيف ما سُمي بإلهية الكتاب المقدس، على إعتبار أنه وحي إلهي حُفظ عبر تاريخ المسيحية، وتناقض تلك الكشوفات مع صحة الكتاب المقدس وعصمته بالكامل أشار إليه الكاتب والقس والناقد والمترجم للكتاب المقدس من القرن السادس عشر simon richard الذي تناول قضية عجز الآباء الكنسيين عن الرد على انتقادات الوثنيين والمانويين موضحاً أن آباء الكنيسة الأوائل لم يستطيعوا الوصول إلى النصوص الأصلية التي تثبت صحة العهد الجديد وعليه لجؤوا إلى⁽²⁾ الترجمات التي بحوزتهم باعتبارها تقوم مقام الأصل! وعلى هذا دار الجدل بين مارسيون وترتليان من جهة، وبين أغسطين وفوست من جهة أخرى، فقد رفض هذان "المبتدعان" مارسيون وفوست الاعتراف بهذه الترجمات، مما أظهر بوضوح ضعف موقفي كل من ترتليان وأغسطين، نظراً لافتقارهما إلى قوة ونفوذ النصوص الأصلية للأناجيل⁽³⁾، وهو ما أكدته لنا القرآن العظيم عن تلك الديانات بأنّ أقرّ بما نالها من التحريف والاندثار مما سبّب لكتبها السماوية بالضياع، بل كان تهديد الله لهم ووعيده بارزاً في تلك المسألة قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا

(1) انظر: نوفل، نعمة الله جرجس نوفل، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، ص141-142، طبع في بيروت 1876م.

(2) انظر: الكلام، يوسف، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين التقنين والتقييد، ص189-237، مصدر سابق.

(3) انظر: نفس المصدر، ص189-237.

كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ⁽¹⁾ وقال سبحانه: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ⁽²⁾} والآيتان الكريمتان تؤشران إلى أهل الكتابين كليهما، فكلاهما حرفا الكتابين، وبدلاً كلام الله، وإن نُقِلَ شذرات من أقوال المسيح في الأناجيل، وهذا في حقيقة الأمر مختصر اعتقاد المسلمين في تلك المسألة منذ عهد الرسالة الأول.

وخلاصة الأمر كما ترى الباحثة هو: أنَّ دراسة الحركة النقدية للديانة المسيحية شائك ومتداخل وعميق، ولا مجال هنا لتلك الدراسة التي تحتاج إلى تخصص منفرد، فالمسيحية التي بقيت بعد رفع المسيح إلى يومنا هذا هي التي تشكل أسس المنهج العقدي التي تتبعه الطوائف المسيحية، وبخاصة ما كان منها ما تبني عقيدة المسيحية الصهيونية التي ترى أحقيتها في فلسطين والقدس، وعليه تبني مواقفها السياسية والعقدية.

وبناء على ما تقدم توصلت الباحثة إلى حقائق هي:-

● أثبت تاريخ المسيحية جذوره المتصهينة ومنذ العقود الأولى للمسيحية التي أسس لها بولس، والتي تطورت إلى عقيدة متكاملة ونهج له أتباعه خلال القرون حتى وصلت إلى أن تتبناها طائفة بعينها أصبحت هي القابضة على زمام أمور الحكم في الولايات المتحدة والغرب الأوروبي وبها أي بالمسيحية المتصهينة تسعى تلك الطائفة إلى السيطرة على العالم وإدارة دفته، لتطويعه لخدمة أهدافها وتطبيقها عملياً على الأرض من منطلق آرائها العقدية.

● لا مجال للشك على الإطلاق في كون المسيح عيسى بن مريم عليه السلام شرقي المولد والمنبت والنهاية، في حين الديانة المسيحية التي ينتسب المسيحيون إليها إنما هي في الحقيقة ديانة غربية القلب والقالب.

● عرض النصوص الكتابية على مختلف النظريات النقدية منذ القرن السابع عشر بما فيها حركة الكشوفات الأثرية، إضافة إلى تطبيق المنهج الفيلولوجي (علم اللسانيات) في تفكيك بُنية نصوص العهد الجديد، أثبتنا أن العهد القديم والعهد الجديد كتابان بشريَّان وليس من الوحي الإلهي.

(1) البقرة، آية 79.

(2) آل عمران، آية 17.

- نزول القرآن منجماً ونزول التوراة والإنجيل جملة واحدة.

المطلب الثاني: العهد القديم (التوراة).

تكمن أهمية التوراة أو ما يُطلق عليه العهد القديم في أنه يشكل القسم الأول والأهم في الكتاب المقدس في عقائد الصهيونية المسيحية التي أخذت على عاتقها تنفيذ نبوءاته بحذافيرها واقعاً في فلسطين، وبدا ذلك جلياً منذ العقود الأولى من القرن العشرين.

المسألة الأولى: تعريف العهد القديم لغة (التوراة).

التوراة في اللغة العبرية: حرفياً هي " التعاليم " وضمن المفهوم الضيق تعني الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى وهي التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية⁽¹⁾ ، وهذا التعريف الذي اتفقت عليه جل المصادر العربية والغربية، ولكن التعريف الأمثل أن توراة اليهود المنسوبة إلى موسى ليست هي توراة موسى عليه السلام، فتوراة موسى نزلت عليه في بني إسرائيل زمن بعثة موسى عليه السلام، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله : " ليس الخبرُ كالمُعَاينةِ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ مُوسَى بِمَا صَنَعَ قَوْمَهُ فِي الْعَجَلِ فَلَمْ يُلْقِ الْأَلْوَاخَ فَلَمَّا عَايَنَ مَا صَنَعُوا أَلْقَى الْأَلْوَاخَ فَأَنْكَسَرَتْ"⁽²⁾ ، وأما التوراة المقصودة في اللغة العبرية فإنها تعاليم الديانة اليهودية الأساسية، مضافاً إليها التقاليد والتعليقات التي أضيفت إليها من ناقليها ومدونيها ومفسريها من الأحرار والحاخامات، وهي التي يزعمون أنها توراة موسى عليه السلام، ولكنها في حقيقة الأمر كتابهم المحرّف الذي دُوّن خلال ما يربو على 800 مائة من الأعوام بعد موسى عليه السلام باعتراف العديد من أهل الاختصاص عندهم، وهذا إضافة إلى ما بينه لنا القرآن من أن ديانة جميع الأنبياء هي الإسلام، حتى وإن اختلفت الشرائع فإن شريعة موسى عليه

(1) انظر: هيمان، إيمانويل، الأصولية اليهودية، ص235، ترجمة: سعد الطويل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.

(2) أخرجه أحمد: (1/271)، والحاكم، (2/321).

السلام كانت لبني إسرائيل⁽¹⁾ قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾⁽²⁾

وما تريد الباحثة أن تذكره في هذا الباب أن الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية أخذت تعريف ومفهوم التوراة من الكتاب والمصادر الغربية، ظناً منها أنها أقرب إلى المنهج العلمي والموضوعية، وهذا في الحقيقة بجانب الصواب على أكثر هؤلاء - المصادر الغربية - فالمصادر العربية والإسلامية في هذا الشأن أحرص على المنهج العلمي وتحري الصدق واتباع السند، ونسبة أي كتاب إلى صاحبه، والكتب السماوية أحق بهذا، فنسبتها إلى الله عز وجل، ولا يجوز نسبتها إليه إلا بعد التأكد من صحة سندها.

المسألة الثانية: تعريف العهد القديم (التوراة) إصطلاحاً.

جاء في المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : التوراة هي أسفار موسى الخمسة الأولى التي تُعرف عند العامة بالعهد القديم، وتنقسم أسفار العهد القديم إلى ثلاثة أقسام، هي: التوراة، الأنبياء المكتوبات⁽³⁾ ، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾⁽⁴⁾ ، فأما أسفار العهد القديم ففيها اختلاف في العدد بين اليهود أنفسهم وبين اليهود والمسيحيين، فالكاثوليك تزيد سبعة أسفار عن البروتستانت، وهي ثلاثة أقسام حسب البروتستانت، ونحن أخذنا بتقسيم العهد القديم للبروتستانت، كونها الطائفة التي انطلقت منها المسيحية الصهيونية، وعلى ذلك كانت رؤاها العقدية تجاه القدس وفلسطين والأقسام هي:

(1) الخلف، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص41-45، ط4، مكتبة أضواء السلف، الرياض 1425هـ-2004م.

(2) يونس 85.

(3) انظر: عمر، أحمد مختار، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن وقراءاته، ص114، ط1، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض، 1423هـ-2002م.

(4) آل عمران، الآية 3.

1. التوراة وتتكون من أسفار خمسة هي: التكوين، واللاويين، والتثنية، والعدد، والخروج. وقد ذُكرت أنفاً، فهي تزعم أنها تجمع تاريخ بني إسرائيل منذ النشأة، فخرجهم من مصر ثمَّ مرحلة النتيه في سيناء، وتضم تلك الأسفار أيضاً مجموع الشرائع التي اعتبرها بنو إسرائيل الشريعة التي تميزهم عن غيرهم من الأمم، باعتبار أنها تمثل معتقد اليهود وفكرهم.

2. الأنبياء ويتضمن واحداً وعشرين سفرًا، تورخ لبني إسرائيل من بعد موسى إلى خراب الهيكل، وتشمل الأنبياء المتقدمين والمتأخرين منهم.

3. الكتابات، وهي عبارة عن التراث الأدبي الذي يقده اليهود في مجموعة من كتب الأدب، تبلغ أحد عشر كتاباً، مقسمة إلى ثلاثة أقسام، وتضم أسفار الكتب العظيمة والمجلات والكتب، مجموع تلك الأسفار 39 سفرًا، أسقط منها رحمة الله الهندي صاحب (إظهار الحق) سفر أستير⁽¹⁾، بينما اعتمدتها الكنيسة البروتستانتية، أما الكنيسة الكاثوليكية فزادت عليها سبعة أسفار أخرى لا تعترف بها البروتستانتية⁽²⁾، ولا يفوت الباحثة هنا أن تُنوه إلى أنّ من النقاد والكتاب والمؤلفين المعاصرين من ينفي بالكلية تاريخ التوراة (توراة السبي البابلي)، ويتعامل معه على أنه ابتكار من مجموعة من البشر، ولكن هذا الابتكار قد أفاد الغرب بقيادة الكنيسة وأرباب السياسة، الذين وجدوا ضالتهم في الديانة اليهودية التي تنسب نفسها إلى موسى عليه السلام بمعية الكثير من الفوضى في تاريخها وما طرأ عليها من تحريف وتبديل وتزوير من قبل كهانها وأرباب معابدها، ممّا سبّب لها نقصاً كبير جداً بوصفها ديانة أو حتى تشريعاً⁽³⁾، وهي التي قام عزرا بجمعها عام 444 ق.م⁽⁴⁾، من خلال أحبار

(1) انظر: الهندي، رحمة الله بن خليل الكيرانوي الهندي، إظهار الحق، تحقيق: محمد ملكاوي، ج1، ص99-101، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، 1410هـ-1989م.

(2) انظر: شلبي، أحمد، اليهودية سلسلة مقارنة أديان، ص230-233، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1988م.

(3) انظر: سوسة، أحمد، اليهود والعرب في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ص ل ل - س س، ط2، العربي للإعلان والنشر، بدون تاريخ.

(4) انظر: نفس المصدر، ص ل ل.

المجمع الأكبر الذي تأسس عقب السبي البابلي⁽¹⁾، فالتوراة التي نزلت على موسى غير موجودة، وما يتعامل معه الآن اليهود هي التوراة التي وضعها أحبارهم بعد سبيهم إلى بابل والتي ابتدعوا فيها إلهاً جديداً هو يهوه، وهي التوراة الحالية التي تعتمدها الصهيونية عقيدة لها⁽²⁾ مما سهل التسلسل إليها واستخدامها لمآرب العديد من الدول الأوروبية التي كانت تراودها فكرة السيطرة على العالم، عسكرياً، واقتصادياً، وسياسياً، من خلال طرح عقدي وجد فيه الأوروبيون ضالتهم، هو المشيخانية اليهودية، لتركب الكنيسة المسيحية موجتها في أوروبا وأمريكا على وجه الخصوص، التي تتبنى عقيدة المسيح المنتظر أيضاً على الرغم من مخالفتها لليهود في حقيقته وحقائقه، فالكنيسة تقر بأن المسيح المنتظر قد ظهر فعلاً، وهو نفسه المسيح عيسى الذي سيعود ثانية، بينما رفضت اليهود ذلك وأصرّت على أنه المسيا الخاص باليهود الذي تنتظره، وذلك ما يسمى العقيدة المشيخانية لدى اليهود، تلك العقيدة -وهي المسيح المنتظر - شكلت نقطة الاتفاق بين اليهود ديانةً وبين الكنيسة المسيحية، لتصبح دافعاً للاستغلال يهود العالم والبكاء على موروثهم الديني عن أرض الميعاد والمسيا المنتظر، على الرغم من اختلاف قومياتهم، بهدف السيطرة على المشرق العربي، ومحاربة الإسلام بوصفه ديناً سماوياً أخيراً وفي عقر داره، في حين أصرّت الكنيسة المسيحية الكاثوليكية على أنّ المسيحية هي الدين الأمثل والأخير للبشرية، معتقدة فكر القضاء على النفوذ الإسلامي في شرق المتوسط، أول دوافعها الاستيلاء على القدس وفلسطين، باعتبارها الأرض المقدسة التي ظهر فيها المسيح، إضافة إلى ما اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية بزعامة البابا وبيزنطة وقف عمليات التوسع العسكرية الإسلامية⁽³⁾، وهذا يدل على التصدي للإسلام منذ ظهوره وانتشاره بفتوحات المسلمين، وهو سبب آخر - أي الفتوحات الإسلامية - الذي استُهلك من قبل الكنيسة الغربية، مما مكنها من اختراق العقيدة اليهودية باعتبارها الديانة "البشرية" المشتملة على أنواع من الضعف والتطرف الشديدين في أسسها وعقائدها،

(1) انظر: العلواني، رقية وآخرون مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، ص48، ط1، تحرير: منى أبو الفضل وآخرون، دار الفكر، دمشق، 1429هـ-2008م.

(2) انظر: سوسة، أحمد، اليهود والعرب في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ص ل ل، المصدر السابق.

(3) Mark, Cartwright, world history encyclopedia، الحروب الصليبية الأسباب والأهداف

[/https://www.worldhistory.org/trans/ar/2-1249](https://www.worldhistory.org/trans/ar/2-1249) . 4/July/2018

فكان من اليسير على الكنيسة في الغرب المتوغلة في استثمار عقائد اليهود وفيما بعد استثمار عوائد التقدم الصناعي والتقني في أوروبا، لتمرير منافع لها على مختلف الأصعدة: سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، تُعززها السياسات الغربية التي رأت في ذلك النهج ما يعود عليها بفوائد جمة، نتيجة لاستعمارها بلاد المشرق العربي إبان الحروب الصليبية وسيطرتها على القدس وإنشاء ممالك لها، وهو ما دفع بالكنيسة الكاثوليكية الغربية إلى تنظيم حملات الاستيطان الصليبي على المشرق العربي من بدايات القرن الحادي عشر، التي اتخذت طابعاً عقائدياً تحت راية تحرير القدس من المسلمين ترافقه الأطماع الاقتصادية، ونهب الثروات والهيمنة السياسية على الشعوب، ليصبح الصراع دموياً عقائدياً بامتياز في المشرق العربي وفلسطين والقدس خاصة⁽¹⁾.

المسألة الثالثة: المسيحية الصهيونية آخر حلقات الصراع العقدي الغربي استكمالاً للحروب الصليبية على القدس وفلسطين. تأصيل عقدي وتاريخي للتفريق بين اليهود وبني إسرائيل والعبريين وعن حقيقة علاقة اليهود بإبراهيم ويعقوب وموسى عليهم السلام.

وعلى مدى الفترة الواقعة بين عام 1096-1291م من نهاية القرن الخامس للهجرة وحتى أواخر القرن السابع للهجرة، استثمرت مجمل دول القارة الأوروبية المسيحية الكاثوليكية حملات الصليب المقدس العسكرية على المشرق العربي، باغتصاب أراضيه وإقامة مستعمرات أوروبية، برعاية الكنيسة الكاثوليكية، وبدعم وبتحريض باباواتها وأول أهدافها كانت الأرض المقدسة، وهي القدس وفلسطين حُجَّتْها في ذلك تحرير القبر المقدس، شاقّةً طريقها بحروب الإبادة الهمجية للسكان الأصليين أصحاب الأرض الحقيقيين بإصرار شديد لاستئصالهم، في محاولة لتغيير الوجه العربي الإسلامي للأرض، بما يعنيه من هوية وثقافة، لتبدو المعركة صراع حضارات بين الشرق والغرب، وقد ازدادت حدة الصراع الديني بعد استيلاء هؤلاء الصليبيين على القدس وإنشاء مملكة بيت المقدس فيها، حتى تَبَلَّوْرَ مع مرور الزمن إلى صورة صراع قومي يغلفه البُعد العقدي باستحداث الغرب للحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر، فلم تنس أوروبا أنها خرجت مدحورة من فلسطين والقدس ومن المنطقة بأسرها، ناهيك

(1) انظر: قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص8-9 عالم المعرفة، الكويت، 1990م.

عن الصراع المتأزم الحالي للسيطرة على ثروات المنطقة، ومجازر الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي هي الأشهر في حلقات الصراع العقدي الأوروبي، التي استهدفت القدس وفلسطين بعد ترويجها تلك الحروب المسعورة بالمذبحة الأشهر حين اغتصابها للقدس، فذبحت سبعين ألفاً من سكانها وحتى من التجأوا إلى الأقصى، احتفاءً بقدسية المكان في عام 1099م، بينما كان سبب حجم هذا المستوى من الإجرام والهمجية لتلك السياسة الاستعمارية دوافع دينية لترسيخ قواعد الغرب الاستيطاني للممالك الصليبية التي أنشأتها القوى الأوروبية بقيادة الكنيسة في المشرق العربي الإسلامي، وقد كانت تلك الحروب العسكرية الاستيطانية الاستعمارية الصليبية ولا زالت تشكل النظير الذي على نوحه سارت تحركات الصهيونية السياسية والصهيونية المسيحية الغربية الحديثة لاحتلال القدس وفلسطين تحت ادعاء تحقيق النبوءة التوراتية لعقيدة أرض الميعاد التي جعل منها الغرب الصليبي جسراً لاحتلال القدس واستمراراً للحروب الصليبية وتحقيق غاياتها في بناء مشروع صهيوي-صليبي غربي "إسرائيل" التي يعتبر وجودها تهيئة لنزول المسيح على الأرض⁽¹⁾.

انشأته تلك الأحلام بأسلوب همجي عسكري يعتبر الأمثل لكل استيطان إحلالي يهدف إلى إفناء مجموعة دينية، أو وطنية، أو عرقية، معينة، وقد جمع الشعب العربي في فلسطين تلك الميزات ذاتها التي دفعت دولة الكيان لشن الحرب الدموية على غزة اليوم وهو ذات السيناريو السائد في الحملة الصليبية الأولى إبان احتلالها للقدس لإنقاذها من أيدي المسلمين⁽²⁾ وبالمحاكاة نفسها للحروب الصليبية واستكمالاً لها كانت حرب 1948م، التي ذبح فيها الفلسطينيون ودمرت ونهبت مدنهم وقراهم بقيادة عصابات الإجرام الصهيوني التي أفرزت دولة الكيان كما أفرزت الحملة الصليبية الأولى تأسيس ما سمي بمملكة بيت المقدس الصليبية، وبالنهج العسكري نفسه المبني على أسس عقدية تستمر الصهيونية المسيحية في القرن الحادي والعشرين بحرب الإبادة الدموية التي تشنها حتى الساعة بقيادة أمريكا وعصابات الصهيونية اليهودية بغطاء ممن يسمى "المجتمع الدولي" على غزة كما أسلفنا، ومنذ بدء العملية العسكرية الإسرائيلية بتاريخ 8/ أكتوبر 2023 لتفريغ الأرض من

(1) انظر: قاسم، عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص8-9، مصدر سابق.

(2) شارترى، فوشيه، تاريخ الحملة الصليبية إلى القدس، 1127-1095، ص74-77، ترجمة: زياد العسلي، دار

الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2014.

سكانها شاهدٌ على ذلك بنك الأهداف الغربية الاستعمارية الأوروبية والأمريكية لتحقيق استمرارية سياسة الإطباق على المشرق العربي لأمد بعيد سواء عسكرياً أو سياسياً واقتصادياً ومصادرة قرارته الذي بدأ من نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى يومنا هذا، إذن فإنّ الأسفار التسعة والثلاثين المقسمة إلى ثلاثة أقسام الأنفة الذكر تُعتبر العهد القديم، والمرجع الأول للقانون والتشريع لمختلف الجماعات اليهودية بتفاوت في درجات الأخذ به واتفاق على جعله أصل الشريعة ومنطلق الحياة اليهودية⁽¹⁾. في اختلاف بيّن على عدد الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام "الموسوية" بين اليهود والمسيحيين، والمحصلة مما أفضت إليه التعريفات هو أن العهد القديم عبارة عن مجموعة مؤلفات متنوعة دُونت عبر قرون تسعة دون إسناد متصل يحقق شروط الضبط والعدالة، كونها دُونت وفق منافع وفوائد مدونيها، رغم كون العهد القديم أو التوراة هو المصدر الأول لليهودية إلا أنه توجد مصادر أخرى يقدسها اليهود إلى جانب التوراة هي المدراس والتي هي عبارة عن المدارس الدينية التي أسسها اليهود في بلدان شتاتهم ومنها بغداد بعد خراب الهيكل، وهي عبارة عن شروحات فقهاءهم للتوراة شفوية، دُونت في أواخر القرن الثالث الميلادي وهي على نوعين: الهاالاخا والهاغادا وهما عبارة عن شروح فقهية لعبادتهم وأخرى شروح لنصوص أخلاقية، وأيضاً هناك التلمود، ويعتبر لدى اليهود في منزلة التوراة فهو عبارة عن روايات شفوية نزلت مع التوراة على طور سيناء! انتقلت معهم بوساطة الحاخامات من جيل إلى جيل وهذا ما تعتقده طائفة الفريسين عندهم، وأما المصدر الرابع الذي تعتبره اليهود أصلاً من أصولها فهو بروتوكولات حكماء صهيون والتي هي عبارة عن مجموعة قرارات نتاج مؤتمر الحركة الصهيونية الأول المنعقد في مدينة بال السويسرية عام 1897م، وتعتبر تلك البروتوكولات رد فعل لما عاناه اليهود في القرن التاسع عشر من اضطهاد أوروبا⁽²⁾.

ويتضح من خلال التعريفات للعهد القديم أيضاً من أكثر من مصدر، أنّها شكّلت مصدراً للكشف عن الإضافات التاريخية التي تمت عبر عصور تدوينها من قبل أحبار اليهود، ففي موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة جاء تعريف العهد القديم على أنه: مجموعة الأسفار التي تمت كتابتها أو تدوينها

(1) انظر: العلواني، رقية وآخرون مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، ص48، ط1، تحرير: منى أبو الفضل وآخرين، دار الفكر، دمشق، 1429هـ-2008م.

(2) انظر: الخطيب حنيفة العبريون لغة وتاريخ، ص37-53 ط1 1995 م، المطبعة العصرية، صيدا، لبنان.

في عهد العودة لمن أراد العودة من يهود الأسر البابلي على يد قورش الملك الفارسي سنة 538 ق.م الذي أذن لليهود الذين كانوا أسرى في بابل بالعودة إلى أورشليم منذ عهد نبوخذ نصر⁽¹⁾ ، وبعد سقوط بابل أتاح قورش الفارسي لهم العودة ليتأسس ما عُرف بالسنة الذين الذي تمّ فيه جمع التوراة! وقد كان ضمن أعضاء السنهدين عزرا ونحميا وزورو بابل أحد أحفاد آخر ملوك مملكة يهوذا!، فجمع في عهد عزرا الهاروني في تسعة وثلاثون سفراً، وقد أُطلق عليها فيما بعد العهد القديم تمييزاً له عن العهد الجديد وهو الأناجيل الأربعة، وأول من أطلق عليه العهد القديم (العتيق) هو بولس الرسول في رسالته إلى أهل كورنثوس⁽²⁾ ، وأما كلمة التوراة وحدها فتختصر في أسفار موسى الخمسة وتعرف بالعبرانية بـ "تورا" وهو ما أشار إليه القاسمي في تفسيره الآية 3 من سورة آل عمران فقال: إن التوراة إسم عبراني، وتعني الشريعة بينما كلمة (إنجيل) تعني البشرى⁽³⁾ ، وجاء تعريف العهد القديم في الموسوعة الأمريكية على أنه الكتاب المقدس العبري الخاص باليهود وهو واحد من جزأي الكتاب المقدس لكنيسة المسيحية، المدون باللغة العبرية، وجاءت تسميته بالعهد القديم وهي تسمية غير عبرية، تمييزاً له عن العهد الجديد المكتوب باليونانية ويتكون من 39 سفراً بثلاثة أقسام، هي: أسفار موسى، الأنبياء، الكتابات⁽⁴⁾ ، وأما الشريعة والوصايا العشر التي كانت ببعثة موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر ق.م والتي اندثرت تماماً فقد دُونت باللغة الهيروغليفية التي كان يتكلم بها موسى آنذاك فتوراة موسى عليه السلام إبان بعثته غير توراة اليهود التي دونت بعد حادثة السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد والتي تدعو إلى عبادة الإله يهوه الخاص باليهود فقط، وكانت لغتها العبرية المستنبطة من اللغة الآرامية العربية، وقد توصل الباحثون إلى عملية الفصل بين شريعة موسى عليه السلام التي دُونت باللغة الهيروغليفية وتوراة اليهود الذين يعتبرون من بقايا دولة يهوذا من خلال

(1) انظر: الساموك، سعدون محمود موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، ج1، ص167-169، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1422هـ-2002م.

(2) انظر: العهد القديم، رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس، 14/3.

(3) انظر: القاسمي، محمد جمال الدين تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ج4، ص749، ط1، 1376هـ - 1957م، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي عيسى البابي الحلبي وشركاه دار إحياء الكتب العربية.

(4) International Edition K complete in thirty volumes first published in 1829.The Encyclopedia Americana,

الحقبة الزمنية التي عُرفت فيها تلك اللغتين⁽¹⁾، فمعلوم عن موسى عليه السلام أنه مصري الجنسية والولادة بل وترى في قصر الفرعون وطبيعي أن تكون لغته الهيروغليفية⁽²⁾ ولم يعرف نفسه أنه يهودي ولا عرف اتباعه أنهم يهود، في حين ظهر مسمى اليهود على أتباع الديانة اليهودية التي صنعها يهود السبي البابلي بعد عودة القليل منهم إلى القدس بعد فترة مكوثهم طويلاً في بابل وهم المقصودون في قول الله تعالى: " الَّذِينَ هَادُوا " وكانت لغتهم العبرية الآرامية التي احتفظ فيها القليل منهم والتي دُونت بها توراتهم بعد ظهور موسى عليه السلام بحوالي ثمانية قرون، ومن العصور المتأخرة - العصر الحالي مثال: - اعتبر البروفيسور تسفي فيربلوسكي المحاضر في علم مقارنة الأديان في الجامعة العبرية في القدس العهد القديم بمثابة حجر الزاوية في اليهودية وهو الجزء من الأصل للكتاب المقدس المسيحي والمعروف بعهديه، والمقصود به أسفار موسى الخمسة والتي تُعتبر وحياً الهياً من الله وتسمى " البنتاتوش " Pentateuch، وهو الكتاب المقدس العبراني Hebrew Bible، إلى هنا انتهى تعريف الكاتب غير أنه تدارك الأمر بخصوص مصداقية التوراة في نقل الأحداث التاريخية منذ بدء حياة الانسان على الأرض كما يدعي مُدَوّنوها وما شابها من أحداث خلال الحقب الزمنية، لينفي عنها أن تكون مصدراً تاريخياً ذا ثقة في عملية نقل التاريخ بأحداثه وشخصه وتفاعلاته، فهي بالكلية لا تتفق مع حقيقة الحدث وحقيقة أبطاله أو شخصياته، ولكنها كما قال تبقى الأهم لليهود ومصدر عقائدهم عدا عن أهميتها العالمية كتاباً مقدساً⁽³⁾، وهذا بحد ذاته دليل على صحة الدراسات البحثية التي تفصل بين توراة موسى الحقيقية وبين توراة اليهود بعد السبي البابلي لمعرفة تاريخ فلسطين القديم التي أنتجت ما يسمى بالديانة اليهودية التي تعمّد واضعوها أسلوب تداخل وتشابك الحقب التاريخية بأحداثها بعضها في بعض وعدم الفصل بينها بشكل بيّن، ويتضح ذلك من توصيفه للكتاب المقدس " بالعبراني"، فالمعلوم أن مصطلح العبري أو العبراني تاريخياً هو

(1) انظر: سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الاثرية، ص ل ل - س س ط2، مقدمة المؤلف، مصدر سابق.

(2) انظر: عمارة، محمد، القدس الشريف في الدين والتاريخ والأساطير، ص7، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة.

(3) انظر: زينر، روبرت تشارلز، موسوعة الأديان الحية، أديان النبوات، الأديان السماوية، ج1، ص37-44، ط1، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010م

عبارة عن ترجمة لكلمة الأبري أو الهبيري والعبيرو أو الخبير وكما وردت في الاكتشافات الأثرية الحديثة المنسوبة إلى القبائل العربية الأرامية التي قطنت شمال شبه الجزيرة العربية، وهي على الأرجح الحقبة الزمنية التي وُجد فيها إبراهيم وحفيده يعقوب عليهما السلام وأصولهم معلوم بالضرورة تمتد إلى القبائل العربية، وسُميت الهبيرو أو الخبيرو في المصادر الأثرية الفرعونية والمسمارية بذلك الاسم ومعناه ابن الصحراء⁽¹⁾، وبخاصة أن كلمة (عبري) لم ترد في القرآن الكريم، فالعبريون أو العبرانيون هم المقصودون بقبائل الهبيرو أو الخبيرو⁽²⁾ السالفة، ولم يأت القرآن على ذكرهم والإسرائيليون هم أبناء وأحفاد يعقوب وأنسالهم وجاء ذكرهم في القرآن قال تعالى: **{وَقَصْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ}** وكان أول إفساد هؤلاء - بني إسرائيل - تحريفهم التوراة على أرض مصر كما قال الواحدي في الوسيط⁽³⁾، وعليه فهم ليسوا العبريون أو العبرانيون ولا اليهود⁽⁴⁾، والموسويون هم أتباع موسى عليه السلام وهؤلاء وُجدوا بعد عصر إبراهيم ويعقوب بسبعة قرون أو يزيد وهم الموحدون الذين يؤمنون بالله وحده لا شريك له، وأمّا اليهود فهم الذين جاء ذكرهم في القرآن باسمهم وصفتهم في قوله تعالى: **{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}** وهم من قصدهم سبحانه في قوله: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ}**⁽⁶⁾ والذين نسبوا انفسهم لموسى زوراً وبهتاناً بعد أن بدلوا التوراة التي نزلت عليه وكانت بلغة المصريين القدماء وهي لغة موسى الأم، بتوراة كتبها

(1) انظر: سوسة، أحمد، المصدر السابق.

(2) انظر: مهران، محمد بيومي بنو إسرائيل التاريخ منذ عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام، ص30-31، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999 .

(3) انظر: الواحدي النيسابوري، أبي الحسن علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ج3، ص97، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود، عبيد محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ - 1994م.

(4) انظر: مهران، محمد بيومي بنو إسرائيل التاريخ منذ عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام، ص39، المصدر السابق.

(5) البقرة، الآية 120.

(6) البقرة، الآية 113.

أخبارهم بلهجة اقتبسوها من الآرامية العربية وهي لغة إبراهيم واسحاق ويعقوب ويؤمنون بيهوة الإله الخاص بهم وحدهم وعلى هذا يكون ربهم غير الله رب الناس اجمعين، وكان عصرهم بعد ثلاثة عشرة قرناً لعصر إبراهيم عليه السلام، فهم ليسوا العبريين كما تزعم توراتهم عدا عما أخبرنا به القرآن من أن ديانة إبراهيم عليه السلام هي الحنيفية الإسلامية التي توحد الله سبحانه آله واحد لا شريك ولا ندَّ له وليست ديانة يهوه رب اليهود فلا نسب ولا اتصال بين إبراهيم وبين تلك المجموعة⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽²⁾، لأن كل من اليهودية والنصرانية كانت بعده ولا انتساب بينهم بالمطلق⁽³⁾ وأما ديانة يعقوب وأولاده فهي الإسلام إتباعاً لجدهم الأعلى إبراهيم، قال سبحانه: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِنَبِيِّهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁽⁴⁾، فإبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً، ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً كما تدعي كتب العهد القديم والجديد في محاولة لربط ماضيهم بإبراهيم عليه السلام⁽⁵⁾ بغرض إنجاح عملية تسلل منهم بيّنة إلى أعماق التاريخ، ليفرض يهود السبي البابلي توراتهم على العالم على أنها الكتاب المقدس الموعول في القدم والموجود قبل بدء الحضارة الإنسانية برمتها، إضافة إلى تحقيق الهدف الأهم بالنسبة إليهم وهو ربط أنفسهم بالأرض المقدسة في فلسطين بواسطة الحركة الصهيونية التي تبنت الوطن القومي في فلسطين⁽⁶⁾، واعتماداً على أن إلههم وعد إبراهيم جدهم بها، فمسألة انتساب اليهود لإبراهيم حسمها القرآن في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا

(1) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني، ج1، ص451-456، ط1، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت، 1419هـ-1998م.

(2) آل عمران، الآية 67.

(3) السعدي، عبد الكريم بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج3، ص134، ط1، الرسالة للطباعة والنشر 1423هـ-2002م بيروت، لبنان.

(4) سورة البقرة، الآية 133.

(5) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، ج1، ص451-455 المصدر السابق.

(6) بابيه، إيلان، التطهير العرقي في فلسطين ترجمة أحمد خليفة ص، 19 ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية 2007، بيروت.

من بَعْدِهِ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ فلا انتساب لليهود إلى إبراهيم وفق المراحل الزمنية المختلفة وفق المنهج العقلي، فالحقبة الزمنية التي وُجِدَ فيها إبراهيم متقدمة على الحقبة التي وُجِدَ بها اليهود (2) عدا عن أن الأرض المقدسة ليست موطن إبراهيم الحقيقي وإنما هي بلاد غربة إبراهيم ونسله، من حفيده يعقوب وذريته، فالعراق وحران أو حوران هي موطنهم الأصلي وبها ولدوا ونشأوا، وفي مصر كانت حياتهم وتكاثرهم مع يوسف عليه السلام حتى ولادة موسى وبعثته عليه السلام بعد قرون عديدة (3)، وبذلك تتوضح عملية التداخل التاريخي للحقب الزمنية من إبراهيم إلى موسى عليهما السلام وكيف لعب بها يهود السبي البابلي وأنسالهم من بعدهم لهدف تقديس أنفسهم في توراتهم وإبراز تفوقهم وتميزهم على شعوب العالم، إضافة إلى تسميتهم أنفسهم بني إسرائيل نسبة لموسى، وموسى كان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهؤلاء الذين يسمون انفسهم يهود وديانتهم اليهودية وُجِدوا بعد موسى بما لا يقل عن ثمانية قرون وبينهم وبين إبراهيم خمسة عشرة قرنًا، فتسميتهم انفسهم بني إسرائيل هي محض تليفق للمعطيات التاريخية التي انتقلت مع الآيات القرآنية في هذا الباب، وعليه تسوقنا أدوات البحث العلمي إلى أن توراة السبي البابلي هي التي اخترعت مصطلح (يهود) وهي التي كررت مقولة نسب اليهود إلى الخليل إبراهيم وحفيده يعقوب، فحتى موسى عليه السلام لم يصف نفسه بيهودي ولا سمى ديانته اليهودية ولم يدخل الأرض المقدسة ولم يكن يعرفها، قبل أن يأمره الله بالدخول إليها، وأمّا الأسماء للقرى والمدن والأشخاص والمناسبات وأنواع الطعام والالهة وغيره التي جاءت في توراتهم فلعل السؤال المطروح هو كيف وُجِدَتْ فيها؟ والإجابة التي دلت عليها المكتشفات الأثرية الحديثة اثبتت أنها مجرد سرقة لموروثات حضارات الشعوب العربية التي سبقت ظهورهم بمراحل زمنية شاسعة وأولهم الكنعانيون الذين اغتصب منهم اليهود الكثير من المفردات، والمصريون والفنيقيون والعموريون والبابليون وهذا رأي العديد من الباحثين على إثر ما وصلت اليه جهود علماء الآثار والأركيولوجية بعد عمليات التنقيب منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لتصل أوجها في بدايات القرن الحادي والعشرين، لتنسب تلك الجماعات (اليهود) التي تدعي أنها بني إسرائيل لنفسها العمق التاريخي والتميز على جميع البشر تمهيدا لتحقيق مقولة الشعب المختار التي زعمتها لنفسها ونسبتها

(1) سورة آل عمران، الآية 65.

(2) السعدي، آل عمران ص134، المصدر السابق.

(3) المصدر نفسه.

زورا لإبراهيم وموسى عليهما السلام، والقرآن أشار الى هذا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾⁽¹⁾ سيما أنّها اتخذت لنفسها لهجة خاصة مستنبطة من اللغة الآرامية العربية القديمة دونت بها توراة السبي البابلي، وأمّا عروبة إبراهيم عليه السلام فليست مجالاً للفتوى فيها بعد أن تَكشَّفَ اتصالها بالقبائل العربية التي خرجت من الجزيرة العربية الى العراق وسهول حوران قبل وجود اليهود، وحتى قبل التوراة وموسى عليه السلام⁽²⁾.

والخلاصة: هي أنّ أصحاب الديانة اليهودية تلاعبوا في تواريخ الأحداث الزمنية في توراتهم الموضوعة لغايات أبرزها: إحداث بلبلة وتداخل في الحقب الزمنية لكل من يحاول تفكيك نصوصها، وتزوير في تاريخ إبراهيم عليه السلام ويعقوب ثم موسى عليهما السلام بخلق رابطة نسب اليهم، وأيضا إضافة مقولة الشعب المختار الى هؤلاء الأنبياء، ومنح ربهم يهوه فلسطين لإبراهيم ونسله من إسحاق، وأمّر ربهم لموسى عليه السلام بدخول فلسطين وقتل أهلها الكنعانيين أطفالهم ونسائهم وشيوخهم ورجالهم وسلب أراضيهم وتدمير بيوتهم وأنواع اقتصادهم ونهب بهائمهم واموالهم وحرق حقولهم وهو ما نراه اليوم في الحرب المعلنة على غزة ! إنّها ذات احقاد توراة السبي البابلي لأصحاب الديانة اليهودية الذين قال الله فيهم : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾⁽³⁾ تصرح الآية بوضوح بتكذيب من يُسمون يهود وبطلان ديانتهم اليهودية وتدعو الى إتباع ديانة إبراهيم عليه السلام⁽⁴⁾ وهذا يقودنا الى ان هؤلاء لا ينتسبون الى إبراهيم ولا يعقوب ولا موسى عليهم السلام، واما اتباع تلك الديانة في العصر الحديث فهم شعوب الخزر التي تقطن أوروبا الشرقية والغربية ويهود الولايات المتحدة الامريكية، والانكى ان توراة السبي البابلي اعتبرت جميع هؤلاء الاتباع إسرائيليين ينتسبون الى يعقوب عليه السلام رغم مرور الالاف المؤلفة من

(1) المائدة، 18.

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، التفسير الميسر، ج6، ص111، 18، ط1، مؤسسة الرسالة 1423هـ-2003م بيروت لبنان.

(3) سورة البقرة، آية رقم 135.

(4) جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص21، ج1، ط3، نشر مركز تفسير للدراسات القرآنية، 1436هـ، المملكة العربية السعودية الرياض.

القرن على وجود يعقوب ورغم ان يعقوب حفيد إبراهيم وإبراهيم يعود في نسبه الى القبائل العربية في الجزيرة والعراق فكيف ينتسب كل هذا الخليط من يهود العالم اليه، ورغم هذا التلغيق بقيت تورا السبي البابلي المصدر الأول لتاريخ فلسطين وتاريخ العالم بسبب غياب أية إشارة أثرية حتى ظهرت نتائج الأبحاث الأثرية الحديثة في حضارات الكنعانيين والآشوريين والبابليين والسومريين والمصريين التي ساقنا إليها أن لا علاقة بيهود التوراة الموضوعة بعد موسى عليه السلام بقرون عديدة بفلسطين ولا بالقدس إضافة إلى أن كل ما ورد في نصوصها من قصص وأمثال وأسماء لآلهة وأنواع أطعمة وأسماء مدن وقادة وغيره إنما هو مجرد نقل من تلك الحضارات فقد تمت أكبر عملية سطو شهدها تاريخ الإنسانية من كهنة اليهود على الموروثات الثقافية لتلك الشعوب لتخلق لها ثقافة حصرتها بما استخبت لنوعها وجنسها الذي طفا على سطح حياة الشعوب تحت مصطلح يهود نسبة الى مملكة يهوذا التي دمرها نبوخذ نصر الملك البابلي قبل ان يسبي جميع من فيها الذين نسبوا انفسهم في عهدا الى يعقوب واسحاق وموسى عليهم السلام زورا وبهتانا ليصبح اسمهم (يهود) بعد حادثة السبي الى بابل والتي بعدها كتب احبارهم التوراة المزورة التي بين أيدينا الى اليوم ونسبوها الى موسى عليه السلام ليجعل منها قدما للباحثين في التاريخ وتاريخ فلسطين على وجه الخصوص اقدم موروث ومصدر باعتبارها اقدم كتاب مقدس، حتى بدأت تتكشف نتائج الأبحاث الأركيولوجية للكثير من الحضارات السابقة التي عاصرت هؤلاء ومنهم الكنعانيون لتدحض كل روايات التوراة عن فلسطين والقدس التي جعل منها اليهود ارض الميعاد، ليظهر للعلماء والآثاريين والباحثين أن تاريخ فلسطين القديم يبدأ قبل ظهور موسى عليه السلام وحتى قبل ظهور إبراهيم وهو ما أكدته الهجرات العربية من الجزيرة العربية فقد نمت حضارة الفلسطينيين في وطنهم من القبائل من تلك الهجرات التي جعلت من فلسطين موطنها الجديد في حين لم يُخلق بعد اليهود تاريخيا، وانما قرّن الباحثون تاريخ فلسطين القديم بوجود اليهود فيها اعتمادا على التوراة الحالية وهي تورا السبي البابلي باعتبارها أقدم كتاب تاريخي مقدس وغير قابل للبحث والدراسة لتصبح المصدر الأساس لعصور متتالية، حتى دحضت نتائج الأبحاث الأركيولوجية الحديثة صحتها من خلال ما افصح لنا عنه الاكتشافات الأثرية والكتابية للأمم السابقة على الزمّ والواح الطين بقرون بعيدة عن العصر الذي وضعت فيه تورا السبي البابلي التي كانت تدون لأحداث تاريخية سالفه، بينما كان اهم ما يميز كتابات الأمم السابقة بانها كُتبت في عصرها ودوّنت احداثه، مقارنة بالتوراة التي تتحدث عن عصور سابقة لها بعشرات القرون وهو دليل

ثابت على انهم مجرد فئة مرت على الأرض المقدسة ولم يكن لهم فيها شأنٌ يُذكر كما كان لأصحابها الكنعانيين.

المطلب الثالث: أوجه الفرق بين التوراة في المفهوم الإسلامي وتوراة الصهيونية المسيحية أو العهد القديم.

وتتناول الباحثة أبرز ملامح ومواصفات توراة موسى المنزلة عليه السلام مقارنة بكتاب اليهود التي تعتبر مصدرًا عقديًا للصهيونية المسيحية باعتبارها العهد القديم والقسم الأول للكتاب المقدس.

المسألة الأولى : أبرز مواصفات التوراة (توراة موسى) في الإسلام.

بداية وإثبات حقيقة ماهية التوراة وفق مناهج البحث العلمي دللنا ببعض مصادره التي تمثل الجزء الأعظم من أدبيات المسيحية والشاهد وبإيجاز ما قال به كل من ستيفن.م. ميلر وروبرت.ف. هوبر ومن خلال منظور لاهوتي في كيفية صياغة الكتاب المقدس أو كيفية تدوينه فقالوا: "اكتمل تدوين العهد القديم على مدى ما يزيد على ألف عام باشتراك الكثير من الكتّاب والمحريين الموحى إليهم وغيرهم! في البداية كانت قصص الخليقة وعصور اليهودية الأولى تنتقل شفاهاً لئتم تسجيل تلك القصص بعد تطور الأبجدية العبرية وهي قصص تنقل تدخل الله في التاريخ البشري تمت مراجعتها بعد جمعها عبر عهود، ثم لتأخذ شكلها الحالي كما هي بين أيدينا الآن"⁽¹⁾ إضافة إلى أنّ الناظر في تاريخ اللغات التي دُونت التوراة لا بد أن يصل إلى حقيقة ما مرّ على التوراة من حرف وشطب وتبديل خلال عهود بني إسرائيل وما كان لهذا من أثر على صدقية النصوص فيه، وأمّا المسلمون وقد أمروا بالإيمان بالرسول وكتبهم السماوية كما جاء في قوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾⁽²⁾ ، وعليه كان إيمانهم بموسى نبياً مُرسلاً وبما أنزل معه من كتاب هو التوراة، قال

(1) انظر: ميلر. م، ستيفن، آخر تاريخ الكتاب المقدس منذ عهد التكوين وحتى اليوم، ص11، ترجمة: وليم وهبة،

القاهرة، دار الثقافة، 2008م.

(2) سورة البقرة، الآية 285.

تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾⁽¹⁾ ، ولكن إيمانهم بموسى عليه السلام وبالتوراة هو من أسباب هذا البحث الذي يوضح حقيقة التوراة التي بين يدي اليهود في زماننا هذا وبخاصة أنّ مسيحيي العالم يعتبرونها جزءاً من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، فالعهد القديم ينبوع الفكر التي تستقي منه الصهيونية المسيحية معتقداتها وآراءها، ومن ثم فإن موضوع أن نبحت عن مصداقية وصحة اسناد التوراة الحالية أي النص الذي بين أيدي يهود ونصارى العالم اليوم هو من أسس تلك الدراسة العلمية، ولأننا مسلمون بات فرضاً علينا أن نتحقق ونقارن من خلال ما قاله القرآن الكريم عن اليهود ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾⁽²⁾ بعد أن أخبرنا الله سبحانه أيضاً في القرآن العظيم بما كان من أمر التوراة كتاب نورٍ وهدايةٍ ليتعلم منه بنو إسرائيل، ولكنهم أعملوا فيه أداة التحريف والتغيير كما تفيدنا الآيات في القرآن العظيم وهو ما اتفق مع حركة الكشوف العلمية الحديثة، فجاء الردُّ الإلهي بوعيد الله لهم سبحانه لذلك التحريف والتزوير بالويل الشديد، وقد ذُكرت كلمة الويل في الآية التي بيّنت ما يفعله اليهود بتحريفهم لكتابهم ثلاث مرات كناية عن شدة غضب الله من هذا الفعل الذي استهتر بالله وتنزيله، كما ذكر الطبري في تفسيره قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتُوا بِهِ ثَمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون﴾⁽³⁾ ، فالآية تخبرنا عن واحدة من صفات أهل الكتاب أنهم محرفون مزورون وها هم قد حرّفوا كلام الله عن مواضعه في التوراة بل هددهم الله سبحانه بما كان من فعلهم⁽⁴⁾ ، فهل توراة بني إسرائيل اليوم هي الوحي الإلهي المكتوب في الألواح الذي أنزل على موسى، بعد أن شملت الانتقادات الحادة مصداقية العهد القديم وصحة نسبته أساساً أم أنه عبارة عن مجرد تراكمات تاريخية لم يعد يؤخذ بنصوصها على أنها من وحي السماء بعد

(1) سورة المائدة، الآية 44.

(2) سورة النساء، الآية 46.

(3) سورة البقرة، الآية 79.

(4) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان عن تفسير آي القرآن، ج2، ص169-171، ط1، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والإعلان، القاهرة 1422هـ-2001م.

ظهور حركة نقد النصوص الكتابية في القرنين السابع عشر والثامن عشر إبان عصر النهضة في أوروبا ليتم عرض نصوص الكتاب المقدس على مختلف النظريات النقدية والكتابية⁽¹⁾.

المسألة الثانية: تكفير الكنيسة المسيحية لكل من يفكر في دراسة وتحليل نصوص العهد القديم (توراة السبي البابلي).

وهنا يكمن جوهر القضية ولماذا كانت الكنيسة المسيحية تتبنى قضية الدفاع عن أصالة العهد القديم وتُصرّ على أنّه وحي إلهي، في حين كانت وطوال قرون تحظر أي نوع من الدراسات النقدية لنصوص التوراة وأي علم يبحث في الرواية التاريخية في الكتاب المقدس، الأمر الذي جعل من رؤى رجال الدين وتفسيراتهم للنصوص التي كانت تُختزل في العلوم اللاهوتية على أنها وحي إلهي، وإن كل من حاول الاقتراب من تلك النصوص للنقد أو الدراسة أو التحليل التاريخي كان يجد مقاومة من الكنيسة ورجال الدين تصل حد التكفير، ولكل من توصل إلى أنّ أسفار موسى الخمسة (التوراة) هي مجرد نتاج إنساني عبر أزمنة متعاقبة، وأنّها تعرضت للتحريف والتصحيف والتزوير مراراً حتى نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس ق.م⁽²⁾، فالعهد القديم تدور مجمل نصوصه حول إسرائيل الدولة وإسرائيل الشعب ويمعن في التركيز على مكانة إسرائيل في التاريخ الإلهي، الذي استطاعت الحركة الصهيونية تسخيرها - أي العامل الديني - بل تسخير الديانة اليهودية لخدمة أهدافها من خلال الاستحواذ على الرأي العام ليهود العالم ومسيحيي العالم، تماهيا مع سياساتها التي تجعل من العلاقة التاريخية بين اليهود " وأرض إسرائيل " بقعة الضوء التي تخدم المطامع الصهيونية⁽³⁾.

(1) انظر: العلواني، رقية وآخرين، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، ص49-50، ط1، تحرير: منى أبو الفضل وآخرون، دار الفكر، دمشق، 1429 هـ - 2008 م.

(2) انظر: حتاتة، هشام، أساطير التوراة وأسطورة الأناجيل، ص23، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018.

(3) انظر: جريس، صبري، تاريخ الصهيونية 1862-1948، ص50، ج1، ط2، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية رام الله، فلسطين 2015.

المبحث الرابع: إسرائيل مشروع صهيو-مسيحي غربي استمدت شرعيتها من الكنيسة البروتستانتية التي تجسد عقائد المسيحية الصهيونية.

وتناقش الباحثة هنا قضية "هوية" ذلك المشروع الذي سعى إلى تأسيسه الغرب المسيحي البروتستانتية بدوافع عقدية تجسد الفكر الصهيوني المسيحي، مع ما يشمل من دوافع استعمارية لمشروع إحلائي قائم على تفرغ فلسطين من أهلها، ومسح هويتها العربية الإسلامية الذي كشفت نتائج الأركيولوجيا الحديثة عكس رؤيته العقدية بالمجمل.

المطلب الأول: نشوء دولة الكيان وضعف أداء العالمين العربي والإسلامي.

كان ولا يزال ضعف أداء العالمين العربي والإسلامي سبباً وجيهاً لخلق مشروع استيطاني إحلائي في فلسطين أهم أسباب هذا الضعف الجهل العام لطبيعة الفكر العقدي الذي أسس لقيام إسرائيل الذي تجسد في الصهيونية المسيحية الغربية بعد اتفاقية سايكس بيكو في بدايات القرن العشرين.

المسألة الأولى: إسرائيل دولة يهودية منذ النشأة عام 1948.

والنقاط المفصلية الأكثر أهمية التي انتشرت من خلال الدراسات البحثية عن كم الثقة التاريخية في التوراة ونسبتها إلى موسى وهي: هل التوراة متواترة؟ وهل فيها اختلافات في اللغة؟ وما هي حقيقة التناقضات الموجودة في أسفارها الخمسة؟ أو بينها وبين باقي أسفار العهد القديم؟ وما علاقة الحركة الصهيونية بالتوراة؟ وكيف ساهمت التوراة التي تمت كتابتها من قبل أحبار اليهود في بابل بين 586-539 ق. م بعد عصر موسى عليه السلام بما لا يقل عن 800 عام⁽¹⁾. في تكوين الفكر البروتستانتية وهو أساس العقيدة للصهيونية المسيحية؟ وكيف لدولة هي إسرائيل تستمد شرعية وجودها من التوراة رابطة بين الصهيونية بصفتها حركة استعمار حديثة، وبين ديانة هي اليهودية، دون أن يحرك الفكر السياسي والديني العربي أدنى جهد في الكشف عن حقيقة بُعدها العقائدي، ودور اليهودية كديانة في المشروع الصهيوني والذي يتضح عملياً من خلال ما طرحته الرموز السياسية والقيادية في دولة الكيان الصهيوني من فكر تأصيلي لتوجيه دفة السياسة في الدولة باعتبارها دولة قائمة على البعد العقدي رغم ادعاءات رموز الحركة

⁽¹⁾ انظر: سوسة، أحمد العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ص ل ل، ط2، مصدر سابق.

الصهيونية بأنهم علمانيون والتي سعت أي- الحركة الصهيونية - لإيجاد دولة لليهود باختصار هي دولة دينية يهودية ومنذ النشأة، ومن تلك الرموز رئيس الوزراء الأول ديفيد بن غوريون، وشغل منصبه في الفترة الواقعة بين سنوات (1948-1963)، وما عنه ببعيد ما كانت تصرح به رئيسة وزراء إسرائيل غولدا مائير وشغلت منصبها في الفترة بين الأعوام (1969-1974) في تبرير واضح لاستعمار فلسطين منطلقاً من نصوص لاهوتية، تدّعي فيها أحقيتها بالأرض المقدسة، تحقيقاً لوعده الرب، ومناحيم بيغن في الفترة بين الأعوام (1977-1983) والذي كان يتحول من كبير ساسة إسرائيل الى حاخام يخاطب عواطف اليهود والغرب المسيحي حينما يُعلن أنّ فلسطين هي الأرض التي وعدهم الرب بها⁽¹⁾.

ناهيك عن وضوح التناقضات والاختلافات بين النصوص في جميع نسخ الكتاب المقدس قبل أن تظهر تقنية الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر والتي عُثر عليها من نشاطات البطارقة في كتب العهد الجديد وتظهر بأكثر من مئة وخمسين ألفاً من الاختلافات بين النصوص⁽²⁾ بينما بدأ المسلمون منذ منتصف القرن الثامن الهجري في تدوينات الحركة النقدية للكتاب المقدس، من خلال الأدوار التاريخية التي مر بها بنو إسرائيل، مما أسهم في الكشف عن التناقضات بين النصوص التي كشفت تزوير المتن وفقدان السند، الأمر الذي أدى إلى ضياع التوراة الحقيقية والإنجيل الحقيقي، بعد أن توصل علماء المسلمين إلى هذا من خلال نصوص الكتاب المقدس نفسه⁽³⁾. لم يتطرق الفكر السياسي العربي لمعالجة ما يسمونه الصراع العربي الإسرائيلي ضمن تلك النظرية بل اعتبر اليهودية ديانة سماوية فاصلاً بينها وبين تأثيرها في التكوين العقائدي في الحركة الصهيونية التي كان نتاج عملها الدؤوب تحقيق متطلبات المشروع الصهيوني في قيام دولة إسرائيل ساندها ولا زال الصهيونية المسيحية، ولهذا السبب ولافتقار المكتبة العربية

(1) انظر: خوري، جريس سعد، إنتفاضة السماء والأرض، ص22، مطبعة وأوفست الحكيم، الناصرة، 1989م.

(2) انظر: زكي، أحمد، انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، ص34، ط1، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995.

(3) الدسوقي، مصطفى حسنين، رمضان، جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر "عرض ونقد"، ص5-13، رسالة دكتوراة جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة 1424هـ-2004م.

للتجمات عن حقيقة التراث الأدبي اللاهوتي اليهودي إلا ما ندر كان ولا زال المسلمون العرب يتعاملون مع تلك الجزئية أنها- أي اليهودية- مجرد ديانة سماوية لموسى عليه السلام متغافلين تماماً أن أيادي التحريف اليهودية امتدت إليها منذ زمنٍ طويلٍ جداً بُعيد وفاة موسى عليه السلام لتطعن في صحة نسبه لها، فلم يُعدَّ يُنظر إلى العهد القديم ولا إلى نصوصه على أنها من وحي السماء إطلاقاً الأمر الذي شتَّ بهم عن جوهر المصيبة فامتثلوا لواقع مغاير لطبيعة ذلك الحدث المأساوي فعاشوا واقعاً لا يمثل حقيقة المرحلة بما لديهم من معارف محدودة ولا يمتَّ لأيدولوجيات اليهودية المتصهينة ولا لأطماع الصهيونية المسيحية وَجَزِيْهَا المستمر من خلال حرب عقديّة ضد الأمة بعامة والفلسطينيين بخاصة، ذنبهم في هذا التغول الغربي أنهم أصحاب الأرض وأهل القضية، كانت تلك الحرب ولا زالت شديدة البأس، شديدة الإصرار عبر قرون طويلة، وقد نال هذا من أجيال تلو أجيال في الأمة الإسلامية والعربية خلال فترة التحول إلى الدولة القومية التي خانها التفكير، نتيجة للقصور المعرفي الممنهج من أن إقامة إسرائيل كانت بدوافع عقديّة، لأن "الرب" وعد اليهود بأرض صهيون التي وهبها لأجدادهم إبراهيم وإسحق ويعقوب منذ أربعين قرناً⁽¹⁾ حينما كانت جذور الصراع قد استعر أوارها بين أجداد أصحاب الأرض من الكنعانيين الذين قاوموا احتلالهم لبلادنا وبين هؤلاء الصهاينة المبكرين، وهو ما ذكره التناخ في روايته التاريخية- والتناخ هو عبارة عن مجموع الإرث العقدي لليهود الذي يشمل التوراة والتلمود والمدراش وبروتوكولات حكماء صهيون-، وبينما غاب عن الحركات القومية العربية التي أصرت على أن اليهود مجرد حركة استعمارية لا غير، غافلة عن أن ما يحركها معتقداتها التوراتية، برزت فيما بعد حركات مقاومة عربية وفلسطينية اعتمدت في فكرها البعد الديني الإسلامي تناول موضوع الصراع الدائر بشكل عقدي ولو تفاوتت في ذلك التطبيقات للنظريات العقديّة على الأرض، لم يدرك متخذو القرار العرب والفلسطينيون من سياسيين ومفكرين ومثقفين وإعلاميين وناشطين في حقول السياسة وعلم الاجتماع الجذور اليهودية للصهيونية ودولة إسرائيل، والدور المهم الذي تلعبه العقيدة اليهودية في الفكر السياسي الصهيوني- إسرائيلي المعاصر الذي نتج عن الدمج بين العقيدة والفكر في إنتاج "الكيان الصهيوني" فوجود

(1) انظر: العلواني، رقية وآخرون، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، ص49-50، ط1، مصدر سابق.

إسرائيل دولة هو ما تعبر عنه كل من اليهودية المتصهينة⁽¹⁾، والمسيحية المتصهينة في تجسيد مادي للعقيدة اليهودية "المشيحانية"، في حين تتفق كلتاهما على وجوب قيام إسرائيل بظهور المسيح المنتظر لكل منهما، فمسيح المسيحية الصهيونية هو عيسى عليه السلام، ومسيح اليهود هو المسيا الذي سيأتي ليحكم العالم بعقيدهم⁽²⁾، في حين كان هذا هو الاعتقاد الأبرز الصادر عن سائر الكنائس التي تفرّعت عن الكنيسة البروتستانتية، التي جعلت من العهد القديم مرجعاً أساسياً لها في اصطفاء اليهود وعودتهم إلى الأرض المقدسة، ففي سفر التثنية الإصحاح الأول قال موسى يحدث بني إسرائيل: "الرب إلهنا كلمنا في حوريب قائلاً: كفاكم قعوداً في هذا الجبل، تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين، وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب والساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات، أنظر قد جعلت أمامكم الأرض أدخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلمهم من بعدهم"⁽³⁾، وفي النص 18 من الإصحاح الثالث يقول موسى: "الرب إلهكم قد أعطاكم هذه الأرض لتمتلكوها متجردين، تعبرون أمام إخوتكم بني إسرائيل كل ذوي بأس"، وفي التثنية أيضاً النص 22 من الإصحاح الثالث يقول موسى عمّا أمر به يشوع: "وأمرت يشوع في ذلك الوقت قائلاً: عيناك قد أبصرتا كل ما فعل الرب إلهكم بهذين المَلَكَيْنِ، هكذا يفعل الرب بجميع الممالك التي أنت عابر إليها، لا تخافوا منهم، لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم".

المسألة الثانية: الأركيولوجيا الحديثة كشفت عدم صحة نصوص التوراة التي تُعزّز مقولة أنّ اليهود هم أصحاب الحق الشرعي في فلسطين.

ومن هنا انطلقت حركة الاكتشافات الأثرية الغربية التي كان روادها قادة من الرحالة الغربيين ومن القناصل ثم لاحقاً من العلماء والباحثين يحرك الجميع الدافع الديني لإثبات مصداقية نبوءات التوراة في اكتشافاتهم الأثرية في فلسطين بخاصة والمنطقة العربية بعامة، حيث رغب الكثير منهم في إثبات

(1) انظر: أشقر، أحمد، التهجير والإبادة الفقه اليهودي المعاصر تجاه العرب، ص8-9، ط1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2018.

(2) انظر: أشقر، أحمد، ص8-9، نفس المصدر.

(3) العهد القديم، سفر التثنية، 1:1-9.

مصادقية النبوءات التوراتية، لتعزيز مقولة إنَّ اليهود هم أصحاب الحق الشرعي في فلسطين، وتلك النبوءات التي كثيراً ما ارتبطت بتاريخ حضارات ما بين النهرين وبلاد الشام ومصر، بل نقلت روايات للبابليين والآشوريين والمصريين، أثبتت الاكتشافات الأثرية عدم دقتها وصحتها- النبوءات - بل فُرضت عليها من خلال تناقض الروايات التوراتية ذاتها، وعليه فإن مجرد الإشارة إلى وجود تناقضات تاريخية في العهد القديم كما درج عليه علماء المسلمين مثل ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل)⁽¹⁾ لم يعد كافياً، حتى توالى الاكتشافات الأثرية الحديثة لتوفر لعلماء العصر ما لم يتوفر للقدماء منهم، لتتوضح النتائج البحثية عن حقيقة تناقض وكذب نبوءات التوراة ورواياتها مدعومة بحقائق علمية حسية وليست مجرد نظريات، وإلا لما كان من أمر الكنيسة في عهدها الأولى عندما قررت اعتماد الأناجيل الأربعة رغم ما فيها من شديد التناقضات في العديد من النقاط، بعد أن اضطررت إلى نذب باقي الأناجيل وعدم الاعتراف بها، كونها نصوصاً مشكوكاً فيها، وعليه أثبت التناقض في روايات التوراة كونها المعين الأصلي لما جاء في الأناجيل، على اعتبار انها تشكل الجزء الأساس والأول للكتاب المقدس الذي أراد من خلاله العالم المسيحي الغربي بقيادة البروتستانت والذي تمَّ له فعلاً- من إقامة صهيون ومن ثم دفع اليهود للهجرة إلى موطنهم الأصلي حسب ادعاءاتهم ومزاعمهم التي تُجانب الحقائق التاريخية، وهذا الفكر الذي يُمثل معتقداً توراتياً بالأساس أفضى إلى عملية التزاوج التي حدثت بين الصهيونية اليهودية بقيادة هرتزل والصهيونية المسيحية، وبناء عليه أُقيمت مؤسسات للبحث والاكتشاف والتي كان على رأس أولوياتها إيجاد موطنٍ قدم لليهود في فلسطين، إضافة إلى إثارة مشاعر اليهود وتنبههم للعودة إلى الأرض المقدسة، ومن تلك المؤسسات " صندوق الأبحاث الفلسطينية والجمعية الأمريكية للتنقيب بفلسطين والمدرسة البريطانية للأثار في فلسطين والسفارة المسيحية الدولية"⁽²⁾ اذن: فقد بات علينا الاعتراف بحقيقة ما توصلت إليه الدراسات النقدية والبحثية وحركة الكشوف الأثرية الغربية عن حقيقة صحة نصوص التوراة ونبوءاتها في فلسطين والقدس بخاصة، فحقيقة العهد القديم قد أضحت منذ القرن السادس عشر جزءاً من عقيدة الكنيسة البروتستانتية بعد أن تحول إلى كتاب سياسي أهم ركائزه الوعد الإلهي

(1) انظر: ابن حزم، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد الفصل في الملل والأهواء والنحل وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، ج1، ص93-95، مكتبة السلام العالمية.

(2) انظر: حاتاة، هشام أساطير التوراة وأسطورة الأناجيل ص24-25، مصدر سابق.

لشعبه المختار في تملك الأرض المقدسة وبذلك تحولت اليهودية من ديانة إلى قومية ترمز لأمة هم اليهود إضافة إلى أنه- أي العهد القديم - قد أصبح أصلاً من أصول شعائرها الدينية ومعالم عبادتها وبذا صارت عقيدة الكنيسة البروتستانتية هي المنطلق لتخريج مريدين وأتباع لها يدينون بمرجعيتها العقيدية من مفكرين وأدباء وسياسيين ورجال دين .⁽¹⁾

فعمليات البحث عن الإسناد الذي يوثق تاريخياً وعلمياً ما يسمى بالعهد القديم التي يتداولها مسيحيو العالم اليوم على اعتبار أنها الجزء الأم في الكتاب المقدس باتت ضرورة لا سبيل للخلاص منها يُعززها أسباب أساسية أخرى كانت وراء التقدم الذي أحرز في مجال علم النقد التوراتي منها النظام الإقطاعي في العصور الوسطى الذي تحالف مع الكنيسة مما تسبب في خلق أدران ومصائب اجتماعية كان أشدها في الجوانب الاقتصادية التي كانت العامل الأول في إعلان الثورة الفرنسية، مما أسهم في انتشار ثورة فكرية نشطت ضد الكنيسة والإقطاع أهمها الدافع الديني المتمثل في الثورة ضد الكنيسة والتي كان أبرزها في الحركة البروتستانتية، لتبدأ الدراسات والبحوث العلمية في صحة نصوص الكتاب المقدس والنصوص التاريخية بشكل عام، لا سيما بعد أن أصبح نقد النص فيها والتحقق من صحته هما الأسس التي بُنيت عليها فيما بعد أساليب العلوم للتعامل مع المصادر التاريخية الأولية بشمولية والسبب في تقدم علم النقد التوراتي بشكل خاص⁽²⁾ ، وقد أسهم عامل الإختلاط بالمسلمين وعلومهم للإستمرار في هذا الدرب، بعد أن فطن مسيحيو القرون الوسطى إلى دقة المنهج النقدي الذي اتبعه المسلمون لتوثيق علومهم⁽³⁾ ، وبالنظر إلى ما سبق فقد تمّ إخضاع نصوص الكتاب المقدس بفرعيه لمناهج النقد منذ القرن السابع عشر من قبل اللاهوتيين والمفسرين، لمنح الفرص نحو خلق توافق بين النصوص المقدسة في أسفار التوراة لدى اليهود وبما في أيدي المسيحيين من نصوص العهد الجديد بعد إخضاع جميع النصوص لمعطيات العلم الحديث، فبهذا

(1) انظر: السماك محمد الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي، ص40، ط1، مركز دراسات العالم الإسلامي 1991 م مالطا.

(2) انظر: السماك، الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي، ص40.

(3) انظر: الخولي، أمين، صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، ص44-48، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، بحث مقدم الى مؤتمر الأديان الدولي السادس المنعقد في مدينة بروكسل بين 16-20 سبتمبر 1935.

التوافق تتم عملية تثبت أصالة تلك النصوص وأنها وحي سماوي⁽¹⁾، وهو تماماً ما أشار إليه الكاتب موريس بوكاي في مقارنة بين أصالة نصوص الكتب المقدسة القرآن والتوراة والأنجيل وبين المعطيات العلمية الحديثة، الأمر الذي أثبتت فيه كل معطيات العلم الحديث تناقضاً صارخاً مع نصوص التوراة والأنجيل في حين كانت ولا زالت النصوص القرآنية متماهية مع معطيات العلم الحديث وهذا دلّ على أنّ النصوص القرآنية وحي إلهي⁽²⁾، بينما في سفر التكوين جاء في النص بشأن دعوة إبراهيم عليه السلام: أنّ إبراهيم بُعث بالدعوة ونُفي من أرض أجداده المدنّسة بالوثنية وفيما وراء هذا العالم كان لإبراهيم أن يؤسس أمة عظيمة لا أمل للشعب الوثني أن يعيش في رحابها فهو قد بُعث إلى أمة معينة بشكل تخصيصي هي إسرائيل، فرسالة إبراهيم كانت لأجل الأمة، والبركة غير المحددة، فالأمة هي إسرائيل، والبركة في النص من الإصحاح 12:2 من التكوين تفسر بما لا يدعو مجالاً للتكهن أنها تتعلق بإبراهيم وإسرائيل فقط⁽³⁾ فباقي الأمم لا مكانة لها ببعثة إبراهيم وهو الذي بعث لأجل التوراة وأمة إسرائيل لا غير، ونفي القرآن في هذا الباب ظاهر بيّن عن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾، بينما تستمر التناقضات التي تُجانب حقيقة الترتيب الزمني للأحداث عن إبراهيم وأبنائه عليهم السلام ومنها: وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك فقال الله بل سارة إمرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده وأما إسماعيل ها أنذا أباركه

(1) انظر: الكلام، يوسف، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتفديس ص23-25، مصدر سابق.

(2) انظر: بوكاي موريس التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص18-21، ط3، ترجمة: حسن خالد المكتب الإسلامي 1411هـ-1990م، دمشق، بيروت.

(3) انظر: غودمان مارتن وآخرون إبراهيم في السرديات اليهودية والمسيحية والإسلامية قراءة حفرية في القرابة بين الأديان الإبراهيمية، ص42، ط1، ترجمة: نبيل فياض المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2017.

(4) البقرة، الآية 140.

وأثمره وأكثره كثير جداً اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية، فلماً فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم! " (1).

والسؤال المطروح الآن بإلحاح: هل قال موسى عليه السلام في التوراة عن إبراهيم عليه السلام تلك الأحداث فيما لو فرضنا أن موسى فعلاً هو من دُون توراته؟ سيما أن سفر التثنية الإصحاح 34: 1-5 جاءت نهايته على النحو الآتي: " فمات هناك عبد الرب موسى في أرض مؤاب حسب قول الرب ودُفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكلَّ عينه ولا ذهب نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات مؤاب ثلاثين يوماً فكملت أيام مناحة موسى، وفي الحقيقة أنا أتساءل وليس للمرء العادي إلا أن يتساءل كيف لميت مات ودفن ونعاه أهله أن يكتب عن ذاته أو يؤرخ لما حصل معه وبالكيفية والوصف اللذين مات بهما، هذا على اعتبار أن العهد القديم هو توراة موسى عليه السلام، فكيف إذن سيعقل هذا عن نبي من أنبياء الله وكيف سيعقل أن هذا هو الوحي و كتابه الذي خطه بيده أو حتى أمر بكتابته وفيه ذكر وفاته ووصف لنفسه في موته! وفيه من التناقضات والتضارب في الفكر والمادة التاريخية والتأريخ لأحداثها ما فيه، وما مدى صدق الرواية عن العهد الإلهي لإبراهيم الذي خصَّ به الله إسحاق ونسله دون إسماعيل عليهما السلام، هل يُعقل هذا والقرآن العظيم يخبرنا بأن إبراهيم كان أمة أي إماماً للهدى فلم يشرك بالله قط بل كان مستقيماً طائعاً له ومعلاً للخير (2) ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (3) نافياً عنه اليهودية والنصرانية، بل تكذيب من الله لليهود والنصارى الذين نسبوا إبراهيم وملته إليهم وتوضيحاً لأهل الإسلام بأنهم هم من يسيرون على منهاجه وشرعه وهم أهل دينه دون سائر الأديان الوضعية قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (4).

(1) سفر التكوين: 17: 18-22.

(2) انظر: الطبري أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد جامع البيان النحل، 120 ج 14، ص 394، ط1، تحقيق:

عبد الله بن عبد المحسن التركي سورة النحل هجر للطباعة والنشر، 1422هـ - 2001م، القاهرة.

(3) النحل، 120.

(4) البقرة 132.

المطلب الثاني : انهيار فكرة شرعية دولة إسرائيل في فلسطين.

وقد تم فرض جدلية العلاقة لشرعية دولة إسرائيل في فلسطين من خلال رؤية العهد القديم، فيما تصدى لهذه العلاقة منابر عدة: منها لاهوتية ومنها نقدية ومنها أثرية عبر تعرض العهد القديم للدراسات البحثية النقدية تساندها الكشوفات الأثرية واللذان أسقطتا شرعية قيام (دولة إسرائيل) في فلسطين.

المسألة الأولى: علماء لاهوت ونقاد وبحاثة وكتاب أسقطوا فرضية انتماء ما يُدعى

الشعب اليهودي إلى فلسطين من خلال التعرض لنقد توراتهم (العهد القديم).

لقد بينت الأدلة السابقة من النصوص التوراتية في سفر التكوين وسفر التثنية وهما من الكتب الخمسة الأولى التي تتشكل منها تورا السبي البابلي (العهد القديم) المنسوبة لموسى عليه السلام، بينت عدم التوافق بين نصوصها رغم إقرار العالم الغربي بها القسم الأول من الكتاب المقدس المسيحي، ودستوراً لدولة الصهاينة وأيضاً التي تقوم وتُبنى عليها نصوص العهد الجديد، المنهل العقدي للصهيونية المسيحية وباقي طوائف المسيحية في الغرب الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية والعالم المسيحي بأسره، هذا عين ما توصل إليه الكاتب والباحث اليهودي أموند جاكوب عندما قال: " إنَّ معظم النصوص والقصص التوراتية عن موسى والآباء لا تتفق مع الأحداث التاريخية وعُفِّت بكثير من الصناعة الأسطورية وفيها تناقضات جمّة في السرد التاريخي للأحداث"⁽¹⁾، يقول الإمام الغزالي السقا في تقرّظه لكتاب (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن) لمؤلفه إبراهيم خليل أحمد والذي كان نصرانيا واعتنق الإسلام يقول: إنَّ تلك الكتب السماوية تحتوي باطلاً بيّناً بما تنسبه من صفات البشر لله وهذا الباطل شمل الأنبياء من خلال توصيفهم بصفات لا تليق بهم وهم الصفوة بين البشر، إضافة إلى أنّ أصحاب تلك الكتب درجوا على إنكار محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته وعروبته رغم البشريات التي وردت في كتبهم عنه وتجاهلوها ليس لشيء إلا بسبب حقدهم وعداوتهم للعروبة والدين الخاتم ونبيّه صلى الله عليه وسلم، ولهذه الأسباب سيكون جديراً بكل باحث مسلم أن يكتشف ما تحويه تلك

(1) انظر: بوكاي موريس التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ص 24-25 ط3، مصدر سابق.

الكتب ويجلو ما فيها من غوامض بهذا الشأن⁽¹⁾، وهنا لا بد من تعقيب على ما قرّظ به الإمام الغزالي وهو أنه رغم يقينه بما تم تحريفه وتبديله لتلك الكتب إلا أنه نسبها إلى السماء بقوله (المواريث السماوية بيد القوم) ويقصد بها التوراة والإنجيل التي بين يدي اليهود والنصارى ويعزّو ما فيها من نكران لرسالة محمد إلى مؤلفي هذه الكتب! إذن فكيف تكون مواريث سماوية بعد ما عُلم عنها أنها من تأليف أشخاص بشر؟ ويقول مارتن لوثر زعيم البروتستانت بعد أن انقلبت مفاهيمه عنهم: إن اليهود منافقين سفاحين قد أفسدوا الكتاب المقدس وحرفوه وزيّفوه من الصفحة الأولى وحتى الأخيرة فيه من خلال ما أقدموا عليه من تفاسيرهم نسبوها للعهد القديم⁽²⁾، وهو الذي كان قد جعل منهم في كتابه (كُون يسوع المسيح وُلد يهودياً) الأمة الوحيدة المؤهلة لرسالات الله في الأرض بسبب أنهم أبناء الله وشعبه المختار⁽³⁾، وأما آدم كلارك وهورن من علماء اللاهوت فقالوا: "حرف اليهود التوراة لتصبح الترجمة اليونانية غير معتبرة عند المسيحيين كما حرفوها من قبل لأجل عناد السامريين، هذا بالإضافة إلى ما ضيَّوه ومزَّقوه وحرفوه ومع هذا بقي الكثير من الصدق فيها"، وقد استشهدا بقول المسيح في إنجيل يوحنا 8/7 " أن كل الذين جاؤوا قبله كانوا سراقا ولصوصاً"⁽⁴⁾، وقد أيدَ هذا القول رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق فقال: إن اليهود قد حرفت نسخة التوراة العبرانية نكاية بالسامريين وبالدين المسيحي وللتشكيك في صحة النسخة اليونانية منذ عام 130م، وبناء على ذلك أجمعت فرق المسيحيين منذ ذلك الحين وحتى القرن الخامس عشر على اعتبار النسخة اليونانية وعدم الاعتراف بالنسخة العبرانية حتى ظهرت البروتستانتية في القرن السادس عشر لينقلب الحال فتصبح

(1) انظر: خليل، أحمد إبراهيم، محمد -صلى الله عليه وسلم- في التوراة والإنجيل والقرآن، ص28، دار المنار للنشر والتوزيع.

(2) انظر: لوثر، مارتن 1483م-1546م اليهود وأكاديبهم ص76، ط1 تقديم: محمود النجيري مكتبة الناظفة 2007م، الجيزة 2 شارع الشهيد أحمد حمدي.

(3) انظر: الشنقيطي محمد بن المختار البابا وإسرائيل وطأة النص والتاريخ القلق قطر. <https://www.aljazeera.net/opinions/2009/5/14/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%A7->

(4) انظر: زكي، أحمد، إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، ص28، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر 1995م، بيروت.

النسخة العبرانية هي الأصل لليهود والبروتستانت التي قالت بتحريف اليونانية⁽¹⁾، وهو ما أيده موريس بوكاي الناقد الفرنسي الذي قال: "بأن اليهود هم من كتب أسفارهم وليس الله وكان ذلك خلال تسعة قرون وبلغات مختلفة معتمدين على تراث منقول شفويًا ومن ثم كانت تلك الأسفار تُعاد كتابتها لملاءمة الأحداث والعصور بناءً على سجايا وطبائع الكتاب في كل زمن أو عصر وحسب الأحداث التي عايشوها مما أنتج نصوصاً متضادة لا يستسيغها عاقل"⁽²⁾ فحتى لو بقي في تلك الأسفار شيئاً من الوحي - هذا فيما لو ذهبنا الى فرضية انها تورا موسى عليه السلام - فإنه قد انصهر داخل نصوصها وبخاصة أن التاريخ يقول إنَّ التورا فُقدت في عهد مملكة يهوذا واكتُشفت في أيام يوشيا أحد ملوك تلك المملكة! ثم ضاعت حتى الغزو البابلي في عهد نبوخذ نصر ملك بابل عام 586 ق. م، ليُعاد كتابتها في عهد قورش الفارسي بعد فرضية العودة من السبي البابلي إلى أرض فلسطين، ولكن الأهم أن تلك التورا تعرضت إلى ما يشبه التبديل الكامل بعد حادثة السبي لئتم تدوينها بمباركة الفرس وبدون أدنى تدقيق وفق عقائد الوضّاعين لها⁽³⁾.

وما تستنبطه الباحثة من عملية استقرائها لتاريخ كتاب اليهود المقدس فإنها تتوصل إلى: حقيقة اندثار الكتاب السماوي الذي بُعث به موسى عليه السلام، بل حتى إنَّ حركة النقد التاريخي التي نشطت في أوروبا إنما وقعت ولا زالت على نصوص التورا الموضوعية التي بين أيدي قومها الآن، وعن كيفية نسبتها إلى النبي الكليم عليه السلام، وكيف جُعلت أساساً للعهد الجديد المنسوب إلى عيسى عليه السلام أيضاً؟ إجابات تلك الأسئلة استطاع البحث العلمي التوصل إلى نسبة صحتها العلمية بمساندة الاكتشافات الأثرية الحديثة والدراسات البحثية قديمها وحديثها للرسو على حقيقة الكتاب المقدس بعهديه ومن خلال أدلة وبراهين يتم الكشف عنها بإطراد منذ نهايات القرن الثامن عشر. أبرز تلك الأدلة، الدراسات البحثية النقدية وبدأت بعد اكتشاف حجر رشيد وحل رموز اللغة الهيروغليفية.

(1) انظر: ابن خليل الرحمن، رحمت الله الكيرانوي، إظهار الحق، ج2، ص429، ط1، تحقيق: محمد أحمد محمد عبد القادر.

(2) انظر: بوكاي موريس التورا والإنجيل والقرآن والعلم، ص28-31، مصدر سابق.

(3) انظر: زكي، أحمد، انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، ص9، مصدر سابق.

المسألة الثانية: تفكيك الشيفرة للكتابة المسمارية والكتابة الهيروغليفية على الرُّقوم الحجرية والألواح الطينية في مصر والشام وبلاد ما بين النهرين أنقذت فلسطين من براثن اندثار هويتها التاريخية العربية.

كان اكتشاف حجر رشيد دليلاً أثرياً مهماً أدى الى تحول تاريخي هام في حقيقة صدق نصوص التوراة التي كذبتها النصوص المحفورة على حجر رشيد والتي جاءت متوافقة مع ما تمَّ إكتشافه من الباحثين في تاريخ بلاد الرافدين بعد عكوفهم على تفكيك الشيفرة الكتابية المسمارية المحفورة على الرُّقم الحجرية والطينية لحضارات ما بين النهرين الآكادية والسومرية والآشورية والبابلية التي أماطت اللثام عن حقيقة النصوص التوراتية المنقولة عن تلك الحضارات⁽¹⁾ التي بنى عليها المؤرخون والباحثون العرب والمسلمون التسلسل التاريخي لفلسطين وبدون أدنى تدقيق في حقيقة الروايات التوراتية حتى بدأت نقشو نتائج الأبحاث الأركيولوجية الحديثة التي دحضت تلك الروايات عن فكرة أرض الميعاد والوطن القومي ومملكة يهوذا والهيكل، والسؤال المطروح بإلحاح هو كيف تناسى البحاثة العرب والمسلمون أن دود وسليمان عليهما السلام كانا نبيين من أنبياء الله مسلمين وليسا يهوديان، وأنه حتى لو كان هيكلًا لسليمان في القدس فإنه سيكون دار عبادة للواحد الديان على الرغم من أن نتائج الأبحاث الاثرية حتى كتابة هذا البحث نَفَتْ بالملق التوصل إلى هيكل لسليمان في القدس أو مكان الحرم القدسي أو أسفله، وحتى فيما بعد هذا بقيت التوراة مصدراً لقصص الإسرائيليات التي دخلت بعض مصادر التاريخ الإسلامي وبخاصة علم التفسير، فقد طفحت بها كتب التفسير التي نسبتها إلى الصحابة والتابعين وسيد الخلق أجمعين وللإسلام، حتى باتت بيئة خصبة للطعن والتشكك في الدين⁽²⁾، ومصدراً للعديد من الباحثين العرب والمسلمين والدراسات البحثية في تاريخ فلسطين، بينما تكشفت أولى حقائق معارضة نصوص التوراة للنظريات العلمية عن نشوء الأرض وبداية الخلق وغيره منذ بدايات القرن السابع عشر من الفيزيائي الإيطالي جليو جاليلي 1564م-1642م بخصوص ما

(1) انظر: حتاتة، هشام، أساطير التوراة وأسطورة الأنجيل، ص20-23، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018م.

(2) انظر: أبو شهبة، محمد بن محمد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص93-95، ط4، القاهرة 1408هـ.

نشره عن كروية الأرض وجاءت مناقضة لنصوص الكتاب المقدس بعهديه⁽¹⁾ ، بينما تصاعدت وتيرة الدراسات البحثية للعلماء حول موضوعية العهد القديم امام الثورة العلمية التي اكتسحت أوروبا في القرون الوسطى وما بعدها خرجت نتائجهم البحثية معاكسة وفي مواجهة النص التوراتي، سيما وأنَّ منهم من أقام الحجة بعملية مقارنة بين نتائج البحثية ونصوص التوراة والكتاب المقدس ما أدى الى كشفت زيف النص الديني اليهودي وهو اصل الكتاب المقدس لدى اصحاب الانجيل والمسيحية المتصهينة امام حقائق العلم، لتضع ابحاثهم تساؤلات عديدة امام حقيقة ما تحويه ما يزعمون انها اسفار موسى الخمسة ! وبذا توصلت نتائج الدراسات البحثية والنقدية الى أنَّ التوراة أو العهد القديم ما هي في حقيقة الأمر إلاَّ حصيلة تدوين احبار اليهود وحاخاماتهم عبر قرون زمنية استثمر فيه هؤلاء نسبة التوراة السماوية الحقيقية الى موسى عليه السلام فدَّونوا توراتهم بما يشتهون وما مرَّ عليهم من صروف الدهر فبدَّلوا ما دَوَّنوا وغيَّروا وحدَّفوا ونقَّصوا وزادوا، وصولاً إلى نهاية القرن 6 ق. م، وأوائل القرن 5 ق.م، حتى عرفها اليهود بتلك الصورة على يد عزرا.⁽²⁾

والباحث الإسرائيلي إسراييل شاحاك كان قد أمار اللثام في كتابه (الديانة اليهودية وتاريخ اليهود) عن تلك الجزئية فقال ما مفهومه أن ما هو متداول بين مسيحيي العالم عن الديانة اليهودية وانها مستقاة من التوراة هو كذب وتزوير فهي ليست توراتية ولا تأخذ بتعاليم العهد القديم كما هو حال الإنجيل لدى المسيحية البروتستانتية⁽³⁾ ، وهذا بدوره كان مدعاة للتشكيك في أدبيات المسيحية الصهيونية التي تعتمد العهد القديم لها أصلاً، ففي حقيقة الأمر أن العهد القديم أو التوراة المتداولة بين اليهود والمنسوبة إلى موسى عليه السلام إنما هي تلفيق وبهتان وتضليل لا يجوز نسبها لموسى عليه السلام، والتي هي بؤرة عقيدة اليهود والمسيحيين والصهيونية المسيحية على اختلاف طوائفهم.

وعليه تستنتج الباحثة مما سبق مجموعة من النقاط المفصلية هي:

(1) انظر: ماكر، بيتر، موسوعة ستانفورد للفلسفة، جاليلو جاليلي، ص16-17، ترجمة: محمد صديق أمون.

(2) انظر: قنوهل، إسرائيل، نشأة العهد القديم بين علم الآثار وعلم نقد العهد القديم، ص307-315، ط1، ترجمة: عمرو زكريا خليل، ط1، القاهرة 2018.

(3) انظر: شاحاك، إسرائيل، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ص70، ط4، ترجمة: رضي سلمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1997م.

1- أسهمت حركة الدراسات النقدية للكتاب المقدس مع الاكتشافات الأثرية والأركيولوجية الحديثة في تصدع تلك الهالة المقدسة التي فرضتها الكنيسة على الكتاب المقدس، مما أتاح المجال للباحثين والنقاد في التعامل مع نصوصه التي كان المساس بها يعتبر هرطقة تعاقب عليها الكنيسة.

2- وبهذا الشكل أخضعت الكنيسة، فبدأت بحركة نقد كتابها المقدس، وبخاصة العهد القديم، حفاظاً منها على موروثها الديني، لعلمها ما في النصوص المقدسة من تناقضات لو تركتها للنقاد دون مراقبتها لأودت بتاريخية كتابها المقدس.

3- نتيجة للحركة النقدية تلك صار من الطبيعي أن تتوالى البعثات الأثرية الغربية على فلسطين بدعم مدارس ومؤسسات لاهوتية أشهرها المدرسة التوراتية والأثرية للقديس آيتين، والمعهد الإنجيلي الألماني لعلم الآثار القديمة للأرض المقدسة، للتأكد من الأسماء للشخوص والمدن والأماكن الواردة في العهد القديم، على رأس تلك البعثات قناصل الدول ذاتها⁽¹⁾.

4- وبذا تُمهّد لما اعتبرته حق اليهود في وطنهم في إطار عقدي لربط اليهود بفلسطين تمهيداً لإنشاء دولة الكيان وفق مرجعية تاريخية نحو خلق اعتبار أدبي لها في القانون الدولي لتلتي ذلك أهداف الصهيونية اليهودية بأهداف ومساعي الصهيونية المسيحية التي وقفت وراءها كل من بريطانيا وأمريكا بشكل خاص بخلق مؤسسات هدفها الأول زرع وتثبيت للوجود اليهودي إلى حين قيام دولة إسرائيل وأهم تلك المؤسسات الجمعية الأمريكية للتنقيب في فلسطين والمدرسة البريطانية للآثار بفلسطين وصندوق الأبحاث الفلسطينية⁽²⁾.

5- فالتوراة التي اعتبرت المرجعية لما سلف، أثبتت الحركة النقدية بمؤازرة نتائج التنقيبات الأثرية بأنها ليست توراة موسى، وأما ما ضمته تلك التوراة اليهودية عن حقها في فلسطين والقدس فإنما هو مجموعة من الأباطيل والتلفيقات، نَسَبَهَا أصحاب الديانة اليهودية إلى الكتاب السماوي المندثر.

6- وبينما بات التوجه البحثي الغربي اعتماد نتائج الاكتشافات الأثرية والابتعاد عن النظريات من المرويات التوراتية أكد البروفيسور طومسن أستاذ علم الآثار في جامعة ماركويت في ميلووكي بالولايات المتحدة الأمريكية افتقار التوراة اليهودية للثقة العلمية مصدراً لحضارات وتاريخ المنطقة مطالباً بالتوجه نحو النتائج الأركيولوجية منهجاً تاريخياً موثقاً مادياً، بينما أصرَّ على فشل عملية

(1) انظر: حتاتة، هشام، أساطير التوراة وأسطورة الأناجيل، ص9، مصدر سابق.

(2) نفس المصدر.

كتابة تاريخ فلسطين من نسج قصص العهد القديم، التي صيغت في أثناء القرن الثاني للميلاد، معتبراً العهد القديم فاقد القيمة من حيث اعتباره مصدراً تاريخياً⁽¹⁾.

7- في حين وافق هذا المنظور للرواية التوراتية أحد أبرز علماء الآثار في إسرائيل، ويُدعى إسرائيل فنكلشتاين مدير المعهد الأركيولوجي في تل أبيب، حول أصول إسرائيل وعلاقة اليهود بالقدس، فقد تبنى فنكلشتاين فكرة اعتزال الروايات التوراتية اللاهوتية الفارقة للعلمية والموضوعية، داعماً لاستقراء المشاهدات الأثرية دون الالتفات إلى قصص التوراة التي تعكس ما يزخر به المخيال اليهودي لمدوني التوراة والذي أوصلته أبحاثه الأثرية إلى عدم وجود أي صلة لليهود بالقدس لعدم وجود أي مملكة موحدة وكبيرة "للملك" داود، بل إنَّ قُدس ملك اليهود داود المذكور في توراتهم لم تخرج عن كونها قرية صغيرة وفقيرة، وهذا يتوافق تماماً مع ما جاءت به آيات القرآن الكريم عن دواد النبي المسلم عليه السلام وليس داود الملك اليهودي، وإنَّ كنا لا نعرف أين هو مقر حكم داود النبي عليه السلام⁽²⁾.

8- وقد تصدر لهذا عالم الآثار الإسرائيلي زئيف هرتسوغ أستاذ قسم الآثار وحضارة الشرق القديم في جامعة تل أبيب، من خلال بحثه المنشور في جريدة هآرتس بتاريخ 1999/11/18م، والمعنون ب (التوراة: لا إثباتات على الأرض)، والذي وضَّح فيه نتائج أبحاثه الأركيولوجية التي استمرت لمدة سبعين عاماً التي نفت بالمطلق وجود دولة إسرائيلية في فلسطين أو القدس لتدحض جميع الروايات التوراتية حول أسطورة أرض الميعاد، ولثُميط اللثام عن حقيقة التوراة، ومتوافقاً مع سليبرمان وفنكلشتاين في دحض أسطورة أرض الميعاد وكل مروية توراتية بخصوص علاقة اليهود في فلسطين، فلم تأتِ نتائج التنقيبات عن وجود لمملكة داود وسليمان ولا وجود لهيكل أسفل الأقصى ولم تكشف التنقيبات عن أي أثر تاريخي لرحلة الآباء، ولا حرب يشوع العسكرية، ولا أسطورة ماسادا، جميعها من اختلاق الصهيونية المسيحية لتبرير اغتصاب فلسطين، وتشبث يهود التوراة فيها، هذا ما أفادت به

(1) انظر: طومسون، توماس، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ص82، ط1، ترجمة: صالح علي سوداح، بيسان للنشر، بيروت، لبنان 1995.

(2) انظر: فنكلشتاين، إسرائيل، سليبرمان، نيل اش، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار، ص23، ترجمة: سعد رستم صفحات للدراسات والنشر، بدون تاريخ.

نتائج الأبحاث الأركيولوجية، التي كانت ولا زالت تناقض المرويات التاريخية لتوراة اليهود، في حين اتفقت آراء علماء الآثار والباحثين الإسرائيليين على أنّ رؤية العالمين الأثريين سيلبرمان وفنكلشتاين جاءت تؤكد ما نتج من مساهمات علم الآثار ومكتشفاته، بينما كذبت التنقيبات الأثرية القوى الإمبريالية الغربية بزعماء المسيحية المتصهينة التي استمرت في السعي نحو تحقيق غاياتها السياسية والاستعمارية، باستخدام أسلوب التظلم لليهود بالبعد العقدي لهم في القدس، للاستيلاء على فلسطين باعتبارها الوطن القومي لليهود ما بين الأعوام 1917-1948.

وبناء على ما سبق تصل الباحثة إلى:-

- 1- ثبات وقوع التحريف المستمر خلال العهد التي مرت بها التوراة وباقي ما يسمى أسفارهم المقدسة.
- 2- بطلان كل ما جاء في التوراة والأسفار المقدسة تاريخياً، مما يعزز ما جاء به القرآن العظيم عن أنّ اليهود حرفوا كتابهم، وما توعدهم الله بسببه من الويل.
- 3- ومن ثم فساد عقيدة أرض الميعاد، وما جاء به وعد بلفور حول أحقية اليهود في فلسطين.
- 4- بطلان عقيدة "الماشيح"، وهو المسيح المنتظر "اليهودي"، الذي تنتظره اليهود لقيادة العالم.
- 5- تناقض معظم الروايات التوراتية مع الكشوفات الكتابية والأدبية للحضارات القديمة، كالأشورية والبابلية والمصرية، يُعزز بشكل كبير أن نبوءات أرض الميعاد والشعب المختار والمسيا إنما هي تصورات بشرية ركبت موجتها أطماع الأحرار والمدونين والكتبة لأسفار العهد القديم بما فيها الأسفار الخمسة التي تنسب لموسى عليه السلام.
- 6- الكشف عن حقيقة النهج العقائدي للمسيحية الصهيونية وأنه عين نصوص التوراة وأسفارها التي أصبحت منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وحتى بدايات هذا القرن تطبيقاً واقعاً على أرض فلسطين: جغرافياً وديمغرافياً إضافة لعملية تزييف وتشويه التاريخ الحقيقي لها، للاستمرار في احتلال الأرض وتهجير أهلها.
- 7- إبطال عقيدة الإله الإقليمي الخاص بشعب معين هم اليهود، التي جعلت من ديانتهم ديانة متعصبة عنصرية مغلقة كونها تقتصر إلى حقيقة الوجدانية لله سبحانه وتعالى.

8- الإفك البين في توصيف طريقة موت موسى عليه السلام في سفر التثنية التي تفضح واقع التزوير والتحريف في الأسفار الخمسة المنسوبة إليه، فالروايات التاريخية لا زالت غامضة بشأن الأرض التي مات ودفن فيها موسى، والدليل أنه لا وجود لقبر له حتى يومنا هذا.

9- ذكر القرآن العظيم أن توراة موسى نزلت عليه مكتوبة في ألواح، ومعنى ذلك أنها لا تستدعي كل تلك الأسفار التي نسبت إلى موسى عليه السلام خاصة وأنه ألقى بالألواح وبات معلوماً أن توراة موسى لم يُعثر عليها فيما بعد، وهو ما تصدقه الروايات التاريخية والاكتشافات الأثرية، والدليل أنّ أول توراة تمّ تدوينها كانت بعد حوالي ما يقارب 700 إلى 1000 سنة من موت موسى عليه السلام.

10- التوراة الحالية والأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، التي ترافقها الكثير من الافتراءات والأكاذيب والتناقض في الروايات التاريخية ليست لها علاقة بفلسطين، وكل ما ورد فيه عن أن هناك تاريخاً لليهود في فلسطين هو محض كذب وافتراء، وصدّق على قولي هذا قادة المؤرخين الغربيين أمثال المؤرخ والفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا 1632م وريتشارد سيمون 1678م وكرالستاد من القرن 16 أيضاً، القائل باستحالة كتابة موسى عليه السلام للأسفار الخمسة، والأب ديفو مدير مدرسة الكتاب المقدس بالقدس، وهو من أبطل شرعية نسب تلك الأسفار إلى موسى عليه السلام أيضاً في ترجمته لسفر التكوين عام 1962، وأرنولد توينبي، وموريس بوكاي، في العصر الحديث.

الفصل الثاني

الصهيونية: موجز لتجذر الصهيونية المسيحية في التاريخ الأمريكي.

تمهيد:

كانت انطلاقة الحركة الصهيونية المعاصرة في أواخر القرن التاسع عشر ضمن نتائج مؤتمرها الأول في بازل السويسرية عام 1887 على يد ثيودور هرتزل، والذي سعى لعقد مؤتمرها الأول لإعلان حق اليهود القومي والديني في إقامة وطن لهم بعد أن وقع الاختيار على فلسطين وطناً قومياً ليهود العالم، وإن كانت فكرة الصهيونية قد سبقت هذا المؤتمر بثلاث مائة عام على الأقل، كما أسلفنا سابقاً في الفصل الأول، فقد نبتت جذور الفكر الصهيوني بعد أن ركب اليهود موجة حركة الاحتجاج البروتستانتية منذ أواخر القرن السادس عشر الميلادي، التي جعلت أس عقيدتها من الكتاب المقدس، وبخاصة العهد القديم مما أنتج فيما بعد ما سُمي المسيحية اليهودية أو حركة تهويد المسيحية، ومنها وُلدت المسيحية الصهيونية التي نادى بعودة اليهود إلى أرض الميعاد، تحقيقاً لنبوءات العهد القديم، وأبرزها نزول المسيا المخلص وحكمه الألفي للعالم، وقد أوضحت الباحثة سابقاً أنّ تلك النبوءة كانت ولا زالت في عقيدة كلتا الديانتين: اليهودية والمسيحية، فيما اعتبرت الطوائف المسيحية عيسى هو المقصود بالنزول الثاني، فلم يتبق لتحقيق باقي النبوءات سوى الحكم الألفي بعد إقامة الهيكل، بينما تنتظر اليهود المسيا المخلص على أنّه جزء من عقيدتهم بالمشيحانية، وتلك كانت

أبرز عوامل الضغط على يهود العالم لتجميعهم ضمن حركة قومية تضاهي الحركات القومية التي اشتدت في بروزها، وتباينها في أوروبا، وإن فقدت تلك الحركة الكثير من العوامل التي تتميز بها الحركات الأوروبية، وأهمها وجود وطن وعرق معين ولغة، فلكل قومية وطن وعرق ولغة تنتمي إليه وتقوم عليه أسس الحركة القومية، وهو ما افتقده يهود العالم نظراً لأنهم يشكلون طائفة دينية -هي عملياً - تقع في إطار قومية الدولة التي وجدوا فيها، لذلك كان من الصعب تجميع هؤلاء ضمن حركة قومية بدون وجود أرض ينتمون إليها، كما اعتقد رؤساء الحركة الصهيونية، وعليه فإن مطالبة هرتزل بوجود وطن لليهود حتى ولو كان في أوغندا كان على رأس أجندة الحركة الصهيونية، غير أن زعماء تلك الحركة ارتأوا ما هو تحقيق لنبوءات التوراة في عودة اليهود إلى أرض الميعاد، فكانت فلسطين الوطن القومي الذي اختير لتجسيد طموحات وآمال تلك الحركة في تجميع اليهود من شتات العالم في وطن واحد، ولغة قومية واحدة، يتم إحيائها بديلاً عن اللغات التي يتحدث يهود العالم المتناثرين في أرجاء الأرض، إذن فإن رواد تلك الحركة استطاعوا الولوج الى العقل اليهودي العام، بينما سارع هؤلاء الى ربطه بالتاريخ اليهودي، لتأكيد حالة من التوافق بينهما، وهو ما رفع شعاره العديد من مؤرخي اليهود، ليتم فعلاً ربط عقائد الحركة الصهيونية بموروثات الديانة اليهودية، بل اعترف اليهود بغطرستهم الفارغة بطرح آخر، هو أنّ اليهودية تعتبر مقدمة لبروز الصهاينة مسيحيين ويهود، فهي قد وضعت نصب عين أهدافها إعادة صياغة التاريخ اليهودي، ليوافق ما أنتجه قادتها من فكر توسعي همجي استعماري بمساندة الإمبريالية الغربية، ومن ثم فإن معظم نظريات الحركة الصهيونية قد صيغت بمضامين موروثات اليهود وعقائدهم الباطلة، ولهذه الأسباب مجتمعة فإن دراسة تاريخ الحركة الصهيونية يعتبر قاعدة أساسية لكل باحث ودارس عربي أو فلسطيني يتصدى لكشفها، لمواجهتها بطريقة علمية، بسبب ما كان من نتائجها الفكري الذي تجسد واقعاً بقيام كيان إسرائيل، فعلياً وعلمياً هناك ضرورات أخرى فرضت علينا نحن أصحاب القضية وبخاصة بعد ما صار من تسارع في أحداث التطبيع في العالم العربي، وفتح الأبواب المؤصدة أمام اليهود شعباً ودولة من حقها العيش في قبول وسلام، ومن ثم نسخ لأحقيتنا في استرداد حريتنا ووطننا المغتصب، وأبرز تلك الضرورات هي المعرفة العلمية الشاملة بتاريخ الحركة الصهيونية، ودراسة برنامجها السياسي، فكراً وعقيدة، في سبيل الوصول إلى المقدرة العلمية التي تُستنفذ فيها كل الوسائل للرد بعلمية وموضوعية على ادعاءاتها لحق اليهود في فلسطين وطناً قومياً، إضافة إلى وضع برنامجها السياسي تحت المجهر بأسلوب علمي، أيضاً بعيداً عن العاطفة والجدل السفطائي، بينما استطاع قادة الحركة

الصهيونية تَوَقَّيها، من خلال انغماسهم في تحليل جميع الخصائص والسمات التي تجمع الشعوب العربية بمهنية، وهو ما فشل فيه رواد الحركة الفكرية العربية الذين تصدروا للفكر الصهيوني والشخصيات التي لعبت دوراً تاريخياً فيه بأسلوب يُجانِب المنهجية العلمية وتتحكم فيه عاطفة المغلوب أمام كارثة فلسطين، ممَّا أفقدها المصادقية العلمية، الذي سبب ضرراً بفلسطين وشعبها أبلغ الضرر، فالصراع مع الحركة الصهيونية وقادتها تَنَوَّعَ وأضحى بعد اغتصاب فلسطين 1948 عسكرياً وسياسياً وعقدياً وفكرياً بل بات تصادم حضاري بين الشرق العربي المسلم والغرب المسيحي الاستعماري المتصهين، لتُفرض نظرية البعد القومي والديني على الصراع الدائر، لأنَّ تلك الحركة تستهدف من خلال برنامجها السياسي والعسكري العرب والمسلمين، وليس فقط الفلسطينيين، وتستهدف بلدانهم وأوطانهم والأرض العربية جميعها من المحيط إلى الخليج، والاستعمار الأنجلو ساكسوني الذي بدأته بريطانيا في انتدابها على فلسطين وأوطان العرب الأخرى تَمَمَّته أمريكا التي تصدرت زعامة الحملة الصليبية الأخيرة، ما بين القرن التاسع عشر والعشرين وحتى يومنا هذا بعد بريطانيا وفرنسا، وحركة التطبيع الدائرة الآن والتي تجري على قدم وساق تُظهر هذا بما لا يدعو مجالاً للشك، ذلك أنَّ النظام الأممي الغربي العالمي سعى ويسعى ومنذ اتفاقية سايكس بيكو 1916م⁽¹⁾ بُعيدَ الحرب العالمية الأولى للسيطرة على المشرق العربي، من خلال القوة العسكرية، والتي تَمَّت باحتلاله بعد تقسيمه إبان عقد اتفاقية سايكس بيكو إلى دويلات خضعت لها تحت مسمى جديد للاحتلال، هو الانتداب، ليستمر خضوعها لدول الانتداب تلك بأشكال استعمارية أخرى، وإن بدت أنها دول ذات سيادة فلا يُخفى على أريب أنَّ الدول العربية القائمة في يومنا هذا إنما هي كيانات سياسية تتبع الدول الكبرى، لهذا استوجبت الضرورة إضفاء البعد الديني والقومي، نظراً لما وجدته الصهيونية من دعم وتأييد مطلق من

(1) اتفاقية سايكس-بيكو 1916: اتفاقية بدايتها كانت سرية ثم أعلنت عنها بلاشفة روسيا عام 1917، أطرافها بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية تم بموجبها تقسيم أراضي الدولة العثمانية والاستيلاء على المشرق العربي بعد دخول العثمانيين في الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا مثل فرنسا في الاتفاقية جورج بيكو ومثل بريطانيا مارك سايكس تم توقيع الاتفاقية في القاهرة في 16/أيار/1916 بموافقة وزير خارجية روسيا سيرجي زازنوف قسمت الاتفاقية المشرق العربي إلى مناطق نفوذ بينها وبين فرنسا مع الاعتراف باستقلال الجزيرة العربية وإعلان فلسطين منطقة دولية سيطرت فيها بريطانيا على موانئ عكا وحيفا والنقب كما نصت الاتفاقية على وضع ما تبقى من فلسطين تحت إشراف دولي بالاتفاق مع الأطراف الدولية وحليف بريطانيا شريف مكة ولكن بريطانيا قامت باحتلال فلسطين بعد ادعاءات الحركة الصهيونية وإصدارها وعد بلفور.

تلك الدول الكبرى رغم معرفتها السابقة بأطماع الصهيونية من حيث هي حركة أيديولوجية في أوطان العرب المسلمون وثوراتهم الجيولوجية والجغرافية، إلا أنها اتحدت مع الصهيونية بأطماعها، فتداخلت أهداف حركة الاستعمار الغربي مع أهداف الحركة الصهيونية ضد المشرق العربي الإسلامي والذي سُوِّقَ عالمياً بمصطلح "الشرق الأوسط"، وفيما بعد أُنشئت إسرائيل كياناً وظيفياً يمثل اليد والقوة الغربية الضاربة في جسد العروبة والإسلام، تسهياً للحركة الصهيونية التي انتدبها الغرب لنشر المبادئ والحضارة الغربية الحديثة فيه للتحكم في شعوبه، وهو يقيناً ما مثل غزو ثقافي أثبت نجاعته بعد ما عرف "باستقلال" الدول العربية الناتجة عن مؤتمر سايكس-بيكو وخلق الدولة الوطنية وتتصيب أَسْر حاكمة تنفذ أجندة الدول الغربية حتى يومنا! فالمفكر الصهيوني موسى هس 1812- 1875 وهو من كبار زعماء الصهيونية قد كشف عن أن هدف الحركة الصهيونية نشر الحضارة الغربية وتطبيقها على شعوب الشرق الأوسط المتخلفة! وهو ذات المفهوم الذي اتفقت فيه الصهيونية الحديثة مع الدول الغربية عندما قامت الأخيرة بتقسيم بلاد العرب إلى دويلات تابعة لها واستعمرتها، لتأمين وظيفة دولة الكيان والحفاظ عليه بما يتلاءم مع مصالح الدول الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

المبحث الأول: الصهيونية : تبلورها تاريخياً واصطلاحاً.

على الرغم من أن مصطلح " الصهيونية " يعود في جذره إلى مفردة صهيون، إلا أن هذا المصطلح باتت دلالاته تشير إلى الأرض المقدسة لدى الفكر الصهيوني المسيحي، ففي المعجم الوسيط جاء معنى مفردة صهيون: أنها جبل يسمى صهيون بالقرب من القدس¹، وضمن التعريف اللغوي جاء معناها في معجم متن اللغة: بيت المقدس²، وبناء عليه فإن معنى المصطلح أضحى رمزاً بُنيت عليه الكثير من الأحداث في مسيرة إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين.

المطلب الأول : نبذة تعريفية عن الصهيونية:

نسبة إلى جبل صهيون في التراث الديني اليهودي، فالعودة إلى صهيون أو الأرض المقدسة هي فكرة محورية في الدين اليهودي، وأصحاب تلك الفكرة يؤمنون بضرورة عودتهم إلى صهيون(القدس) انتظاراً لظهور الماشيح أو المسيا المخلص الذي سيقود شعبه أبناء صهيون ويحكم العالم نحو العدل والرخاء!، لهذا فإن دلالة هذا المصطلح دينياً وتاريخياً يشير إلى صهيون هو جزء من التراث

اليهودي، وأما يهود فيعتبرون أنفسهم "بنت صهيون" ويشار إلى الجماعة المتدينة منهم بصهيون، وصهيون هي الفكرة المحورية التي يدور حولها الفكر الديني اليهودي برمته⁽¹⁾، استُعملت المفردة للدلالة على جبل الهيكل أو المعبد، ثم على القدس ثم للدلالة على الأرض المقدسة كلاًها، وحديثاً ونحن نرصد حركة الواقع وانسجام إسرائيل مع من حولها من دول نرى أنّ مفهوم الصهاينة بات يرمز إلى كل من يعتبر اليهود شعباً وليس طائفة دينية، وطنهم فلسطين!، فصفة صهيوني تطلق على كل من أيّد إقامة وطن قومي لهم فيها سواء كان يهوديّ أو عربيّ أو مسيحيّ أو مسلم، سيّما وأنّ الصهيونية أضحت رمزا قومياً مرتبطاً بمفهومٍ سياسيٍ هو اغتصاب فلسطين وإنشاء وطن قومي فيها لمشتتين اليهود في العالم رغم تنافرهم في الجنسيات، مرجعيتها العقدية العهد القديم، كتاب اليهود المقدس الذي يتم الآن تطبيق رؤيته واقعاً في غزة والقدس وباقي المدن الفلسطينية كما طبقت سابقاً عام 1948 بإنشاء دولة إسرائيل بهدف الوصول إلى نبوءة أرض الميعاد بعنصر بشري واحد هم اليهود ليتسنى للمسيح المنتظر لدى كل من اليهود والمسيحيين- رغم الاختلاف في طبيعة المسيح ونزوله لديهم- للعودة وحكم العالم بعقيدة الألفية، ووصولاً إلى هنا سوف تحاول المسيحية المتصهينة التي انبثقت من الأصولية الدينية للغرب المسيحي منذ الحملات الصليبية ومروراً باستفحال الأصولية الدينية في القرن السادس عشر أن تتصدى بكل طاقتها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً لدعم دولة الكيان بهدف تنشيط حالة الديمومة لديه بعد أن ظهر للعيان أنّ الدول الكبرى في مجلس الأمن أسهمت وساندت ولا زالت تساند وبقوة المشروع الإمبريالي الاستعماري الإحلاليين الاستيطاني الغربي الذي أعلنت عنه دولة عام 1948م فوق التراب الفلسطيني.

المطلب الثاني: الصهيونية إصطلاحاً .

تحمل معنى الحركة السياسية الاستعمارية التي أفاضت على اليهود صفة القومية والانتماء العرقي والتي وقعت ضد اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية فخلقت ما سُمّيَ بالمشكلة اليهودية لتساهم وتدفع بهجرة اليهود في العالم إلى فلسطين، معتبرة أنّ لهم فيها حقوق تاريخية ودينية، وبذا تلاقت أهداف

(1) انظر: المسيري، عبد الوهاب محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، م6، ص13-14، ط1، دار الشروق، 1999م، القاهرة.

(2) المعجم الوسيط، ص527، حرف الصاد.

الصهيونية وطموحاتها الاستعمارية مع أهداف الاستعمار العالمي بأهمية استعمار فلسطين وإقامة دولة ليهود العالم فيها⁽¹⁾، ومن موجبات القول إنّ موجة الفكر الصهيوني جاءت بفوائد لا حصر لها ليهود العالم أيضاً، على اعتبار أنّها شكلت المرحلة الفاصلة لنهاية تفرق اليهود ضمن جنسيات الدول وبداية العودة إلى صهيون وأرض الميعاد، شجع هذا بعض مؤرخيهم للقول أنّ عقائد الحركة الصهيونية المسيحية الغربية تجسد التراث الديني المبني على التوراة والتلمود، وبذا تتوصل الباحثة إلى حقيقة ما سمي بوعد بلفور الذي تمّ باسم حكومة بريطانيا ووعدت فيه اليهود بعين العطف! بتاريخ 1917/11/2م، لإعطائهم فلسطين والذي في حقيقته كان ثمرة لمجهودات المسيحية المتصهينة منذ القرن السادس عشر التي سبقت صهيونية هرتزل بما لا يقل عن ثلاث قرون.

وعليه تستنتج الباحثة ما يلي:

- اتسمت الحركة الصهيونية بالعلمانية رغم أنّها عقدية في المضمون وآلية التنفيذ.
- الفكر الصهيوني جزء لا يتجزأ من التراث اليهودي وامتداد له.
- الصهيونية حركة استعمارية إحلالية استيطانية، استغلت التراث العقدي لليهود، وفكرة العودة إلى صهيون، على أساس أنها هدف قديم للمتدينين اليهود، وبوجه علماني، لتحقيق رغبة دفينية هي قيام دولة إسرائيل.
- إحلال شعب مكان شعب هو ما حاولت ولا زالت الحركة الصهيونية تطبيقه في فلسطين لتحقيق مقولة شعب بلا أرض لأرض بلا شعب.
- استغلال الدين من قبل زعماء الصهيونية في تحويله إلى وسيلة لتحقيق أهداف نفعية سياسية كما استغل اليهود الديانة المسيحية في سبيل تحقيق مكتسبات سياسية.

(1) انظر: الموسوعة العربية العالمية، ج15، ص183-185.

المبحث الثاني: الصهيونية المسيحية لمحة تاريخية.

شكلت أحداث انبثاق طائفة البروتستانت داخل الكنيسة المسيحية الغربية عاملاً حافزاً لظهور الصهيونية المسيحية فيما بعد، أسهم في ظهورها إلى سطح الأحداث أيضاً، عدة عوامل سياسية في أوروبا بلورت النهضة الأوروبية بمساعدة انطلاق الثورة الفرنسية التي دفعت أوروبا نحو خلق الدولة القومية، والتي بدورها كشفت طبيعة وفحوى الصهيونية المسيحية التي انطلقت نحو الولايات المتحدة الأمريكية بعد انتشارها في بريطانيا.

المطلب الأول: تمرد لوثر وتأسيسه لاتجاه عقدي مخالف داخل الكنيسة.

في جو مليء بالعداء لليهود ومتوارث من القرون الغابرة في أوروبا، وبخاصة القرون التاسع والعاشر والحادي عشر الميلادي لم تفكر الكنيسة الكاثوليكية مطلقاً بطرح عودة اليهود إلى فلسطين، بل لم يحضر في الفكر اللاهوتي الكاثوليكي أن يكون لليهود دولة على أن تكون -أرض إسرائيل - فلم يوجد بتاتاً ذلك الرابط في المعتقد اللاهوتي الكاثوليكي عن إمكانية عودة اليهود إلى فلسطين، والدليل المجمع الكنسي المنعقدة طوال تلك القرون الغابرة لم تُشر مجرد إشارة لدولة لليهود أو لإمكانية عودتهم إلى الأرض المقدسة فمعتقد الكنيسة الكاثوليكية بهذا الشأن كان واضحاً جداً، وهو أن الله عاقب اليهود وأخرجهم من فلسطين كما تزعم الكنيسة بسبب أنهم كفّروا المسيح ووشوا به إلى الرومان وأصروا على قتله، بل إن أوروبا جمعاء لم تتقبل فكرة وجود اليهود فيها طوال تاريخها حتى ظهور حركة الإصلاح الديني وتمرد لوثر على كنيسة روما، حين انقلب الحال وباتت الأحداث تسير وفق ما خرج به لوثر عن عودة اليهود وكونهم أبناء الله ليكمل مسيرة رديفه بولس بعد تمرده على كنيسة روما في عملية خطف أخرى للمسيحية والاستمرار في عملية تهويد بَدَرَ بذورها الأولى بولس⁽¹⁾ ومن هنا نُدرِك حجم التزييف الذي مرّت به دعوة عيسى عليه السلام، لتندثر نهائياً ابتداءً من بولس ومروراً بكنيسة روما أو الكنيسة الكاثوليكية، ليُضيف مارتن لوثر على ما بدأه بولس من تحريف لتلك الديانة تعاليم جديدة عبر تمرده على كنيسة روما منذ أوائل القرن السادس عشر فقد كان بتمرده الذي سُمي بحركة الإصلاح متمماً لما بدأه بولس في القرن الميلادي الأول، فبموازاة حركة النهضة الأوروبية

(1) انظر: مقار، شفيق، المسيحية والتوراة، بحث في الجذور الدينية لصراع الشرق الأوسط، ص65، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، قبرص، 1992.

اتحدت الجهود، جهود ما سُمِّي بحركة الإصلاح البروتستانتي مع النهضة الأوروبية ليريز على السطح ما عُرف بالمسيحية المتصهينة التي أسهمت بقوة في تشكيل التاريخ الأوروبي الحديث، بينما مهدت الطريق أمام فكرة الأمة اليهودية وضرورة عودة يهود العالم إلى وطنهم القومي في فلسطين⁽¹⁾!

ولد لوثر في ألمانيا في مقاطعة سكسونيا في عام 1483م، وفي عام 1501م التحق لوثر بجامعة إيرفورت لدراسة الحقوق ومن ثم قرر أن يدخل ديراً ليصبح قساً، وفي عام 1517م أعلن لوثر تمرده على الكنيسة في روما بمبادئه الخمسة والتسعين التي فضح فيها مفاصد الكنيسة الكاثوليكية، ومهاجماً صكوك الغفران على وجه مخصوص، فما كان من البابا ليو العاشر إلا أن طرده واعتبره مارقاً، بموافقة الإمبراطور الألماني تشارل الخامس، الذي وقَّع على وثيقة تُدينه و تُبيح دمه، وبينما ارتبط انطلاق الفكر الإصلاحية الديني " البروتستانتية " بلوثر تمدد تأثيره ليعتبر من المؤسسين الأوائل للنهضة الأوروبية، بعد إحداثه تغييرات جذرية في المسيحية التي تضمها جدران كنيسة روما وأتباعها المسيحيين، ليؤسس أتباعه فيما بعد أكبر كنيسة بروتستانتية لوثرية في العالم في بدايات القرن السادس عشر، بإلهام من آرائه وبالأخذ بتعاليم المسيحية الأصلية التي تتبعها كنيسة روما نفسها، وبينما انفصلت كنيسة لوثر عن أخواتها بمبادئ لوثر التي شكلت أسس العقيدة اللوثرية، التي اعتبرت الكتاب المقدس مرجعها الأول، لا تقاليد الكنيسة، وأيضاً اعتبرت العودة إلى النص الديني هو الأساس، وبذلك منحت معتقدات لوثر المسيحيين الحرية في التعامل مع الكتاب المقدس بعد أن قام لوثر بترجمته إلى اللغة الألمانية، بل إلى جميع اللغات الوطنية المحلية⁽²⁾ .

المطلب الثاني : إنطلاق الفكر الإنجيلي اللوثرية إلى بريطانيا.

كانت انطلاقة الفكر الإنجيلي وفق معتقدات لوثر نحو بريطانيا، الشرارة التي أشعلت بذور الصهيونية المسيحية عبر المذهب البروتستانتي في بريطانيا فقد نهض التيار البروتستانتي في بريطانيا حتى تحولت بريطانيا بروتستانتية تستلهم فيها الكنيسة الجديدة تعاليمها من نبوءات العهد القديم بينما وافقت

(1) انظر: الشريف، ريجينا، الصهيونية الغير يهودية جذورها في التاريخ الغربي، ص 25-26، المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985م.

(2) انظر : مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، حرف اللام، ج 21، ص 178، ط2، مؤسسة أعمال

الموسوعة، الرياض، 1419 هـ = 1999م.

تلك النبوءات حالة بريطانيا وتوجهاتها السياسية الاستعمارية للتوسع نحو احتلال الدول وإخضاع شعوبها، ولن يغيب عن الباحثة ان بريطانيا هي صاحبة وعد بلفور.

المسألة الأولى: بزوغ عصر الإصلاح الديني في بريطانيا والثورة على الكنيسة الكاثوليكية وباباواتها.

ويمكن للباحثة أن تلخصها في عدة محاور عبر عدة مراحل هي :-

- تركيز لوثر على توطيد عقيدة يهودية عيسى عليه السلام لدى المسيحيين، بسبب عدم حسم الكتاب المقدس بتلك المسألة في كتابه الذي وسمه ب(المسيح ولد يهودياً).
- تفشي مبادئ حركة الاحتجاج التي تزعمها لوثر من ألمانيا الى أوروبا بعد أن جسدَّ لوثر تمرده على بابا روما بإعلان مطالبه الخمس والتسعين لإصلاح الكنيسة معلقاً تلك المطالب على أبواب الكنائس في بلده⁽¹⁾.
- محاولات لوثر لتصير اليهود رغم رفضهم ساهمت ببلورة الفكر المسيحي المتصهين منذ بدايات القرن السادس عشر لدى الشعوب الأوروبية حتى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر عندما بدأ تطبيق الفكر المسيحي المتصهين واقعا على الأرض، بسبب تشرب الروح اليهودية لدى الشعوب، وسياسات الدول، ليس فقط في بريطانيا، بل وفي أوروبا بالمجمل وأمريكا الشمالية⁽²⁾.
- وبذا تتوصل الباحثة إلى حقيقة مفادها أنَّ الصهيونية مصطلح استعماري غربي واقعي نجم عن الثورة الصناعية وبروز الرأسمالية الاستعمارية في الغرب الأوروبي⁽³⁾.

(1) انظر: اسطفانوس، عبد المسيح، الإصلاح الإنجيلي والكتاب المقدس الانجيليون المشيخيون، موقع شبكة عنكبوتية، بدون تاريخ - <https://epc-egypt.org/index.php/reformation/122-reformation-and-the-bible>

(2) انظر: مقار شفيق، المسيحية والتوراة بحث في الجذور الدينية لصراع الشرق الأوسط، ص 64-67، مصدر سابق.

(3) انظر: المسيري، عبد الوهاب محمد، الصهيونية والحضارة الغربية الحديثة، ص 122-124، دار الهلال 1424 هـ - 2003م، العدد 632.

• أسهمت الظروف السياسية في إنجلترا بالترويج لصعود الحركة البروتستانتية فيها بعد خروج الملك هنري الثامن على بابا الكنيسة، برفضه الانصياع لتشريعات الكنيسة، ما أفضى إلى مواجهات بين الملك ونبلاء بلاطه من جهة، وبين بابا الكنيسة الكاثوليكية، ليصدر الأخير بحقه قرار الحرمان، الذي أوجد المبرر النهائي للملك لحل كنيسة إنجلترا عن كنيسة روما، واعتبار الملك رئيساً للكنيسة في بلاده وليس البابا⁽¹⁾.

• وصلت دعوة لوثر في أحقية أي إنسان في تفسير نصوص الكتاب المقدس إلى إنجلترا، فيما أثرت قضية اعتبار العهد القديم المصدر الأول للتشريعات وإبطال أي تشريع سنّته داخل الكنيسة من قبل الباباوات.

• وهذا نبّه إلى ضرورة ترجمة الكتاب المقدس، وبخاصة العهد القديم من اللغة اللاتينية إلى الإنجليزية، وتفسيره بشكل معمق وليس سطحياً، وهي من ضمن إجراءات أولية بدأتها بريطانيا، للتخلص من سلطة البابا في روما، والذي أصدر مرسوماً كَفَرَ فيه الملك هنري الثامن معتبراً إياه مبتدعاً لأصول العقيدة المسيحية خرج عن الملة لا بد أن يحاكم .

• تلك المعاول جميعها استثمرتها بريطانيا بزعامة ملكها للتمرد على كنيسة روما، بهدف الانفصال عنها فيما تم هذا للملك هنري بعد إصداره تشريعاً عام 1535م، صار بموجبه رئيس الكنيسة الأنغليكانية الأعلى في بلاده - ليكرّس انفصالها عن كنيسة روما - فعلاً، التي تبنت نشر المبادئ البروتستانتية بمسار يتوافق مع مصالحها السياسية والاقتصادية.

• وبذا صار واضحاً أنّ الصهيونية الأولى التي تُحكّم الكتاب المقدس اليهودي خاصة، التي جاءت بفكرة عودة اليهود إلى فلسطين قد وُلدت من رحم البروتستانتية الغربية، منذ القرن السادس عشر مروراً بنابليون بونابرت الذي اعتنق الفكر الصهيوني، تحقيقاً لأهدافه التوسعية، وسعيه للتخلص من اليهود داخل فرنسا، فهو أول من أصدر وعداً لليهود بإعادتهم إلى فلسطين، إذ أسهمت بذلك نظريات دُونت بأقلام صهاينة من خارج الوسط اليهودي حتى بدايات القرن التاسع عشر، أصبحت تلك النظريات تتجه نحو التطبيق الفعلي من السياسيين البريطانيين المسيحيين المتصهينين، مثل اللورد

(1) انظر: الموسوعة العربية الميسرة، حرف الهاء، ص 3521.

شافتسبري ورئيس وزراء بريطانيا بالمرستون ولورانس اوليفانت، حتى تلقفتها فئات من اليهود طوعت موروثاتها الدينية، لإنتاج الفكر الصهيوني بمجمله⁽¹⁾.

• استبدلت عقيدة المحتجون البروتستانت التي وصلت بريطانيا والتي تماهت مع حركة تمرد كنيسة إنجلترا على كنيسة روما وانفصالها عنها- استبدلت - مشروعية سلطة الكتاب المقدس، باعتباره المنزه عن الخطأ مكان سلطة البابا التشريعية، التي تمثل حكم الفرد المتنفذ دون موافقة المحكومين، وبهذا الشأن افترض الكاتب اليهودي مئير يفرتيني أهمية العودة إلى التفسير الحرفي للكتاب المقدس، بسبب ما يكون له من تأثير في خلاص المؤمنين ورجوعهم إلى النبع الحقيقي لعقيدتهم، تلك الأحداث مجتمعة أفضت إلى بزوغ عصر الإصلاح الديني في بريطانيا⁽²⁾.

• وأما عن قيادات الفكر المسيحي المتصهين فجل هؤلاء مسحيين من أصول يهودية، وهم من تمت صناعة الطائفة المحتجة على الكنيسة البابوية في روما على اعينهم، تمهيدا لمسح عقيدة راسخة لديها وهي أنّ اليهود قتلة المسيح، وبعد أن تمت لهم السيطرة فعلا برأت الكنيسة الكاثوليكية اليهود من دم المسيح، فبات الأمر يسيراً في استفحال الفكر المسيحي المتصهين في أغلب دول العالم المسيحي، الذي توصل إلى قناعة بعث اليهود مجدداً، وخلق وطن قومي لما سمّوه (الأمة اليهودية) في فلسطين، تمهيدا لنزول المسيح المخلص، وبدء الألفية⁽³⁾.

المسألة الثانية: البوريتانيون ونهضة التيار البروتستانتي في بريطانيا.

(أ) وأما لماذا البدء ببريطانيا وتسليط الضوء عليها في نهضة أو امتداد ثورة الإصلاح الديني البروتستانتي فيها، فلأن بريطانيا هي الدولة التي لعبت الدور الرئيس في اغتصاب فلسطين تمهيداً لإنشاء دولة لليهود فيها، تضمنت مراحل تخطيطها انتزاع الفلسطينيين من أرضهم قتلاً وتهجيراً وفرض واقع ديمغرافي حديث على الأرض، من خلال توطين يهود العالم في فلسطين، وبناء مستوطنات

(1) انظر: المسيري، عبد الوهاب، الصهيونية والحضارة الغربية الحديثة، ص5-6 و121-126، مصدر سابق .

(2) انظر: مقار، شفيق، المسيحية والتوراة بحث في الجذور الدينية لصراع الشرق الأوسط، ص64-67، مصدر سابق.

(3) موسوعة تاريخ العالم، الشبكة العنكبوتية - https://www.worldhistory.org/trans/ar/1-18916/#google_vignette

يهودية شكلت نواة تلك الدولة، فقد تصاعدت حظوظ اليهود عند البروتستانت في الدول الأوروبية الغربية، فيما اعتبرتهم الكنيسة الكاثوليكية أعداء الله والمسيح على امتداد قرون عبر تاريخ المسيحية التي جعلت من فلسطين والقدس أرض الإنجيل المتوارثة عن المسيح ضمن عقيدة القديس أوغسطين⁽¹⁾، لتتغير نظرة البروتستانت إليهم، ليصبحوا حجر الزاوية وفق تدبير إلهي لتحقيق نبوءة المجيء الثاني للمسيح، بعد تجميعهم وإعادة توطينهم في فلسطين بينما تعدى الأمر بالبروتستانت إلى تبني أفكار الصهيونية، لتحقيق آمال اليهود.⁽²⁾

ب) تحوّل بريطانيا إلى البروتستانتية.

بعد انتقال حركة الإصلاح البروتستانتي إلى المملكة المتحدة، وبعد أن تسربت معتقداتها إلى المسيحية أصبح من الطبيعي أن تربط الكنيسة المسيحية البريطانية بين عقيدة نزول المسيح وعودته في المجيء الثاني وبين قيام دولة يتم تجميع اليهود فيها، فقيام دولة صهيون تعتبر واحدة من المبشرات باقتراب عودة المسيح عدا عن ذلك فإنّه تحقيق لوعده الله الأزلي الذي وعد به إبراهيم عليه السلام! بأن فلسطين لليهود باعتبارها الأرض المقدسة لتولد من رحم تلك الإرهاصات حركة الطهوريون البريطانيون بإيحاء من تعاليم القس الفرنسي جون كالفن 1509-1564م الذي كان شديد التأثر بأفكار مارتن لوتر حول الكنيسة والعبادة، وبينما سُمّي أتباعه في فرنسا بالهجنوت دُعي هؤلاء الأتباع في بريطانيا بالبيوريتان (التطهيريون)⁽³⁾، ومن ثم لتنتشر في بريطانيا كما في الدول الأوروبية وأمريكا الشمالية أفكار وعقائد الحركة البروتستانتية الإصلاحية، على قاعدة أن اليهود هم الأمة المفضلة عند الله ووجوب عودتهم إلى فلسطين لتحقيق الوعد الإلهي، بإقامة دولتهم، كونها ضرورة حتمية لعودة المسيح، وقيام مملكته الألفية، وبذا نرى قواعد تُبنى ستؤسس عليها المسيحية الصهيونية تغلغلها في الفكر الديني وفق نظرية تطويع الدين لأطماع سياسية بعد اعتماد اللغة العبرية، بصفتها لغة الوحي الإلهي لشعب الله المختار! في الفكر والدراسات الدينية ليصبح العهد القديم هو الميثاق والمرتكز الأول لفهم العقيدة

(1) انظر: السماك، محمد الصهيونية المسيحية، ص35، ط2، دار النفائس، 1413هـ - 1993م، بيروت، لبنان.

(2) انظر: الزين، محمد فاروق المسيحية والإسلام والاستشراق، ص267، ط2، دار الفكر المعاصر 1422هـ - 2002م، دمشق، سوريا.

(3) انظر: مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، حرف الكاف، ص74 ج19، مصدر سابق.

المسيحية ومكوناتها العقديّة، ومن ثم لتظهر في بريطانيا بداية الدعوات إلى اعتبار اليهود أمة الله التي لها الحق في إقامة دولتها في فلسطين فيما أضحت تلك القواعد أسساً للمسيحية الصهيونية حتى يومنا هذا، لينبئ لهذا المفهوم العالم اللاهوتي البريطاني توماس برايتمان 1562-1607م فينشره في مؤلفه Apocalypsis Apocalypses (نهاية العالم)، ليلتقط تلك الدعوات العديد من المفكرين البريطانيين أدياء وساسة، منهم هنري فنش 1621م، ليُرسخ في كتاباته أنّ اليهود أمة يجب أن تعود إلى وطنها⁽¹⁾،

يقول الأستاذ محمد السماك في كتابه (الصهيونية المسيحية): " إنّ اليهودية ومنذ القرن السادس عشر تجاوزت حدود العقيدة الدينية، وأصبحت أمة ورمزاً للقومية، ليتحول الكتاب المقدس -العهد القديم - منذ ذلك الوقت من كتاب دين سماوي إلى كتاب سياسي، تقوم نصوصه على قاعدة تحقيق الوعد الإلهي بامتلاك اليهود للأرض المقدسة"⁽²⁾، امتلاكاً جغرافياً يحقق قيام إسرائيل الجديدة على أرض فلسطين، وفق رؤى الكنيسة البروتستانتية، وليس مجرد مجازاً تُمثّل الكنيسة المسيحية وفق معتقدات القديس أوغسطين الذي قال بأن ما يُقصد بإسرائيل الجديدة هو الكنيسة المسيحية بشكل عام، وهي أيضاً المقصودة بمملكة الله على الأرض، فيما رفض البروتستانت هذا، معتقدين أنّ وجوب قيام إسرائيل الجديدة جغرافياً على الأرض هو المقصود بمملكة الله وهو ما ستسعى بريطانيا لتأسيسه فيما بعد تحت بند الوطن القومي لليهود في فلسطين، على اعتبار أنّ الكنيسة المسيحية هي مملكة الله السماوية، ولهذا وقف البروتستانت موقفاً داعماً بقوة لدولة إسرائيل، التي أصبح وجودها ضرورة حتمية بعد تجميع يهود العالم فيها، إيداناً باقتراب عودة المسيح الثانية وحكمه في مملكته الألفية، بمقتضى الخطة الإلهية كما يعتقدون، فعودة اليهود إلى فلسطين بهذا تكون تمهيداً للمجيء الثاني للمسيح، وليس لأنهم يستحقون العودة إليها، ولا لأنهم جديرون بها وإنما تحقيقاً للنبوءات التي تعتبر عودتهم ضمن خطة الرب لخلص البشرية بعودة المسيح، والتي تسبقها عودتهم إلى فلسطين كما تنبأ بولس منذ 2000 عام عن ما يسميه نهاية التاريخ، إذن فعقيدة العودة وظهور المسيح لدى كل من اليهود والأصوليين الغربيين من البروتستانت تبدو متقاربة وواضحة، رغم الاختلاف في مسيح كل منهما،

(1) انظر: السماك، محمد، الصهيونية المسيحية، ص 34-37، مصدر سابق.

(2) انظر: نفس المصدر السابق، ص 37.

فمسيح اليهود سيكون ظهوره للمرة الأولى، بينما مسيح البروتستانت سيظهر للمرة الثانية في المجيء الثاني ليحكم العالم من القدس، بعد أن يقنع اليهود بالمسيحية⁽¹⁾.

المسألة الثالثة: الوطن القومي وتحقيق نبوءات التوراة حرفياً في فلسطين.

أ) نبوءات العهد القديم واقعاً في فلسطين.

بما أن تحقيق الوطن القومي بُني على أسس ونبوءات توراتية للفكر المسيحي المتصهين كان لا بد من إيراد صورة عن مجمل ما يحتويه العهد القديم من نبوءات بخصوص الوطن القومي الذي أسهمت في بنائه المسيحية الصهيونية، بدافع عقيدتها الدينية من الكتاب المقدس بعد تفسير نصوصه حرفياً.

فالنبوءة (32) في سفر التثنية: عن أرض كنعان التي وهبها الرب لبني إسرائيل أوردت أن تلك الأرض لن يدخلها موسى عليه السلام، لأنه هو وأخوه هارون قاما بخيانة الرب كما تورد النبوءة، وعليه فإن موسى سيموت خارج أرض كنعان، التي وهبها الرب إليهم في جبل عباريم من جبال مؤاب، والنبوءة بالنص " وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً: اصعد إلى جبل عباريم، هذا جبل نبو الذي في أرض مؤاب، الذي قبالة أريحا، وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل ملكاً، وامت في الجبل الذي تصعد إليه، وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور، وانضم إلى قومه لأنكما خُنْتُماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادش في برية صين، إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل، فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل".

ومن هذا المنطلق تستنبط الباحثة أن دولة الصهاينة اليوم لا تعول كثيراً على سيرة وتاريخ موسى - على نبينا وعليه أفضل السلام - لعلمها يقيناً أن موسى الإنسان والنبوي لم يدخل فلسطين، فقد وُلد في مصر، ونشأ وعاش فيها، وعندما قرر العودة إلى مصر من مدين عاد بأمر إلهي، وأيضاً كونه مصري المولد والنشأة، وهو ما يثبت عند الصهاينة من أن موسى لم يكثر إلى فلسطين نهائياً طوال

(1) انظر: الزين، محمد فاروق المسيحية والإسلام والاستشراق، ص 272، مصدر سابق.

سنيّ حياته قبل النبوة، فلم يعلم عن الأرض المقدسة شيئاً إلا من خلال الوحي الإلهي بعد النبوة فقط، ومات دون أن يدخلها.

وفي نبوءة 34 في التثنية أيضاً جاء: "وصعد موسى من عربات إلى جبل نبو إلى رأس الفسحة الذي قبالة أريحا، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان، وجميع نفتالي، وأرض أفرايم، ومنسي، وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعة أريحا، مدينة النخل إلى صوغر، وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً: لنسلك أعطيها، قد أريتك إياها بعينيك، ولكنك إلى هناك لا تعبر، فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب، حسب قول الرب، ودُفن في الجواء في أرض موآب، مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم".

وجاء في سفر يشوع الإصحاح 6 (1-2): أن الله بعد موت موسى عليه السلام كلّم يشوع بن نون أمراً إياه عبور نهر الأردن بما معه من شعب إلى الأرض التي أعطها الله لبني إسرائيل، تجمع تلك الأرض كل موضع تدوسه أقدام هذا الشعب الذي يرافق يشوع بن نون، وهي حسب خرائط الجغرافية في زماننا، فلسطين ولبنان وسوريا والعراق ومروراً بمصر إلى المغرب، نحو شواطئ المحيط الأطلسي، فالله قد وعد بها موسى بأن يعطيها للأبناء والأبناء، فقال يشوع للعرفاء من الشعب تهيؤوا لامتلاك الأرض التي أعطاكم الرب بعبور نهر الأردن، فبعث يشوع جاسوسين إلى أريحا، فأوتهما امرأة زانية يُقال لها راحاب، وخبأتهما عن أصحاب الأرض، ثم أطلقتها ليعودا إلى يشوع ويقصا عليه خبر راحاب، فقال يشوع: أن الرب قد دفع بيدنا الأرض، ولسوف يُباد كل سكانها بسببنا بعد حصارها، كما أمرنا الله ستة أيام، وفي اليوم السابع وبعد سماع هتاف الشعب بعد سماع صوت البوق؟ فعبر نهر الأردن ومعه بني إسرائيل، وأمرهم السير وفق رؤيتهم لتابوت العهد⁽¹⁾ الذي يحمله الكهنة بعد أن أزال الله من طريقهم طرداً أو نفيّاً جميع الأمم من الكنعانيين، والحثيين، والأموريين، واليبوسيين،

(1) صندوق من خشب السنط من صناعة موسى عليه السلام كما جاء في العهد القديم مغشى بطبقة من الذهب فيه بقية من المن ولوحي موسى وعصا هارون وكتاب التوراة؛ يسميه بنو إسرائيل اسم آخر هو تابوت الشهادة يرافق بني إسرائيل أينما رحلوا في الليل والنهار يتقدمهم في البر والبحر انتزعه الفلسطينيون من بني إسرائيل ثم ردوه إليهم نقله داود إلى القدس عندما سكنها وبقي فيها إلى أنّ بني الهيكل فوضع فيه ووفق معتقداتهم واثناء ذلك تمت كتابة المزمور الثاني والثلاثون بعد المئة إلا أنه فقد في فترة الهيكل الثاني فلم يوضع فيه، جورج ادوارد، قاموس الكتاب المقدس، شبه مخطوطة، مجلد 1، ص 275-276، جامعة تورنتو طباعة الجامعة الأمريكية، بيروت، 1894م.

والحويين، والفرزيين، والجرجاشيين، فعبروا بعد أن وقفت المياه المنحدرة من النهر إلى وادي عربية، حتى انقطعت تماماً، فدخلوا أريحا ورأى يشوع قبل دخوله أريحا، رجلاً يقف أمامه يستل سيفه، فسأله يشوع: أنت معنا أم علينا؟ فأجابه الرجل: أنا رئيس جند الرب فسقط يشوع إلى الأرض، وسجد بعد أن أمره الرجل أن يخلع نعله، لأنه في مكان مقدس، ليدخل يشوع ومن معه من شعب بني إسرائيل أريحا، وقتلوا كل من فيها من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف، ونهبوا ما فيها من أملاك، من ذهب وفضة ونحاس وحديد واستوصى يشوع بالزانية خيراً، فأمنها وأسكنها في أرض إسرائيل.

وأما في سفر صموئيل الأول (13-14) فتأتي الرواية في سياق آخر لشخص آخرين ضمن معارك متعددة مع الفلسطينيين، ريثما استقر لبني إسرائيل الأمر فتقول إن شاول ملك إسرائيل قاد جيشاً مكوناً من ثلاثة آلاف جندي من بني إسرائيل جعل منهم ألفين في مخماس، وبيت إيل، وألفاً في جبعة بنيامين، لتتم إحدى المواجهات مع الفلسطينيين المتجمعين في ستة آلاف فارس وثلاثين ألف مركبة، وشعب كامل عدده كالرمل على شاطئ البحر، ثم عبر بعض العبرانيين الأردن إلى جلعاد، فاختم الشعب خوفاً في المغاير والصروح والصخور، ويوناثان ابن شاول وشاول مقابل مخماس وجبع، فقرر يوناثان أن يدخل في مواجهة مع الفلسطينيين، لأن الرب ليس لديه مانع وهو من دفع الفلسطينيين إليهم، وهذه علامة، وهجموا عليهم، وقتلوا في كل نصف فدان عشرين رجلاً، وكانت مذبة ارتعد منها اليهود والمخربون من الفلسطينيين! وتلك نبوءة من سفر صموئيل الأول اصحاح (13-14). على ذلك النسق تأتي جميع الروايات في العهد القديم في وصف الحرب بينهم وبين الفلسطينيين في معركة استيلائهم على الأرض التي وعدهم الرب بها ويسكنها الفلسطينيون، أليس هذا اعترافاً صريحاً من أصل كتب المسيحية الصهيونية المقدسة بوجود شعب لتلك الأرض التي وصفتها بأنها أرض بلا شعب فيما بعد؟

وفي الإصحاح (31) من سفر صموئيل الأول كانت معركة جلبوع بين الفلسطينيين وبينهم، تقول الرواية بالنص: "حارب الفلسطينيون إسرائيل، فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين، وسقطوا قتلى في جلبوع! فشدَّ الفلسطينيون وراء شاول وبنيه، وضرب الفلسطينيون يوناثان وابيناداب وملكيشوع أبناء شاول، واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة رجال القسي، فانجرح جداً من الرماة، فقال شاول لحامل سلاحه: استل سيفك واطعني به، لئلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني ويقبحوني، فلم يشأ حامل

سلاحه، لأنه خاف جداً، فأخذ شاول السيف وسقط عليه، ولما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول سقط هو أيضاً على سيفه ومات معه، فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معاً، ولما رأى رجال إسرائيل الذين في عبر الوادي في عبر الأردن أن رجال إسرائيل قد هربوا، وأن شاول وبنيه قد ماتوا، تركوا المدن وهربوا فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها، وفي الغد لما جاء الفلسطينيون ليعدوا القتلى وجدوا شاول وبنيه الثلاثة ساقطين في جبل جلبوع، فقطعوا رأسه، ونزعوا سلاحه، وأرسلوا إلى أرض الفلسطينيين في كل جهة لأجل التبشير في بيت أصنامهم، وفي الشعب ووضعوا سلاحه في بيت عشتاروت، وسَمَّروا جسده على سور بيت شان، ولما سمع سكان يابيش جلعاد بما فعل الفلسطينيون بشاول قام كل ذي بأس وساروا الليل كله وأخذوا جسد شاول وأجساد بنيه عن سور بيت شان وجاؤا بها إلى يابيش، وأحرقوها هناك، وأخذوا عظامهم ودفنوها تحت الأتلة في يابيش، وصاموا سبعة أيام؟ كما جاء في إصحاح (31) من صموئيل من العهد القديم.

ب) من نصوص العهد القديم ما تؤكد عروبة فلسطين.

وما سردنا تلك النبوءات إلا بقصد ما تحويه نبوءات العهد القديم من نصوص صريحة الاعتراف بأن أصحاب الأرض التي وعد بها بلفور البريطاني الصهاينة لإقامة وطنهم القومي، إنما هي للعرب الكنعانيون أصحابها، والفلسطينيون وهم من فروعهم وبهم كانت تسمى أرض كنعان وفلسطين منذ دهور عميقة في التاريخ، بل قبل أن يدخل إليها إبراهيم عليه السلام في رحلته في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، في حين كان ظهور موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهو ما يثبت عروبة فلسطين والأرض المقدسة قبل هجرة إبراهيم عليه السلام إليها، وقبل ظهور موسى عليه السلام في مصر، وقد جاءت قداسة فلسطين نصاً قرآنياً صريحاً عندما تغرّب فيها لوطاً كما فعل إبراهيم عليهما السلام⁽¹⁾، قال سبحانه في سورة الأنبياء آية(71): ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾، والنص (34) من سفر التكوين يثبت هذا بشكل صريح: "وتغرّب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة"، تلك النبوءة من التوراة تنسب الأرض بوضوح إلى أهلها، وهم

(1) انظر: عمارة، محمد القدس الشريف في الدين والتاريخ والأساطير ص6-7، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة،

2011م.

(2) سورة الأنبياء، الآية 71

الفلسطينيين غير أنَّها تعتبر إحدى الأسس التي بنت الصهيونية المسيحية عليها معتقدها في أن فلسطين أو الأرض المقدسة هي التي يجتمع بها اليهود قبل آخر الزمان، وعليه فإعادة اليهود إلى فلسطين أو أرض كنعان أو أرض الفلسطينيين كما يصرح بذلك الكتاب المقدس هو ضرورة حتمية، لتقريب حكم الألفية للمسيح الذي تؤمن به المسيحية الصهيونية، والذي لا يتم إلا بعودة اليهود إليها التي أعطاها الله لإبراهيم ونسله من بعده، إذن فالوطن القومي لليهود في فلسطين ليس مجرد قرار أممي سياسي أصدرته هيئة الأمم المتحدة 1947م، بل تعدى شؤون السياسة ليركب موجتها لتأطير الفكر الديني المسيحي المتصهين في تحقيق الوعد الإلهي كما تقول النبوءات التوراتية التي صدقتها جُلُّ نصوص العهد الجديد، والشاهد ما جاء في رؤيا يوحنا في العهد الجديد في الإصحاح التاسع عشر عن الحرب الكونية بين الأمم وملوك الأرض والوحش والنبي الكذاب، وبين المسيح الجالس على الفرس، ومعه جنده والذي ينتصر على هذا الجمع فيقتله بالسيف، أو يرمي جزءاً منه حياً في بحيرة متقدة بالنار والكبريت، وتلك هي معركة نهاية تاريخ الأمم في هرمجدون⁽¹⁾، معركة نهاية تاريخ الحكم البشري في سهل وتلال مدينة مجدو الكنعانية الفلسطينية، لذا كان من الضروري في معتقد المسيحية المتصهينة وجود الكيان اليهودي الحالي كونه يشكل الخطوة قبل الأخيرة في حيثيات ما قبل هرمجدون.

ج) معتقد الألفية الإسترجاعية في الفكر المسيحي المتصهين أوجد كيان يهودي في فلسطين.

إن قضية تجميع اليهود وتنصيرهم أصبح ضرورة حتمية للقضاء على الشر حول العالم في معتقد الألفية الاسترجاعية المركزي عند المسيحيين البروتستانت الذين يعتمدون على تفسير نبوءات العهد القديم بشكل حرفي، والذين يعتقدون بالمجيء الثاني للمسيح المخلص، وهو في معتقد اليهود الماشيح، وكلاهما يشتركان في عقيدة الألفية، فالمسيح المخلص أو الماشيح اليهودي سوف يحكم العالم ألفاً من الأعوام كما سبق وأسلفت في بحثي هذا، لذا فلا بد من عودة اليهود إلى فلسطين، لتحقيق الحكم الألفي، الذي بدوره لن يكون إلا بعد المجيء أو عودة المسيح الثانية، وتلك هي عقيدة الألفية

(1) معركة هرمجدون: هي المعركة التي يقاتل فيها مسيحيو ويهود العالم أعداءهم من الأشرار في سفوح بلدة مجدو الفلسطينية.

الاسترجاعية⁽¹⁾، فعودة اليهود إذن، وتحقيق إقامة الوطن القومي، هو عبارة عن مقدمة وبشرى بعودة المسيح في معتقد الجانب المسيحي المتصهين من البروتستانت، الذي تمثلهم بريطانيا ثم أمريكا منذ عهد الآباء المؤسسون لها، وهذا يفسر لنا سبب سعي بريطانيا في السيطرة على فلسطين من خلال حكم الانتداب، وقبل ذلك من خلال الحملات التبشيرية والإرساليات الأمريكية التي وضعت لها موطئ قدم في فلسطين والمنطقة العربية وبلاد الشام خاصة⁽²⁾، منذ أوائل القرن التاسع عشر، الأمر الذي سهل وسرّع في قيام الوطن القومي لليهود بعد قرار التقسيم 1947 م، إضافة إلى أنه بقيام الكيان الاستيطاني الصهيوني فوائد جمّة : اقتصادية، واجتماعية، وسياسية، تعود على الغرب الأوروبي، أولها التخلص من اليهود داخل مجتمعاتهم، وتحويلهم إلى أداة فاعلة تخدم الغرب، وتدافع عن مصالحه، فدولة الكيان اليوم تعتبر ذراع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب الأوروبي في القضاء على كل محاولة ثورة أو تمرد من الشعوب العربية، وعلى كل ما يعتبره الغرب خطراً أصولياً إسلامياً، عدا عن كونها قاعدة عسكرية أمريكية بامتياز، وهذا ثبت واقعاً في حرب أمريكا على العراق، وأيضاً خلال ثورات الربيع العربي، وعليه فقيام كيان صهيومسيحي تحت مسمى وطن لليهود في فلسطين إنما شكّل القاعدة العسكرية الأبرز، والذراع الضارب الذي يخدم طموحات العالم المسيحي الغربي، عسكرياً ولوجستياً، وبما أنه كيان وظيفي فزواله نتيجة طبيعية فور زوال أسباب وجوده، أو في حالة فشله في التصدي لأحد الأخطار التي تهدد مصالح الدول التي سعت إلى قيامه في المنطقة، وظهر ذلك جلياً من خلال إجراءات انتقامية عدة فاشلة أخفقت بالقضاء على الانتفاضة الفلسطينية الأولى 1987م من عمليات اغتيال قادة في منظمة التحرير الفلسطينية، إلى مجزرة العمال في ريشون لتسيون، وما أعقبها من قتل أحد عشر آخرين خلال المظاهرات التي خرجت تندد بقتل عمال ريشون لتسيون إلى مقتل ثمانية عشر فلسطينياً في مجزرة المسجد الأقصى في 8-تشرين أول -1990⁽³⁾، إلى حصار

:انظر: المسيري، عبد الوهاب الصهيونية وخبوط العنكبوت، ص77-80، ط 1 دار الفكر، دمشق، 2006.

(2) انظر: المسيري، عبد الوهاب الصهيونية وخبوط العنكبوت، ص82-83، ط1، مصدر سابق.

(3) الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية، الانتفاضة الأولى 1987-1993 بهجة الانتفاض وأمل الحرية، روجر هيكوك.

<https://www.palquest.org/ar/highlight/29774/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D9%81%D8%A7%D8%B6%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84%D9%89%D8%8C-1987-1993>

غزة في 2007، ثم إعلان الحرب عليها عام 2008-2009، ثم العدوان على غزة أيضاً في 2012، وآخر في 2014، ثم يلي تلك الحروب حرب أخرى على غزة عام 2019، وحرب 2021، ثم حرب 2022، امتداداً إلى الحرب الدائرة حتى هذا اليوم على غزة 2024، وما تتسم به من إبادة ووحشية وإيغال في دماء الفلسطينيين، وعلى الصعيد السياسي تجلّى الإخفاق خلال مفاوضات ما سُمّي بعملية السلام مع الفلسطينيين بعد مؤتمر مدريد 1991 الذي نتج عنه اتفاقية أوسلو 1995، بينما تضععت منزلته - الكيان الإسرائيلي - من كونه القاعدة الاستراتيجية الأكثر نفعاً للإمبريالية الغربية، لتبدأ لدى الغرب فكرة أنّ وجود هذا الكيان أصبح عبئاً ثقيلاً ومكلفاً⁽¹⁾، يؤيد هذا المنظور من وجهة نظر الباحثة، التغييرات السريعة والمتدرجة ككرة من نار في المنطقة العربية، تنصدها الحرب الدائرة على غزة، التي تستدل منها الباحثة ما تسعى إليه الولايات المتحدة، للتسريع في تهيئة المنطقة بزمتها للحكم الألفي!، يدعم هذا التوجه سياسة التطبيع التي تنتهجها دول عربية شكّلت منذ تأسيسها حليفاً استراتيجياً للغرب الأوروبي وأمريكا بدون أن تحمّلها أي عبئ مالي أو اقتصادي، الأمر الذي يبشر الولايات المتحدة بصحة ما تخطو لتحقيق أهدافها سياسياً وعقدياً .

(1) انظر: المسيري، عبد الوهاب الصهيونية وخيوط العنكبوت، ص 82-83، ط1، مصدر سابق.

المبحث الثالث: ما بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى وصعود أمريكا إلى الواجهة في العالم.

كان صدور وعد بلفور 31 تشرين أول 1917م هو سقوط فلسطين بين فكي الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية. وميراث الاستعمار البريطاني الذي آل إلى القوة الصاعدة عالمياً أمريكا، فأمريكا هي الأرض التي هاجر إليها واستعمرها البيوريتان التطهيريون هرباً من جحيم الكاثوليكية في بداية تمردهم على الكنيسة البابوية ومن جحيم الملكية الكاثوليكية أيضاً قبل استفحال أمرها في إنجلترا.

المطلب الأول : اكتشاف أمريكا واستعمارها من قبل الإنجليز البيوريتان 1492م - 1803: لمحة تاريخية

شكل اكتشاف القارة الأمريكية علامة فارقة في تاريخ الصهيونية المسيحية، فقد أُسس ما سُمي فيما بعد بالولايات المتحدة الأمريكية، التي احتضنت صعود الصهيونية المسيحية منذ رحلة تأسيسها، وصولاً إلى الحرب العالمية الأولى، التي أرسدت قواعد جديدة لها في المشرق العربي بعد تمزيقه إلى مستعمرات ووصولاً إلى إعلان قيام إسرائيل.

المسألة الأولى: الاكتشاف والتسمية.

" إِنَّ سُمُوكُمْ كاثوليكين ومسيحيين وأمراء أحبوا العقيدة المسيحية ويتوقون لرؤيتها تتوسع، وكأعداء لملة محمد، وكل الوثنيين والهرطقة، والذين ارتأوا أنّ من المناسب إرسالنا أنا كريستوفر كولومبس إلى الأجزاء المسماة بالأنديز، للنظر في الطريق الممكنة، لتحويلهم إلى عقيدتنا المقدسة " (1)، هذه هي المقدمة التي ضمنها كريستوفر كولومبس رسالته الموجهة إلى ملك أراغون فرديناند و إيزابيل ملكة قشتالة، إذن فقد بات يقيناً أنّ رحلة كولومبس 1492م كانت تحركها عقيدة القضاء على المسلمين، واسترداد بيت المقدس، من خلال طموح كولومبس في تجهيز حملة صليبية جديدة لهذا الهدف، بتمويل الملكين السابقين الذكر عند إبحاره لاكتشاف ما سمّاه جزر الهند الغربية وبتأييد من البابا الكسندر

(1) انظر: برير، مايكل، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني، ص 86، ط2، مصدر سابق.

السادس عندما أخبره أنّ رحلته تلك تهدف إلى الاستيلاء على مصادر تلك الجزر، لتمويل حملة صليبية جديدة لتحرير القدس وفلسطين لتعودا تحت حماية الكنيسة المقدسة⁽¹⁾ لم يكن كريستوفر كولمبس المكتشف الأول للأراضي الجديدة في القارة الأمريكية، إن جاز لنا أن نطلق على رحلته البحرية (اكتشاف) في عام 1492م، بل إنّ فكرة اكتشاف أراضي وبلاد تقع بعيداً في أعماق المحيط الأطلسي كانت واسعة الانتشار بين البحارة في المدن الواقعة على الساحل الأوروبي لهذا المحيط، بل هناك الكثير من الروايات عن رحلات بحرية توجهت إلى أمريكا قبل كولومبس وبوقت طويل، منها رحلات بحارة صينيين استطاعوا الوصول إلى كاليفورنيا في القرن الخامس الميلادي، وأيضاً بحارة من شبه جزيرة أيبيريا كانوا قد وصلوا إلى أمريكا في القرنين السادس والثامن للميلاد، وقد كان للبحارة العرب سهم في هذا الاكتشاف عندما استطاعوا الوصول إلى قارة أمريكا، عدا عن وجود نظريات لبحارة آخرين إيرلنديين، بولنديين، ونرويج، ونورمان، أسهم بعضهم في اكتشاف جرينلاند، وآيسلند، لكن أخبار جميع تلك الرحلات طواها النسيان كما أنها لا يمكن أن تعد بداية لاكتشاف أمريكا الشمالية خاصة وأنّ جميع تلك الرحلات لم تستطع إيجاد أي من أنواع التواصل بين أمريكا وشعوب العالم القديم، وأما كولومبس فقد تواصل مع الهنود منذ الرحلة الأولى له منذ عام 1492م وحتى وصوله إلى طرف القارة الآخر بعد أن علم من الهنود بوجود محيط يقع في الجهة الثانية من اليابسة، ثم كان هؤلاء هم من قدّموا له الطريق البحري الذي يعرف اليوم بقناة بنما، غير أنه لم يدرك موقعه الجغرافي، فاعتقد أنّ تلك الجزر التي تشكل هذا البرزخ البحري إنما هي عبارة عن سدّ يمنعه من الوصول إلى سواحل آسيا الشرقية، ولهذا فقد استمر في البحث عن مضيق مائي يمكّنه من العبور نحو سواحل آسيا، فقد كانت شواطئ آسيا غايته وحتى عام 1506م، مات كولومبس ولا زال معتقداً أنّه قد وصل إلى جزر تفصله عن سواحل آسيا الشرقية، ولم يدرك بتاتاً أنّه اكتشف قارة جديدة، ولهذا فإنّ مأساة كولومبس كما قيل أنه كان يبحث عن العالم القديم (وهو شرق آسيا) في

(1) انظر: تودوروف، تزفيتان، فتح أمريكا مسألة الآخر، ص 16-18، مصدر سابق.

العالم الجديد (وهو الأمريكيتين وخاصة الشمالية) حسب نظام بطليموس في التوقعات الفلكية التي تدعم مركزية الأرض والتي أطاحت به الاكتشافات الحديثة⁽¹⁾.

غير أنّ أمريكا كانت تعج بأهلها عندما أُطلق عليها الأراضي الجديدة، وكولومبس هو نفسه من أطلق على شعوبها لقب الهنود قبل أن تنطلق إليها حركة ما يسمى بالكشوف الأوروبية التي تزعمتها في حينه كلٌّ من أسبانيا والبرتغال بين الأعوام 1492 و1581، فالإكتشاف في حقيقته أن يتوصل المكتشف إلى عالم مجهول لم تطأه قدم إنسان من قبل، أما العالم الجديد أو الأراضي الجديدة فقد كانت مأهولة، وتسكنها شعوب حية صاحبة الأرض الأصلية، تتوزع بين قبائل الأراوك والإزتيك والإنكا والمايا، ولها حضارات تتميز بها فوق أراضيها، ضاربة جذورها في أعماق التاريخ⁽²⁾، غير أن الأوروبيين التوسعيين الطامحين في الاستيلاء على أراضي جديدة تساندهم في ذلك المسيحية الأوروبية بزعامة الكنيسة الكاثوليكية، التي ارتأت أهمية السيطرة على البشر والهيمنة على الثقافات الأجنبية، ناهيك عن نهب الثروات في الأراضي المحتلة، ثقافتها من ذلك مصادرة حق الغير في الوجود فلم يُعرهم وجود شعوب فوق تلك الأراضي التي ادعوا اكتشافها ونسبوا لأنفسهم اكتشاف قارة هي في حقيقة الأمر مجهولة إليهم، ولكنها غير مجهولة لسكانها الحقيقيين، والذين أُبديوا بأشد الأساليب وحشية منذ وطئت أقدام كولومبس بلادهم، وهو المحتل المتدين، لبداية تاريخ الاحتلال الأوروبي للأمريكيتين، لتنتقل رحلة العبودية والموت لسكان البلاد الأصليين، إضافة إلى أنّ حركة ما⁽³⁾ يسمى بالكشوف الأوروبية اتبعت سياسة عدم الاعتراف بالآخر، وتدمير حضارته في القارات الأمريكية المكتشفة على يد كولومبس منذ الوهلة الأولى التي استقبلته بها قبائل الأزتيك والإنكا والمايا بحسن ضيافة وكرم⁽⁴⁾، علاوة على أن مهمة كولومبس لم تقتصر على السيطرة على الأراضي

(1) انظر: التكريتي، هاشم صالح، مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة من الإكتشاف إلى الاستقلال، ص36-42، ط1، دار الجواهري للنشر، بغداد، 2013م.

(2) انظر: نفس المصدر.

(3) انظر: برير، مايكل، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني أمريكا اللاتينية جنوب أفريقيا فلسطين، ص80 - 81، ط2، ترجمة: أحمد الجمل وزياد منى قدمس للنشر، دمشق، 2004.

(4) انظر: تورودوف، ترفيتان، فتح أمريكا مسألة الآخر، ص7، تقديم واستقراء، ط1، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، 1992م.

واستعمارها ونهب ثرواتها والهيمنة على ساكنيها بالقوة واستباحة إبادتهم فقط، بل اتسم سعي كولومبس بالطابع الديني الشديد التطرف والذي كان لا ينفك من التصريح به بشكل علني، فهو الذي ساعده الرب الخالد، لأنه سلك طريقه - أي طريق الرب - متحدياً الصعاب ومنحه النصر، ولا ريب في هذا بعد أن كان مصدر تمويل حملاته تلك من ممالك أراغون وقشتالة التي كانت قريبة عهد من استئصال المسلمين والحكم الإسلامي في الأندلس⁽¹⁾، فقد اعتقد كولومبس جازماً أنه ماضٍ نحو حملات صليبية جديدة إذا ما توغل مبحراً لاكتشاف أراضٍ ستكون مصدراً لموارد وافرة للسفر نحو الشرق بمساعدة من المغول الكارهين للمسلمين والمحبين للمسيحيين للعمل على فتح أبواب تجارية في الشرق خارج نطاق نفوذ المماليك، ليتسنى لها توحيد كل الجهود النصرانية لمساندته لاسترداد القدس من أيدي المسلمين⁽²⁾، كما فعلت الحركة الاستردادية الإسبانية في الأندلس، فانتصار المسيحية وتفوقها عالمياً كان هو ما يحرك كولومبس، وأما جمع الذهب والثروات فاعتبرها كولومبس شديد التدين وسيلة لخدمة المسيحية وسيادتها في القرن الخامس عشر، واصفاً نفسه أنه المتميز الذي هياه الرب لرسالة سماوية⁽³⁾، ومن أهدافه أيضاً جمع الثروة لتكوين حملة صليبية لاستعادة القدس، تمهيداً، كما يقول لتأسيس إسرائيل أو مملكة الرب على جبل صهيون، فيما اعتبره كولومبس حرب حياة أو موت ضد امبراطورية محمد⁽⁴⁾، لم يُدر في خلد كولومبس أنه وصل برحلته المؤرخة عام 1492م إلى شواطئ أمريكا الشمالية وإلى جزر البهاما وهايتي وكوبا وما يُطلق عليه اليوم السلفادور، لتتوالى بعده الكشوفات الأوروبية الهادفة إلى التوسع التجاري والسياسي على حساب أراضي العالم الجديد وشعوبه التي تقطنها، ومن أوائل تلك الدول التوسعية كانت أسبانيا، فالبرتغال، وفرنسا، وإنجلترا، ثم هولندا، وتلك هي أبرز النتائج التي تمخضت عنها العصور الوسطى في أوروبا بعد مرورها بالحروب الصليبية

(1) انظر: زن، هوارد، التاريخ الشعبي للولايات الأمريكية المتحدة من 1492م، ج1، ص22-33، ط1، ترجمة: شعبان مكاي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.

(2) انظر: مجلة الفسطاط، العدد شهر 7 من عام 2006م، عنوان المقال: حمل البرتغاليون والأسبان الروح الصليبية للعصور الوسطى، ص1.

(3) انظر: تودوروف، ترفيتان، فتح أمريكا مسألة الآخر، ص 16-18، مصدر سابق.

(4) انظر: شعبان، فؤاد، من أجل صهيون التراث اليهودي - المسيحي في الثقافة الأمريكية، ص25-40، دار الفكر للنشر، عمان، 2003م.

وظهور نظام الدولة الحديثة بُعيدَ إنهيار النظام الإقطاعي الذي كان يسود العالم القديم، والذي بدأ أولاً فعلاً في البرتغال، ثم أسبانيا، ثم إنجلترا، ثم فرنسا⁽¹⁾، فقد تنامت الرغبة في السعي لاكتشاف أراضي جديدة في تلك الدول وغيرها بعد أن تحولت إلى النظام الملكي الذي كان يشجع ويحفز على الكشوفات فيما وراء البحار، فتوسيع سلطتهم يمنحهم المزيد من القدرة لتمويل الحملات الكشوفية نفسها من خلال ما يُنهب من ثروات في الأراضي المكتشفة والسيطرة على الممرات والطرق المائية، من أجل الحركة التجارية، إضافة إلى السعي إلى التوسع الإحلالي في أراضي جديدة في تلك المنطقة من العالم فيما أصبحت إضافة إلى مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط مناطق للمنافسة التوسعية الإقليمية والتجارية بين الدول الأوروبية⁽²⁾، ولهذا وبشكل عام بات أمر اكتشاف طريق بحري آخر جديد إلى الهند لا يعبر بلاد العرب ولا يمر بالممتلكات العثمانية فكرةً نشطة في عقل الاكتشافات التوسعية للقارة الأوروبية.

المسألة الثانية: تسلط البيوريتان الإنجليز على الأراضي الجديدة واستعمارها ونشأة

أمريكا، ||| منذ بدايات القرن السادس عشر بدأت هجرات إحلاليه واسعة وزراعة مستوطنات أوروبية في أمريكا الشمالية من الدول الأولى في الاستعمار عالمياً، وهي أسبانيا، والبرتغال، ثم دخلت إلى مضمار السباق، لاحتلال أمريكا الشمالية كل من فرنسا، وهولندا، والسويد، وأخيراً إنجلترا، إلا أن مملكة أسبانيا كانت السبّاقة في اكتشاف الأراضي الجديدة في أمريكا الشمالية في الرحلة البحرية التي ترأسها أمريكو فسبوتشي 1501-1502م، لتتأكد شكوكه بوصوله إلى أراضي العالم الجديد الذي سُمّي باسمه⁽³⁾.

وبذا تكون أسبانيا أول من أنشأ المستوطنات الإحلالية فيها بعد اكتشافها لفلوريدا 1513-1539م، ثم اوكلاهوما، ثم نهر المسيسيبي، ونيو مكسيكو، وكانساس. وفيما أوقفت موجة الاحتلال الأسباني في

(1) انظر: النيرب، محمد محمود، المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية حتى 1877م، ص 14-16، ج1، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1997م.

(2) انظر: نفس المصدر.

(3) انظر: نوار، عبد العزيز سليمان، جمال الدين محمود محمد، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر حتى العشرين، ص 22، دار الفكر العربي، القاهرة، 1419هـ - 1999م.

أمريكا كل من روسيا وإنجلترا وفرنسا اكتشفت فرنسا كندا 1504-1718، ولكن الإنجليز والهولنديين أوقفوا المد الفرنسي في مونتريال، لتمتد حملات هولندا داخل أمريكا الى فرجينيا على ساحل الأطلسي الشرقي ناحية نيوفاوند لاند 1609، فتكون أولى مستوطناتها الإحلالية هي أمستردام على نهر هدسن 1629م، والتي عرفت فيما بعد ب نيويورك، عندما استولى عليها الانجليز، وبينما اندحرت القوى الاحتلالية كافة عن القارة الجديدة انفردت بريطانيا التي سعت للاحتلال في الأراضي الجديدة، من خلال الحروب والمصادمات العسكرية مع الدول التوسعية الأخرى، وأشهر تلك الحروب كانت حرب أرمادا البحرية 1588م، التي قضت فيها إنجلترا على الأسطول الأسباني، لتتغلغل داخل الأراضي الجديدة، بينما كانت آخر حروبها في معركتها التوسعية الإحلالية لاحتلال الأراضي الجديدة مع فرنسا بين الأعوام 1754-1763م، فيما عرف بالحرب الفرنسية الهندية حتى عام 1803م، وبعد أن خسرت فرنسا معظم مستعمراتها هناك اضطرت فرنسا لبيع آخر مستعمراتها في القارة الشمالية، وهو إقليم لويزيانا، مما أتاح لإنجلترا اكتساح العالم الجديد ضمن ماراتون استيطاني أوروبي لتحقيق أطماعها المتنوعة في جوانب عدة: منها الاقتصادي، والاجتماعي، والديني، والسياسي، ليبدأ الإنجليز في إقامة مستوطناتهم هناك، وتبدأ رحلة التهجير الإحلالية الإنجليزية قسراً أو هرباً من بريطانيا وأشهر من هاجر إلى قارة أمريكا من الإنجليز هم الطامحون بالثروات أو الفرسان والأمراء، سعياً للمناصب أو استملاك الأراضي الشاسعة أو تجار البشر، أو سجناء الاحكام المؤبدة، أو الفئات الأشد فقراً، للتخلص منهم، وأما الفئة الأهم التي فرّت هرباً بمعتقداتها من الملكية الكاثوليكية الحاقدة فهم البيوريتان التطهيريون المنشقون عن كنيسة إنجلترا، نتيجة لمعاناتهم من الاضطهاد، وهؤلاء هم من كان لهم⁽¹⁾ الأثر الأكبر في تشكيل المعتقدات الدينية الأمريكية للنظام الإحلالى الذي سيقوم في الأراضي الجديدة تحت مسمى الولايات المتحدة الأمريكية، فبعد عقدين من تلك الهجرة صاغ المؤسسون الأوائل من الأنواع البشرية السابق ذكرها، وممن يعتقدون البروتستانتية المتهودة من البوريتان دستور الولايات المتحدة الجديد، لتبرز إلى سطح الحدث ما عرف بالأمة الأمريكية، وهكذا تم تأسيس الدولة التي انتهت إلى أن تصبح قوة عظمى بينما كشفت ديمغرافية السكان في الولايات المتحدة الأمريكية حقيقة مفادها أن جُل سكان القارة الأمريكية هم عبارة عن امتداد للإنجليز، رغم وجود العديد من الجنسيات الأوروبية إلا أن العنصر الإنجليزي هو الأعم، وهو الذي سيطر على

(1) انظر: النيرب، محمد محمود، المدخل في تاريخ الولايات المتحدة حتى 1877م، ص 26-46، مصدر سابق.

مقاليد الأمور فيها، بعد عصر الإصلاح البروتستنتي الراض للخضوع للكنيسة الإنجليكانية في بريطانيا والتي عملت على تشجيع الهجرة للبريتانيين الذين رأوا في القارة الأمريكية عالماً سوف يمارسون فيه طقوسهم الدينية، ولنشر مذهبهم الديني الجديد بين الهنود هناك،⁽¹⁾ فيما عدّ المسيحيون المنتصرون الأوائل والمتأخرون منهم هناك أنهم رسل الله إلى الأمريكيتين، حاملين معهم ما سمّوه بالإيمان المسيحي في احتلال القارتين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية⁽²⁾، تماماً كما اعتبر اليهود -أو كما يدعون أنهم بنو إسرائيل- أنفسهم رسل الله والشعب الذي أختاره الله للاستيلاء على الأرض المقدسة وتخليصها من الكفرة، هؤلاء الأوائل كانوا يعتقدون أنهم بنو إسرائيل عصرهم، وأنهم بتكليف من الله وتدبيره مرسلون لنشر البروتستانتية المتهودة، التي جعلت من التوراة أو العهد القديم أصل معتقداتها، وقواعد إيمانها بين الهنود في الأرض الجديدة، فبدأت في تسمية مستعمراتها وأجيالها الجديدة بأسماء عبرية.⁽³⁾

تلك التداعيات التي بلورت قيام ما سُمّي فيما بعد الأمة الأمريكية والتي تشكلت وفق قواعد أربعة هي:

- العرق الأبيض

- والإثنية الإنجليزية

- والمسيحية البروتستانتية

- والثقافة الإنجليزية البروتستانتية، ولولا تلك القواعد لما كانت أمريكا كما يقول صموئيل هنتغتون، فقد وضع الإحلاليون البيوريتان البروتستانت الأوائل بذور المجتمع الأمريكي، وصبغوا المجتمع والدولة الحديثة بتلك الخصال والصفات⁽⁴⁾.

(1) انظر: المصدر السابق ص 26-46.

(2) انظر: بريير، مايكل، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني، ص 84، مصدر سابق.

(3) انظر: التكريتي، هاشم صالح، مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث من النشأة إلى الاستقلال، ص 63، ط1، دار الجواهري للطباعة والنشر، بغداد، 2013م.

(4) انظر: مختار، الجمال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009م، اسم الكتاب باللغة الإنجليزية.

ومن خلال ما تقدم تخلص الباحثة إلى استنتاجات غاية في الأهمية تتلخص بما يلي :-

• طبيعة الأسس والهيكلية التنظيمية والسياسية التي بُنيت عليها الولايات المتحدة الأمريكية وهذا يظهر جلياً من خلال الأعراف والقيم الدينية التي شكلت نظام الحكم في المستوطنة الأولى في بلايموث في ماساتشوستس، التي اعتمد فيها البيورتان أو الحجاج كما أطلقوا على أنفسهم نظام الحكم الثيوقراطي للمستوطنة تُغلّفه الديمقراطية بين المستوطنين من البيورتان وغيرهم من المهاجرين المخالفين لهم في العقيدة، وهو النظام الذي اعتمده الولايات المتحدة عند وضعها للدستور بعد إقرارها اللائحة الدستورية لولاية فرجينيا عام 1787م، قبل الثورة الفرنسية، التي لم تحدد كنيسة رسمية فيها حماية للدين من الدولة وليس العكس⁽¹⁾، فكون أمريكا يحكمها دستور علماني لا يعني فصل الدين عن الحياة العامة للشعب الأمريكي، ولا جعل الدين نداً للدولة، إنما هو نموذج تفردت به أمريكا لشعب شديد التدين في ظل حكم علماني شجع باستمرار صعود التيار اليميني المسيحي الذي يستقي إيمانه ومبادئه من نبوءات أسفار العهد القديم، أما الأغرب فهو ما نراه اليوم على صعيد السياسة الخارجية للولايات المتحدة ومنذ بدايات القرن العشرين، وهو سيطرة اليمين المسيحي الأمريكي أو ما يسمى بالأصولية على إدارة السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

• إضافة إلى ما ظهر جلياً من أنّ المسيحية بصفتها ديانة اعتبرت أحد الدوافع الأشد فتكاً لحملات إبادة الشعوب في تلك القارة، ليلها في الأهمية دافع النهب والإستيلاء على الثروات وإضافة أملاك جديدة في الأراضي المنهوبة والتسلط على الشعوب وإذلالها وكسر إرادتها وتنصيرها تحت قوة السلاح واستعبادها في المزارع الخاصة للعرق الأبيض، وهو علامة بارزة للغزو الأوروبي تحت مسمى الاكتشاف، لهذا كان القساوسة ورجال الدين والمبشرين دائماً في مقدمة الحملات الاستعمارية، هدفهم إدخال الشعوب الوثنية - كما أطلقوا عليها - في المسيحية.

• وذلك الأمر اعتُبر مسوّغاً طبيعياً لاحتلال فلسطين نتيجة لخزعات أرض الميعاد وشعب الله المختار اللتين اختلقتما الصهاينة المسيحيين والصهاينة اليهود، فقد كانتا ضمن المسوّغات الأوروبية

(1) جامعة مينسوتا، مكتبة حقوق الانسان، دستور الولايات المتحدة الامريكية، المادة الخامسة من الدستور، التعديلات الدستورية، التعديل الأول.

<http://hrlibrary.umn.edu/arabic/us-con.html>

للتخلص من اليهود وزرعهم على شكل احتلال إحلالي في فلسطين وفي الأمريكيتين بعد اغتصابها من أهلها الشرعيين، فالصهاينة المسيحيون الأوروبيون، وصهاينة اليهود رغم تمسحهم بعلمانية هرتزل إلا أنّ كليهما ادّعى أنه مختار من الله لنشر وإقامة دينه في الأمريكيتين أولاً، ثم في فلسطين ثانياً بعد عودة اليهود إليها، ليلتقيا كلاهما في تحقيق النبوءات التوراتية التي تدّعي مكانتهم الإلهية الخاصة عند الله، كما تدّعي أحقيتهم في ذلك بسبب تفوقهم الحضاري، وحاجة تلك الشعوب التي ألصقوا إليها صفة التخلف للتحضر كما هو الحال في أمريكا الجنوبية وأمريكا الشمالية، وهو ما اتفق بشأنه العديد من المفكرين والكتاب عرباً وعجماً أمثال مولر جيكو في كتابه (الصراع على الله في أمريكا)، وغازي حسين في كتابه (الاستيطان اليهودي في فلسطين من الاستعمار إلى الإمبريالية).

• غزو دول الغرب الأوروبي وأبرزها بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، قام على دفن الهوية القومية والدينية للشعوب المحتلة، عبر حرب إبادة منظمة، لتتحول المستوطنات البشرية التي زرعتها إلى كيانات سياسية وقواعد عسكرية ثابتة، وأبرزها مستوطنات العرق الأوروبي الأبيض في القارة الأمريكية الشمالية، في حين أعادت الولايات المتحدة الأمريكية تكرار سيناريو الغزو واستعمار الشعوب والتسلط على ثرواتهم وفرض ثقافتها الاستعمارية عليها.

• وفيما بعد إبان الثورة الأمريكية وتشكيل الاتحاد بعد صدور دستور فرجينيا، كما أشار إلى هذا الكاتب فرانك لامبرت في كتابه (الدين في السياسة الأمريكية تاريخ موجز)، استمر القساوسة الوطنيون ورجال الدين من أعلى هيئة في الكنيسة البروتستانتية وأبرزهم القس صموئيل شروود الذي كان ينادي بأمريكا بروتستانتية إلى توحيد الفكر الجمعي لسكان الولايات ضمن عقيدة أنّ الحاكمية للرب، فهو الحاكم الأوحد لها، وبينما عرفها الدستور باسم الولايات المتحدة الأمريكية، اختارها الرب لتكون إسرائيل الجديدة التي اصطفاها موطناً لكنيسته.

• وبهذا تقودنا تلك المعطيات مجتمعة إلى كيفية تكوين الأمة الأمريكية فكرياً، وعقائدياً، وبخاصة بعد انفصالها عن بريطانيا، في حين تتوافق سياستها الخارجية مع حروب الغزو بأشكاله المختلفة بحق الشعوب التي ترفض الانصياع وراء شهوتها في التوسع على حسابها، وما يجري في غزة الآن من حرب إبادة شاملة للوجه الإنساني والحضاري بأجمعه تدعم فيها أمريكا دولة الكيان بمختلف أسلحة الدمار والفتك أعظم مثال على تلك السياسة العسكرية، ولنا في تاريخها ما يثبت هذا الكلام، فقد لونت أمريكا تاريخها، ومنذ قيامها بشنها الحروب المفتعلة على العديد من الدول في العالم، وبخاصة في آسيا، والمشرق العربي، وأمريكا اللاتينية. وأوضحها المشرق العربي وما يتعرض له من

سيطرة أمريكية وغزو عسكري، وسياسي، واقتصادي، وثقافي، تحت بند العديد من الياقظات التي تتضمن تحقيق مصالحها وشغفها في تأكيد قوتها وتفوقها على الأمم الأخرى وعنصريتها تجاهها وإصرارها على إجهاض كل مقومات التقدم التقني لتلك الدول.

• الفلطيني وفلطين أضح مثال للعنجهية الأمريكية التي لا ترى في هذا العالم سواها، فقد سارعت لتأييد بريطانيا في جميع مخططاتها المتعلقة باغتصاب فلطين، من وعد بلفور وحتى قيام دولة الكيان، بل ودعمت قيام كيان صهيومسيحي بقالب يهودي يمزق جسد الأمة العربية، لتمكين سيادة الحضارة الغربية وثقافتها بشكل خاص، وفرض هيمنتها العسكرية، وبذا يقودنا الاستقراء التاريخي لأمريكا : أنّ التراث اليهودي - المسيحي او المسيحي المتصهين جزء، بل إنّه متغلغل في تاريخ الولايات المتحدة منذ التأسيس، إضافة إلى أنه يمثل عصب الثقافة الأمريكية، وله التأثير الأكبر على فئات اليمين المسيحي المتطرف، واليمين السياسي الذي يعمل لصالح الكيان الصهيومسيحي ضد الفلطينيين، وحرب الإبادة الهمجية التي تدور في غزة مثال حيّ على تاريخها الإجرامي الذي بدأتها إبادة شعوب القارة التي اغتصبتها واستعمرتها وها هي تمتثل اليوم لشهوة الدماء التي تغذيها لتستمر في إبادة الفلطينيين في غزة.

الفصل الثالث

القدس : (بيت المقدس) بين مطرقة الصراع العقدي الصهيوني المسيحي وبين الواقع الإحلالي
الاحت الاستيطاني اليهودي ومخرجاته.

تمهيد :

كان الكتاب المقدس بعهديه ولا يزال المصدر الرئيس الذي قامت عليه أسس اغتصاب فلسطين فهو كما ذكرت سابقاً من خلال هذا البحث شكل المعين الذي تستقي منه المسيحية الصهيونية الغربية عقيدتها التي جعلت من النصوص التوراتية خاصة جسراً لها بعد أن حولتها إلى نظريات سياسية للانطلاق لاغتصاب فلسطين ومحاولتها الدؤوب في محو هويتها العربية وتاريخها الإسلامي، وأشد ما عانت من هذا مدينة القدس التي جعلت منها النصوص التوراتية والرؤيويات في العهد الجديد مدينة في صلب التاريخ اليهودي، أو العبري، أو الإسرائيلي، فجميع هذه المسميات اليوم يقصد منها الكمّ البشري الذي تمّ جمعه من بقاع الأرض في دولة الكيان اليهودي - الصهيوني، وقد كانت على مدار التاريخ المدينة التي أثارت اهتمام الباحثين والمؤرخين والأثريين بالقدر الذي جعلها الساسة ورجال اللاهوت محطّ اهتمامهم، غير أنّ الزيف في تاريخها من قبل جميع هؤلاء بلغ شأواً عظيماً جداً، على الرغم من أننا نعيش زماناً يتسم بالانفتاح في جميع المناحي العلمية، فيما سيطرت القوى الكبرى في العالم على أسبابه ونتائجه، لتتجه به إلى عسكرة التقنية بهدف السيطرة المسلحة، في حين أمسى الأخذ بالنتائج العلمية البحثية هامشياً، وعديم التأثير لدى القوى الكبرى المتغلبة شاركها في ذلك النهج غير الأخلاقي فقير الإنسانية، العديد من المؤرخين والأدباء والكتاب والمصنّفين العرب والمسلمين بسبب اعتمادهم روايات العهد القديم مصدراً رئيساً وأولياً في مصنفاتهم التاريخية والأدبية، فهي قد نالت - التوراة - بفضل تدوينها وتناقلها منذ عصور ما قبل الميلاد مكانتها كتاباً سماوياً مقدساً رغم

ما⁽¹⁾ هي عليه من التزوير والتحريف، ليجعل منها هذا أشد الأساليب نجاعة في ترويج الافتراءات الصهيونية عن الحق التاريخي لها في فلسطين والقدس، وتذليل العقبات أمام فكرة أرض الميعاد بصفتها موروثاً دينياً رغم ما أثبتته جميع التنقيبات الأركيولوجية حتى الآن عكس هذا، يقول الباحث والدكتور سهيل زكار: "تناول العديد من المصنفين الإسرائيليات على أنها مصدر مضمون لتوثيق أحداث تاريخية ودينية، رغم علم هؤلاء بأنها ليست تورا موسى عليه السلام، وإنما هي تورا حاخامات دُونت بعد موسى عليه السلام بحوالي العشرة قرون"، وقد اعتمد زكار في هذا على ما أماطت عنه الأبحاث الأثرية في القدس وحولها في نهايات القرن العشرين، التي أثبتت عدم موثوقية التورا الحالية التاريخية والدينية أمام المكتشفات الأثرية، على الرغم من أن بداية مسيرة تلك التنقيبات الأثرية التي بدأها الآثاريون ورجال اللاهوت الغربيون كانت منذ أواخر القرن الثامن عشر، وقد بدا على نتائجها النهائية التدليس، وعدم الرصانة العلمية، فيما كانت وبالأعلى على القدس وأهلها عبر تلك القرون، لأنها سعت إلى إثبات صحة روايات العهد القديم⁽²⁾ من خلال تطويع المكتشفات الأثرية في فلسطين والقدس بشكل خاص حسب تلك الروايات، ومروراً بنهايات القرن التاسع عشر ازدادت ضغوطات الحركة الصهيونية ونشاطاتها بتعاون كامل من مؤسسات وجمعيات غربية أثرية تم تأسيسها أيضاً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للغاية نفسها وهي التي كرّست معظم أبحاثها الميدانية والنظرية للتعقيب والبحث في المواقع الأثرية الفلسطينية من العصر الحديدي، باعتباره عصر الأحداث التوراتية، بهدف توظيف المكتشفات الأثرية والتراثية الفلسطينية لخدمة الفكر الصهيوني الذي يسعى لتأكيد الحق التاريخي المزعوم لليهود في فلسطين⁽³⁾.

ومنها الجمعية الأمريكية للأبحاث الفلسطينية Palestine Exploration Societt، وتأسست عام 1870م، التي تضمن برنامجها نداء إلى "الضمير الديني مسيحياً كان أم يهودياً، من أجل البرهنة

(1) انظر: بهنسي، عفيف، تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار، ص17-18، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009م.

(2) انظر: زكار، سهيل، كلية الآداب، جامعة دمشق، عنوان المحاضرة: القدس بين حقائق التاريخ وزيف الإسرائيليات، 2012 / 8 / 7 .

(3) انظر: إبراهيم، معاوية، فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد، الموسوعة الفلسطينية، م2، القسم الثاني، ص4-5.

على صحة الكتاب المقدس"، بعد أن استمدت من التوراة انطلاقتها البحثية الميدانية، وفي عام 1900م انتهت تلك الجمعية لتأخذ مكانها المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس مع بعثات التنقيب الأثرية الغربية، على رأسها الجمعيات الأثرية التوراتية مثل المدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية التي تأسست بعد جمعية صندوق اكتشاف فلسطين البريطانية عام 1865م، لربط أهدافها السياسية والعسكرية بالطابع التوراتي، وبينما ركزت جمعية صندوق فلسطين البريطانية في التنقيب على الآثار، والجغرافية، والجيولوجيا، والتاريخ الطبيعي لفلسطين كما ذكرت سابقاً، كان يصدر عنها مجلة دورية تصدر العدد الأول منها عنوان: "جمعية من أجل البحث الدقيق والمنظم في الآثار والطوبوغرافيا، والجيولوجيا، والجغرافية الطبيعية، والتاريخ الطبيعي، وعادات وتقاليد الأرض المقدسة، لغاية التوضيح التوراتي"، وفي هذا ما يدل على ما أوجدته بريطانيا، وهي صاحبة تلك الجمعية من تمهيد السبل اللوجستية كافة لقيام الوطن القومي لليهود إلى درجة التدقيق في عاداتنا وتقاليدنا، ومن الجمعيات الأوروبية أيضاً جمعية الآثار التوراتية البريطانية، وأيضاً الجمعية الفرنسية للدراسات التوراتية والأثرية التي أسسها الدومينيكان عام 1890م، والجمعية الألمانية للدراسات الشرقية عام 1897م، التي أنشأت المعهد البروتستانتي الألماني للدراسات التاريخية في الأرض المقدسة، ومقره مدينة القدس عام 1902م، وأخرى باسم الجمعية الألمانية للأبحاث الفلسطينية عام 1877م، لتغدو نتائج جميع تنقيبات تلك الجمعيات مقرونة بما جاء في العهد القديم ووفق مروياته ومعطياته التاريخية، وما ورد فيه من أسماء لمواقع تم ربط أسماء الأماكن الفلسطينية بها دون أدنى تحقيق علمي لتصبح تلك الأسماء للأماكن توراتية⁽¹⁾، فتلُّ السلطان هو مدينة أريحا التوراتية، وتلُّ المتسلم هو مجدو، وتلُّ أبوشوشة هو جيزر، وتلُّ سيلون هو شيلو، وتلُّ الدوير سمته القراءة التوراتية لخيش، وتلُّ القدح سمته حاصور، وهو ما سبب الكثير من الإرباك للباحثين في هذا المجال، ولا سيما أن مدينة القدس كانت في عين العاصفة لتلك الحملات التنقيبية التي حاولت جاهدة الاستفادة من كنوزها الأثرية، وعمارتها التاريخية، لربطها بالحوادث التوراتية، غير أنها فشلت فشلاً ذريعاً في ذلك، مما نتج عنه انسحاب الأثري الإنجليزي تشارلز وارن ووقف التنقيب عن الهيكل عام 1867م، وبينما استمرت بريطانيا التنقيب الأثري غصت الطرف عن الأمريكي آرثر باركر المكلف بالتنقيب جنوبي الأقصى، حتى طوعت له نفسه محاولة التنقيب داخل الأقصى سراً، ولكن محاولته تلك أفضلت، في حين بدأت

(1) انظر: المصدر السابق ص 5-7.

المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية مزاولة البحث والتنقيب في القدس وفلسطين، استكمالاً للدور البريطاني الذي أرسى قواعد الدولة اليهودية بعد إتاحتها جميع الفرص للحركة الصهيونية التي عملت بالوسائل كلها لتسهيل إجراءات الاستيطان في فلسطين بعد توجيه دفة التاريخ لصالحها، من خلال تحريف أسماء المدن والمناطق الفلسطينية⁽¹⁾.

غير أن الرصاصة القاتلة التي أودت بالنتائج الأثرية المزيفة عن عصر الأحداث التوراتية جاءت من النتائج الأثرية الميدانية على الفخار للباحثة الأثرية البريطانية في القدس وأريحا كاتلين كينيون بين الأعوام 1960-1961م، ونقضت فيها جميع النظريات التي اعتمدت على رؤىويات ونصوص التوراة⁽²⁾، في التنقيب عن الآثار بعد أن كشفت جميع ما تُوصَل إليه من التنقيب من أقواس وأبراج وأسوار يعود للقرن الثاني الميلادي من العصر الروماني، وليس لعهد داود وسليمان، وما وجد من أحجار أثرية هي لتلك المنشآت الرومانية وليست من بقايا أحجار الهيكل، كما يزعم الأثريون في منظمة صندوق فلسطين الاستكشافي 1867م، بقيادة السير وارن، والبعثات البريطانية الأخرى بقيادة الأب فانسن 1909-1911م، الذي جاهد لاستكشاف نفق يؤدي إلى خارج أسوار القدس، فيما ادعى أنّ الحائط الجنوبي للحرم الشريف يعود إلى عهد سليمان، وتتابع التنقيبات الأثرية الإسرائيلية بعد مشاهدات كاتلين كينيون العينية الأثرية من خلال الفخار في محاولة مستميتة للبحث عن هيكل سليمان في القدس بعد عام 1967م، بقيادة الأثري الإسرائيلي مازار ومساعدته بن دوف، ليتم اكتشاف القصور الأموية الثلاث وبجانبيها مسجد، استمرت تلك القصور في عمرانها خلال الحقب الزمنية: الأموية، والعباسية، والفاطمية⁽³⁾، وقبل الدخول في بدايات القرن العشرين حتى نهاياته أماطت الاكتشافات الأثرية اللثام عن تناقض الأركيولوجيا مع نصوص العهد القديم، وهو ما بيّن حقيقة

(1) انظر: إبراهيم، معاوية، فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد، مصدر سابق، ص 7-9.

(2) انظر: بهنسي، عفيف، تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار، ص 57، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق 2009م.

(3) انظر: بهنسي، عفيف، نفس المصدر، ص 57.

التقارير الأثرية التي كُتبت قبل العقد الأخير من القرن العشرين⁽¹⁾، الأمر الذي دفع بالعديد من علماء الآثار والمؤرخين طلب تنحية البحث، من خلال المنهج التوراتي واعتماد المكتشفات الأثرية المادية، ومنهم العالم الهولندي هانك فرانكن⁽²⁾.

وأما واقع القدس بصفتها مدينة ذات قداسة دينية فكانت منذ بدايات القرن التاسع عشر 1823م إلى بدايات القرن العشرين 1917م، حتى وقت دخول الجنرال اللنبي غازيا كولونيا لتعرض لمحاولة استئصال الوجود العربي الإسلامي، من خلال تزييف الجغرافية العمرانية، والتأثير في الأنثروبولوجيا الاجتماعية فيها، بهدف تغيير الواقع على الأرض من خلال عمليات الاستيلاء على مساحات شاسعة جداً من الأراضي فيها بأساليب شتى لصالح بناء الكنائس والكاتدرائيات ومدارس التبشير والمستشفيات التي تمولها البعثات التبشيرية لمختلف الدول الأوروبية: ومنها بريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، وبروسيا، إضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية⁽³⁾.

وهنا يجوز لنا أن نستحضر ما ذكره ابن حوقل 331هـ من القرن العاشر الميلادي في كتابه "صورة الأرض" بشأن فضّ العلاقة التي يدّعيها النصارى ببيت المقدس، من خلال تزييف النصارى لعلاقة دينية وتاريخية تربطهم بها فقال: "رومية مُلك من أركان مُلك النصارى، وبها كرسي النصارى ككرسي أنطاكية، وكرسي الإسكندرية، والكرسي الذي ببيت المقدس مُحدّث لم يك في أيام الحواريين، وإنما اتخذ النصارى بعد الحواريين كرسيّاً في بيت المقدس لتعظيم شأنه، أي لأجل خلق رابطة دينية داخل المدينة المقدسة،" كما ذهب إلى هذا المعنى المسعودي في (مروج الذهب)²، وهو ما جرت عليه الأمور في القدس منذ ما بعد رفع عيسى عليه السلام وتشتت حوارييه.

(1) انظر: زكار، سهيل، عنوان المحاضرة: القدس بين حقائق التاريخ وزيف الإسرائيليات، 2012/8/7، مصدر سابق.

(2) انظر: إبراهيم، معاوية، فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد، ص4-5، مصدر السابق، انظر: المسعودي، أبي الحسن، علي بن الحسين بن علي، ص153، ج2، ط1، المكتبة العصرية، بيروت-صيدا، 1425هـ-2005م.

(3) انظر: شوفاني، إلياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى عام 1949م، ص279-281، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1996م.

المبحث الأول: القدس: مقومات حضارية: جغرافية وتاريخية ودينية وسياسية.

تمهيد :

لا يغيب عن بال إنسان أنَّ قضية القدس قضية عقدية قبل أن تكون سياسية، هي قضية إسلامية لا تعني فلسطين وشعبها متقربين بل هي تعني كل عربي، وكل مسلم، يعيش قضايا دينه وأمته، وجاءت أهمية درجتها في القدسية في القرآن العظيم كما في السُّنة الشريفة ومنذ العهد النبوي، وفي إجماع الرعيّل الأوائل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدون والعلماء والمصلحون عبر الحقب الإسلامية التاريخية، التي دلّت أنها أرض مقدسة، فهي قبلة المسلمين الأولى، وهي ثالث الحرمين، وأرض الإسراء، وبوابة السماء التي عرج محمد صلى الله عليه وسلم منها، وهي الأثيرة لدى الأمم، فالقدس ومنذ بدء التاريخ كانت محطّ اهتمام الأمم، شرقية كانت أم غربية، آسيوية أم أوروبية، اجتمعت أم الأرض على تبجيلها، والسباق للاستحواذ عليها، فكل الأمم التي حكمت بالإسلام مرّت من فوق تراب هذه المدينة، بل وجميع الأمم في تاريخ الإنسانية تكوّن تاريخها ببصمة كانت نتاج تفاعلها مع بيت المقدس أو بسببها، فالفرس، واليونان، الإغريق، والرومان، والسلوقيين، والأشوريين، والبابليين، والفراعنة، ومرورا بالتاريخ الحديث وحتى المعاصر، فإن القدس وفلسطين شكلتا الدافع الأقوى لقراءة تاريخ بريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وروسيا، وألمانيا، وأما الولايات المتحدة الأمريكية فما زال تاريخ المدينة المقدسة يلعب الدور الأبرز في تفصيل أحداثها التاريخية ولا زالت تشهد أروقتها السياسية الجدالات المؤثرة عند صناع القرار، ولهذا أصبحت الولايات المتحدة اللاعب الأوحد في ميدان الصراع القائم الآن على من يستأثر بالمدينة التي اعتبرها - من سمّوا أنفسهم أصحاب الديانات اليهودية والمسيحية - عاصمتهم الدينية، ولا يخفى على أحد ما الدور الذي قامت ولا تزال تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية من دعم قوي جدا في تثبيت أركان الكيان الصهيوني الغربي المسمّى إسرائيل في فلسطين ماضية في السعي لبناء الهيكل المزعوم بعد تدمير الأقصى، وقد ناقش هذا البحث في الفصلين السابقين مجمل القضايا العقدية التي تتعلق بهذا الجانب الذي يُعتبر الهدف الأول للرسالة، والذي تهدف الباحثة إلى الوصول من خلاله إلى الدور المركزي للصهيونية المسيحية التي تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية مع دول الغرب الأوروبي، ولو كانت هي التي تقوم بالدور الأبرز في دعم الكيان الصهيوني اللامحدود، بعد أن اغتصبت فلسطين بمساهمة الجميع، وعلى مرأى ومسمع ما يسمّونه (القانون الدولي).

المطلب الأول: القدس بين معاجم اللغة ومقصود المصطلح.

رأت الباحثة أن من الأهمية بمكان التعريف بالمعاني التي تظهر الجانب المقدس في الاسم لمدينة القدس، وعليه فقد بينت المعنى اللغوي والمقصود الاصطلاحي بهدف إبراز صفة قدسية المدينة وطهرها ومباركة القرآن العظيم لها، وقد وضحت الباحثة هذا من معاني اسمها في معاجم اللغة ومقصود الاصطلاح، إضافة إلى ما قصدت به الباحثة من الوصول إلى مدن وأماكن أخرى في بلاد العرب تحمل ذات المعنى دلّت عليها معاجم اللغة، وهذا الأمر جذب أدوات البحث العلمي إلى فرضية تسوق نحو احتمال أن مملكة داود وسليمان (الملكين) المذكوران في توراة السبي البابلي ليست مدينة القدس في فلسطين وأنها قابلة لاحتمال أن تكون في واحد من تلك الأماكن .

المسألة الأولى: القدس لغة.

القدس لغة: مصدرها: ق. د. س، بضمّتين وتسكين الدال وهي الطهر والأرض المقدسة : المطهرة، وبيت المقدس⁽¹⁾ وبسكون الدال وضمها: هي اسم ومصدر، ومنه قيل للجنة حظيرة القدس، وقدس بالضم والسكون جبل عظيم في أرض نجد، واسم لجبلان عظيمان في بلاد الحجاز هما قدس الأبيض وقدس الأسود وقدس بالفتحة بالشام قرب حمص⁽²⁾ ، وقدس: التقديس تنزيه الله تعالى وهو المتقدس القدوس المقدس وقدس بضم القاف وسكون الدال جبل معروف والقادس: السفينة والبيت الحرام وبلدة بخراسان والقادسية من بلاد العرب دعا لها إبراهيم عليه السلام بالقدس وأن تكون محل الحاجّ بلدة بين الكوفة وعذيب وقدس: أثير، وقدس الأرض المقدسة والمقدّس: المبارك والأرض المقدسة هي المطهرة وهي دمشق وفلسطين وبعض الأردن⁽³⁾ .

(1) انظر: المصباح المنير، باب القاف، ص238.

(2) انظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، القاف والدال، ص1068.

(3) انظر: لسان العرب، باب القاف، ص3549-3551.

والتقديس التطهير وبيت المقدس يشدد ويخفف والنسبة إليه مقدسي⁽¹⁾ ، والأرض المقدسة : المطهرة وصارت الأرض المقدسة صفة ومسمى لبيت المقدس⁽²⁾ ، ونُعِتَ بالمقدس بمعنى التنزيه والطهارة والقول في معنى "تقدس لك" أي نطهر أنفسنا لك ونقدس من أطاعك ونطهره، وهو ما جاء في نعت السطل بالقدس لأنه مصدر الطهارة وبالتالي كان وصف بيت المقدس بمعنى البيت المطهر ومصدر الطهر فبه يُنطهر من الذنوب. وزاد قتادة فقال "أنَّ المراد بأرض المقدس أي المبارك والأرض المقدسة هي الأرض المباركة المنزهة وهي فلسطين وبيت المقدس⁽³⁾."

- المسألة الثانية: من معاني القدس في الاصطلاح.

بيت المقدس مضاف ومضاف إليه ومعناه الأرض المعصومة من النجاسة المطهرة المباركة جاء ذكرها بتلك الصفة مرة واحدة في القرآن الكريم¹ واختلف العلماء في تعيين هذه الأرض المقدسة على النحو الآتي: قال مجاهد: هي الطور وما حوله، وقال الضحاك: هي إيليا وبيت المقدس، وقال عكرمة والسدي: هي أريحاء، وقال الكلبي هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقال قتادة هي الشام كلها⁽⁴⁾ ، وأمَّا ابن جرير فكان عنده الصواب: هو الأرض المقدسة التي تقع بين الفرات والعريش وذلك لما أجمع عليه أهل التأويل والسير والعلماء⁽⁵⁾ ، ووصفها صاحب المصباح المنير بالأرض المطهرة، من الطهر⁽⁶⁾ ، أما التهانوي فاعتبرها قبلة الأمم السابقة⁽⁷⁾ بينما اتفقت الموسوعة اليهودية في وجودها منذ القدم مع المصادر العربية اختلفت معها في المفهوم العقدي بعد وصفها بالبيت الذي جعله الله له ليقوم

(1) انظر: معجم مختار الصحاح، باب القاف، ص219.

(2) انظر: معجم المصباح المنير، كتاب القاف، ص188.

(3) انظر: معجم البلدان، كتاب الميم، ص166-172، م5.

(4) البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار طيبة للنشر، الرياض، ط1، ج3، ص35، 1409هـ-

1989

(5) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقران الكريم، المجلد الرابع، ص105، دار المعارف، القاهرة، 1986-

1047هـ

(6) معجم المصباح المنير

(7) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون

فيه - تعالى الله علواً كبيراً- وأوردت أنّ أسماءها اختلفت وفق الحضارات التي مرّت بها، فسّمّاها سام بن نوح يروشاليم والعهد القديم بنسخته السبعينية سمّاها يروشاليم والأشوريين شالم واليونانيين جيروسالم والرومان إيليا كابتولينا وفي عهد المسيح كان يطلق عليها أورسالم والعرب سمّوها القدس والقدس الشريف والحرم⁽¹⁾ وفي حقيقة تسمية سام بن نوح لها بيروشاليم كما ادعت الموسوعة اليهودية تزعم الباحثة أنّ أول مصادر تلك الموسوعة هو العهد القديم الذي نقل الكثير من تاريخ الكنعانيين سكان فلسطين الأوائل ودسّها في قصص العهد القديم مدّعياً نسبتها إليه، فيما تواترت المصادر التاريخية بالإجماع على تسميتها بمدينة سالم وأور سالم الاسم العربي الكنعاني الأول وهو ما نصت عليه رسائل تل العمارنة بوضوح لا لبس فيه⁽²⁾، وقد تضمنتها أدبيات الكتاب المقدس بعهديه بوصفها الموضوع الذي ذُبح فيه إسحاق كما طلب الرب من إبراهيم وهي الهدف الذي انطلق إليه موسى بعد قرون باعتبارها ميراث بني إسرائيل وهي التي احتلها داود بعد غزوها لتصبح عاصمة ملكه⁽³⁾، وهذا القول يقودنا الى أن تلك الأرض لم تكن فارغة كما تدّعي الأبحاث والدراسات التي يقوم منهاجها على التوراة بل وسكنتها القبائل العربية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية منذ فجر التاريخ وهم الكنعانيون والقبائل التي تفرعت عنهم كاليوسيين وقد صارت أرضاً لهم و مستقراً بل ودار حضارتهم قبل ظهور بني إسرائيل وهو ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية التي أظهرت الموروث الثقافي والإنساني لهم والتي أضحت هدفاً للطمس الممنهج من قبل السلطات الصهيونية وإخفاء أي معلم أثري كنعاني⁽⁴⁾.

(1) الموسوعة اليهودية

2: انظر: راشد، سيد فرج، القدس عربية إسلامية، ص28، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1986م-1406هـ.

(3) انظر: موقع تعليمي للتأهيل لخدمة شعب إسرائيل وتنفيذ وصايا العهد القديم من خلال الوصول الى التعليم

بالانجيل-https://firmisrael-org.translate.google/learn/signijerusalem-in-the-bible/?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=sc

(4) انظر: وايتلام، كيث، اختلاق إسرائيل القديمة، ص5-6، ترجمة: سحر هنيدي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999م.

المطلب الثاني: موقعها الجغرافي ومكانتها التاريخية عبر العصور.

القدس مدينة أكسبها موقعها الجغرافي بُعداً روحياً وتاريخياً كونها تشكل نقطة التقاء بين قارات العالم والرئة التي تتنفس منها فلسطين، وهذا بدوره انعكس على العديد من الحضارات التي رأت أن الإستثمار بها يعتبر عاملاً داعماً وحيوياً تجارياً وسياسياً واقتصادياً لها.

المسألة الأولى: الموقع الجغرافي.

تقع المدينة المقدسة فلكياً على خط طول 35 و 13 شرقاً و خط عرض 31 و 52 شمالاً⁽¹⁾، فوق مرتفعات من التلال، في وسط إقليم المرتفعات في القلب من فلسطين، بمسافة تبعد عن البحر الميت 18 ميلاً في شرقه، وبمسافة 32 ميلاً غرب البحر الأبيض المتوسط على ارتفاع 3800 قدماً عن البحر الميت، و2500 قدماً عن المتوسط⁽²⁾، تميزت بموقع يفرد بالبعد الروحي والتاريخي، لأنها تُعتبر نقطة التقاء لقارات العالم، ورئة فلسطين، بحكم موقعها الذي يسيطر على المرتفعات والجبال الممتدة من الشمال، التي تشكل امتداداً طبيعياً للسلسلة الجبلية الشمالية نحو جبال الخليل الجنوبية، لتشكل مع جبالها في الوسط حلقة الاتصال بين السهول الساحلية غرباً والأغوار شرقاً وبين المدن في شمالها وجنوبها⁽³⁾. وبينما تناقل المؤرخون والجغرافيون أسماء التلال بطرق متعددة ومن مصادر مختلفة كانت تلة موريا التي تعني المختار، ونسبتها إلى الأموريين وليس لأي اشتقاق لاتيني⁽⁴⁾ وهي التي تتشرف بالمسجد الأقصى فوقها هي التلة الأهم بين أسماء التلال التي أنشئت المدينة عليها، مرّ بها العديد من الرحالة والجغرافيين مسلمون وغيرهم، فأجمعوا على وصف سماتها الطبوغرافية بأنها

(1) انظر: الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، ص763، ج4، القاف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994م.

(2) انظر: العارف، عارف، تاريخ القدس، ص 186، دار المعارف، بمصر، 1951م.

(3) انظر: موقع جامعة القدس المفتوحة، الموقع والموضع التضاريس.

<https://dspace.qou.edu/contents/0104/unit1/index.html#collapse2-main>

(4) انظر: الفرا، عبد الناصر، الجذور التاريخية لمدينة القدس، ص196، خان يونس.

مدينة تريض على جبال، مأوها من العيون التي تنتشر فيها كما وصفها الأصبخري في كتابه⁽¹⁾، وقال عنها ابن سباهي في كتابه: "أرض جبلية خصبة"⁽²⁾، ووصفها الرحالة الجغرافي الأشهر ابن حوقل في كتابه (صورة الأرض) في القرن الهجري الرابع والنصف الأول من القرن الميلادي العاشر بقوله: "هي مدينة يُصعد إليها فهي تتربع فوق الجبال"⁽³⁾، بينما أشار الإدريسي من علماء القرن السادس الهجري إلى طبيعتها الجغرافية والطبوغرافية التي تحتل مساحة طويلة بين المغرب والمشرق، واصفاً إياها بالعراقة الأثرية والتاريخية⁽⁴⁾، وفي طبيعة جغرافيتها أيضاً وصفها ياقوت الحموي في الربع الأول من القرن الهجري السابع والربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي فقال: "إنَّ مشاهداته للقدس بينت أنَّ المدينة وأرضها وبما حولها من قرى وضياع عبارة عن جبال شامخة، ولا يستدل على أرض منخفضة فيها بتاتا، والمدينة نفسها تعلو فوق جبال في فضاء واسع، وأرضها كلها حجر من نفس جبالها"⁽⁵⁾، وما يميز هذه المدينة أنها تشكل موقعاً استراتيجياً متميزاً، إذ إنها تعتبر بوابة الشام للداخل إليها من مصر والطريق نحو مصر للقادم من الشام⁽⁶⁾.

ترامت أطراف المدينة المقدسة بين تلك التلال لتشكل هضبة متعرجة، أخذت القدس بسببها موقعاً إستراتيجياً دفاعياً محكم الإغلاق أمام أي هجوم خارجي، ومنفتحة في حال السلم، لأجل عملية

(1) انظر: الأصبخري، إبراهيم بن محمد الفارسي، أبي إسحاق المعروف بالكرخي، مسالك الممالك، ص56-57، مطبعة بريل ليدن 1937.

(2) انظر: اليرسوي، محمد بن علي، الشهير بإبن سباهي زادة، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، ص 234-235، ط1، دار الغرب الإسلامي 1427هـ-2006م.

(3) انظر: النصيبي، أبي القاسم ابن حوقل، صورة الأرض، ص157-158، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1992م.

(4) انظر: الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني، المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، ص358 م1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1422هـ-2002م.

(5) انظر: الحموي الرومي البغدادي، ياقوت بن عبد الله شهاب الدين، أبو عبدالله، معجم البلدان، ص168، م5، دار صادر للنشر، 1397هـ-1977م.

(6) انظر: سويد، ياسين، حروب القدس في التاريخ العربي والإسلامي، ص12، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت 1997م.

الإتصال بمن حولها من مدن مجاورة أو بلاد خارجية، لتشكل في موقعها هذا نقطة الإلتقاء المركزية والمرجعية الدينية والوطنية التي تربط فلسطين بالعالم الخارجي إضافة لما تتميز به من أهمية على الصعد كافة: دينية، وتجارية، وسياسة، وعسكرية، وأما التلال التي تتربع فوقها القدس فهي: مرتفع موريا الشمالي الذي يضم الحرم القدسي الشريف، ومرتفع الضهور أو أوفل ويرتفع عن سطح البحر 680 متراً، و يحتل ما مساحته 55 دونماً بين الشمال والجنوب، وبين الشرق والغرب طولاً وعرضاً، واليوم هو المنطقة التي تمتد من سفح جبل الطور، ليشمل حي رأس العامود، ومنطقة كنيسة الجثمانية، وصولاً الى المنطقة التي ينتهي عندها باب المغاربة احد أبواب الحرم القدسي الشريف، المطل على بلدة سلوان نحو الجنوب من المسجد الأقصى المبارك شمال غرب المدينة الحالية⁽¹⁾، وقد عُرف مرتفع أوفل أو الضهور بعدة أسماء منها : حصن يبوس، فقد شيدّ اليبوسيون في أعلى قمة فيه حصناً عُرف بحصن يبوس أحاطه اليبوسيين بسور منيع⁽²⁾ وعُرف بحصن صهيون والأكمة وجبل صهيون، في أسفل هذا المرتفع تقع عين القصار أو أم الدرج، وهي العين التي شيدها اليبوسيون عبر نفق صخري، بغية الوصول إليها مصدراً لمياه للقدس عام 2000 ق.م⁽³⁾

والمرتفع الجنوبي الغربي، وهو المرتفع الذي يقابل المرتفع الشرقي وتشغل مساحته الحيز ما بين وادي تيروبيون ووادي هنوم جنوباً⁽⁴⁾، وأما الوديان التي تحيط بها من ثلاث جهات، وكانت تشكل لها خطأ دفاعياً أولاً ضد الغزاة فهي: وادي قدرون، ويقع شرق المدينة، ويسميه العرب وادي سلوان، ووادي ستي مريم، ووادي النار، ووادي جهنم، وسمي في القرن الرابع الميلادي بوادي يهوشافط، والثاني وادي تيروبيون أو الوادي، ويقع في شمال غرب المدينة، أطلق عليه المؤرخ يوسيفوس اليهودي المتوفي سنة 100م هذا الاسم، ومعناه صانعو الجبن⁽⁵⁾، والثالث وادي هنوم، ويقع الى الجنوب والجنوب الغربي من المدينة، ويسمى وادي الرابطة، وبذلك تكون جهاتها الثلاث: الشرقية والغربية والجنوبية محمية

(1) انظر: الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، ج9، قسم 2، ص13، 1964.

(2) انظر: سويد، ياسين، حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي، ص13، مصدر سابق.

(3) انظر: الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، ج9، ص13، المصدر السابق.

(4) انظر: الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، ج9، قسم 2، ص13، نفس المصدر.

(5) انظر: نفس المصدر.

بخطوط دفاعية طبيعية، تتمثل في الوديان الثلاثة لتجعل من أمر اقتحامها عسيراً، في حين بقيت الجهة الشمالية ذات طوبوغرافية طبيعية ساعدت الغزاة عبر التاريخ للوصول إلى القدس⁽¹⁾، فيما تمددت المدينة فوق أكثر من جبل وربوة، منها جبل الزيتون، وجبل المشارف، والقطمون، والمكبر⁽²⁾، لتتوسع طوبوغرافيا المدينة خارج البلدة القديمة التي توجد داخل السور في الاتجاهات كافة من حولها، وصولاً إلى شعفاط، وبيت حنينا، وسلوان، وعين كارم، والحي فوق جبل المشارف، وحي القطمون، وحي جبل المكبر⁽³⁾، لتكوّن الشريط الفاصل بين الأراضي الجافة شرقاً والرطوبة الغنية بالمياه غرباً⁽⁴⁾.

بينما امتدت حدودها اليوم وبعد احتلال 1967م إلى العديد من المستوطنات التي تحيط بها بشكل دائري أدخلتها ما يسمى بلدية الاحتلال ضمن حدودها، ليتضاعف حجم مساحتها، وأما وديانها التي تسيّجها من ثلاث جهات فقد شكلت لها حزاماً أمنياً أمام الغزاة والطامعين عبر العصور⁽⁵⁾.

المسألة الثانية : (الجزور) الثوابت التاريخية لعروبة القدس عبر العصور: تأصيل

تاريخي.

أولاً : أرض كنعان وجوهرتها مدينة ييوس : أجمع المؤرخون على أن القدس أو مدينة ييوس العربية الكنعانية التي بناها اليبوسيين منذ الألف الرابع 4000 قبل الميلاد قد قدّر علماء الآثار عمرها بأكثر من ستة آلاف عام، والقول بأن أول المؤسسين للقدس هو سام بن نوح عليه السلام، وأنه الملك الذي يدعى مليكي صادق⁽⁶⁾ ، فيه اختلاف بين، ففي موسوعة الدباغ " بلادنا فلسطين " ذكر الدباغ أنّ

(1) انظر : الماجدي، خزعل، تاريخ القدس القديم منذ عصور ما قبل التاريخ إلى الإحتلال الروماني، ص284-286، ط2، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 1438 هـ -2017 م.

(2) انظر : العارف، عارف، تاريخ القدس، ص186-187، مصدر سابق.

(3) انظر : الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ص763، ج4، مصدر سابق.

(4) انظر : الموسوعة العربية، حرف القاف، مجلد15، ص، 251.

(5) انظر : الماجدي، خزعل، نفس المصدر، ص، 284 -286.

(6) انظر : الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين، الأوس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص8، ج1، المطبعة الحيدرية، النجف، 1388هـ-1968م.

مليكي صادق أحد أول الملوك الكنعانيين، وهو أول من سنَّ عبادة التوحيد في بلاده، وما ذكر عن أنه هو سام بن نوح ليس صحيحاً وهو قول اليهود وزعمهم، بل هو سابق على الخليل إبراهيم عليه السلام بنشر التوحيد، لذلك فله فضل نشر عبادة التوحيد قبل إبراهيم وجميع من تسلسل من الأنبياء من عقبه⁽¹⁾، وهو ما اتفق بشأنه العديد من المؤرخين، فالقدس هي الأرض المباركة التي قدَّسها الله وباركها قبل هجرة إبراهيم عليه السلام إليها بنحو واحد وعشرين قرناً، بناءً على تاريخ هجرته إليها، وهو القرن التاسع عشر قبل الميلاد، فقد بناها العرب اليوسيون، وهم من بطون القبائل العربية الأولى التي نزحت من الجزيرة العربية إلى أرض كنعان أرض الفلسطينيين، وهم فرع آخر من نسل الكنعانيين العرب، وسُمِّيت فلسطين أرض كنعان نسبة إليهم، وكان هذا في الألف الرابع قبل الميلاد الأمر الذي يكشف عن عروبتها منذ فجر التاريخ، وإذا ما أضفنا ألفين من الأعوام بعد الميلاد فإن هذا سينبتك بحقيقة عمرها السحيق في التاريخ، فهي قبل بعثة إبراهيم عليه السلام، التي كانت في القرن 1900 ق. م، وأما ملكها ومؤسسها الحقيقي فهو ملك صادق اليوسي، وهو من سكان فلسطين الأصليين، وليس سام بن نوح كما زعم صاحب الأنس الجليل، وهو في زعمه هذا يوافق أحبار يهود المخالفين لفكرة أنَّ أورشليم ذكرت للمرة الأولى إبان بعثة إبراهيم في القرن التاسع عشر ق. م، وفق ما أورده النص التوراتي في الإصحاح العاشر عن أنَّ أدون صادق ملك اورشليم هو من كان يحارب يشوع عند احتلاله لأورشليم، فهزمه يشوع بمساعدة الرب وقضى عليه (10/1-27)، وبينما الإسم الكنعاني لمدينة القدس هو أورشاليم أي مدينة السلام نسبةً إلى سالم اليوسي أو شالم أو شاليم وهو الإسم الذي ورد في رسائل تل العمارنة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، عُرفت أيضاً بإسم (بابيئي) اللفظ الهيروغليفي لكلمة (بيوس) نسبة إلى سكانها اليوسيين، وكان ذلك قبل بعثة موسى عليه السلام بقرون، وقبل تدوين الحاخامات للتوراة بعد سبعمائة إلى ألف عام من بعثة موسى عليه السلام، وعليه فإن الإسم (أورشليم) هو كنعاني الأصل من اللغة الآرامية التي تحدث بها الكنعانيون، وهي من فروع اللغة العربية الأم، واستمراراً لحالة التزييف التاريخي فقد جعل منها الصهاينة والمسيحيين الصهاينة كلمة عبرية، على الرغم من أن ظهور اللهجة العبرية المستوحاة من اللغة الآرامية أساساً كان بعد أن ظهرت الديانة اليهودية بعد ظهور موسى بألف عام، وقد شكَّلَ إسمها الكنعاني الأول هذا وهو

(1) انظر: الدباغ، مصطفى بلادنا فلسطين، ص13، المصدر السابق.

(أورسالم)⁽¹⁾ الأصل لجميع أسمائها فيما بعد في مختلف الحضارات الأخرى، فالأكاديون سمّوها (أورسالم) وسمّيت في عهد اليونان هيروسليما، والغرب أطلق عليها اسم (جيروسالم) واليهود حرفت الاسم الكنعاني الأرامي اللغة إلى (يروشاليم)، والقدس التي بارك الله فيها وحولها قد وجدت قبل الشرائع السماوية الثلاث: اليهودية، والنصرانية، والدين الإسلامي، وبذا وجودها واضح قبل موسى وشريعته، وقبل عيسى وشريعته، وحتى قبل إبراهيم ولوط عليهما السلام، وهي الأرض التي نجاهما الله إليها كما في قول الله تعالى: ﴿وَجَبِينَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾ ، والقدس الشريف في الدين والتاريخ الإنساني الحضاري هي المدينة الأسبق على العديد من المدن التي أوردتها علماء التاريخ منطلقاً للمدنية الأولى، وهي قبل أثينا وروما، والمهد الأول لمظاهر الحضارة الإنسانية المتمدنة، وهذا يرشدنا إلى دحض مقولة عبرنة القدس أو يهوديتها كما تدّعي الصهيونية بمساندة المسيحية الصهيونية الغربية⁽³⁾ ، فالقدس عبر جذورها الضاربة في التاريخ لم يسكنها اليهود سوى فترة محدودة بعد حروب شتى مع أهلها العرب، وأشهرهم اليبوسيون فالوجود اليهودي في القدس عرَضِيَّ عليها وعلى سكانها اليبوسيين الذين امتدت أرومة جذورهم في عمق الأرض قبل ما سمي بغزو العبرانيين بقيادة شأول ثم داود ثم سليمان، حتى العصر البابلي، لتتقسم مملكتهم وتنتهي بعد حادثة السبي والنفي إلى بابل بقيادة نبوخذ نصر 597 ق.م.⁽⁴⁾

وأمام جدلية عروبة القدس التي يفرضها الفكر الجمعي للمسيحية الصهيونية واليهودية الصهيونية العلمانية لا بد من قراءة سريعة للفكر الجمعي الصهيوني اليهودي الذي يعتبر القدس بمثابة المركز الديني مما يؤشر ووفق العقائد والرؤى التوراتية التي شكلت عاملاً تعزيزياً ودافعاً قوياً الى تمحور هذا الفكر حول أهمية (اورشاليم) باعتبارها عاصمة دينية لدولة اليهود خاصة بعد أن رأى هؤلاء مقدار

(1) انظر: سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ص391 ، ط2، العربي للإعلان والطباعة والنشر، دمشق، 1973م.

(2) سورة الانبياء، الآية 71.

(3) انظر: عمارة، محمد، القدس الشريف في الدين والتاريخ والأساطير، ص5-7، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة

(4) انظر: زبيدة، محمد عطا، عروبة القدس من واقع وثائق الأوقاف المقدسية، ص4، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

عظمة مكانة القدس لدى المسلمين إبان الحروب الصليبية التي اشتعلت في العصور الوسطى دفاعاً عن القدس، لتجعل منها الشرعية الدينية والتاريخية في الفكر الجمعي اليهودي الذي استطاعت الصهيونية استغلاله لاغتصاب القدس وفلسطين متجاهلة ظهور اليهود الحقيقي على المسرح التاريخي بعد خروج موسى وقومه من بني إسرائيل من مصر بمراحل زمنية، مستثمرة في هذا الأمر التداخل الناشئ لدى الأغلبية بين توراة موسى المُنزَّلة معه وبين العهد القديم بأسفاره الخمسة الذي دُوّن بعد موت موسى بقرون عديدة، ثم أعلنتها عاصمة لدولة الكيان الذي اغتصب فلسطين عام 1948م فقطع أوصالها وشرّد شعبها تحت بنود وقرارات القانون الدولي، بينما قامت إسرائيل أساساً مشروعاً دينياً عقائدياً غربياً استيطانياً وقاعدة استعمارية للدفاع عن مصالح الغرب في المشرق العربي في مقابل دفاع الغرب عن أسباب أمنها بهدف استمرار وجودها، وهو ما أدلى به الرئيس الأمريكي بايدن وبشكلٍ سافر خلال اجتماعه مع رئيس دولة الكيان المنتهية ولايته رؤفين ريفلن في البيت الأبيض بتاريخ 2021/6/28 فقال : "لو لم تكن إسرائيل موجودة لكان علينا اختراعها"، الأمر الذي يوضح مدى أهمية خلق كيان استيطاني غربي دائم في محيط عربي إسلامي، يشكّل الذراع الضاربة للحفاظ على المكتسبات الاستعمارية في عين الهدف، وهو المشرق العربي بثرواته وديانته الإسلامية ولغته العربية وقيمه وموروثاته العربية العريقة، وقد حظيت القدس أو أورسالم باهتمام بالغ ومثير على مرّ الأزمان من بين مدن العالم أجمع، نظراً لما تتمتع به من مكانة دينية وتاريخية ومنذ نشأتها، كانت ولا زالت فلسطين والقدس محطّ أنظار الرخّالة المؤرخين والمكتشفين والآثاربيين منذ أوائل القرن الثامن عشر، فالتاسع عشر، والعشرين، وحتى أوائل القرن الواحد والعشرين للوقوف على ما استحوذت عليه المدينة من معالم أثرية دينية وتاريخية عبر عصورها عكست حضارات الأمم التي قامت بغزوها والاستيلاء عليها، ثم مرّت عنها لتبقى القدس شامخة بعروبيتها، إلى جانب ما تمتعت به تلك البقعة من العالم من أحداث شكّلت صراعا عقديا وقومياً اتسمت غالبية مراحلها بالعنف والدموية بين الأطراف المتنازعة، الذي شكّل فيها دائماً الغزاة المحتلون مع أهل البلاد الأصليين حَجَرِيّ الرحي في معركة النزاع على القدس وفلسطين قبل الميلاد وبعد الميلاد، فسكانها الأصليون الذين أثبتوا بصمودهم امتدادهم البيولوجي للقبائل العربية الكنعانية وأشهرها اليبوسيون حافظوا على عروبة القدس رغم تعدد الأمم الغازية لها، ليس فقط قديماً بل حديثاً أيضاً، والحملات الصليبية من القرون الوسطى تشهد على

هذا، فالمذابح الصليبية في القدس لا زالت تذكرها بطون الكتب على أنها أعظم مذبحه خلّت بشعب دُبح فيها حوالي سبعين ألفاً من السكان المسلمين العرب في 16/تموز/1099م-492هـ⁽¹⁾، لتؤسس فيها مملكة بيت المقدس اللاتينية الصليبية التي أطاح بها صلاح الدين الأيوبي معلناً تحرير بيت المقدس من يد الغزاة الصليبيين بعد معركة حطين عام 583هـ-1187م، ولأنّ القدس مدينة تسعى إليها كل قوة سائدة فقد سيطر عليها المماليك عام 658هـ-1260م بعد معركة عين جالوت⁽²⁾، وبعد انتهاء حكم المماليك 1517م صارت القدس إلى الحكم العثماني تحت راية الخلافة أربعة قرون حتى عام 1917م بُعيدَ الحرب العالمية الأولى عندما اجتاحت القوات البريطانية فلسطين 1917م حتى عام 1947م إلى حين تسليمها للمغتصبين الصهاينة 1947م⁽³⁾.

كان أشهر من وصف القدس من المؤرخين الغربيين القدماء هيردوت من القرن الرابع⁽⁴⁾ ق. م بوصفها مدينة كادتس وإن دَوّنَ في تاريخه المترجم أنها غزة، إلا أنّ أغلب المؤرخين اتفقوا على أنّها القدس وليست غزة، ومن المحدثين وول ديورانت 1885-1981 في تاريخه " قصة الحضارة " الذي قال إنّ القدس في القرن السادس قبل الميلاد كانت مدينة أهلة بالسكان يزيد عدد سكانها عن مائة ألف، يتكلمون الآرامية 6 ق.م، وكانت ملتقى الطرق التجارية في غرب آسيا، سمّاها ديورانت ببيت المقدس وأورشليم نسبة إلى أصلها الكنعاني اليبوسي والإسلامي، بينما استقى ديورانت معلوماته التاريخية عن القدس من روايات العهد القديم وأسفاره⁽⁵⁾.

(1) انظر: زكار، سهيل، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ص1195، ج3، دمشق، 1416هـ-1995م.

(2) انظر: السيد علي، علي، القدس في العصر المملوكي، ص10+ ص33، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1986م.

(3) انظر: قضية فلسطين موقع الأمم المتحدة <https://www.un.org/unispal/ar/>

(4) انظر: هيردوت، تاريخ هيرودوت، ص219، ترجمة عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2001م.

(5) انظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، ص171، ج3، م3، بيروت، تونس.

ثانياً : الأبحاث الأثرية ونتائج الأركيولوجيا الحديثة أثبتت عروبة القدس وفلسطين منذ الألف الرابع قبل الميلاد حتى الفتح الإسلامي العمري.

شكّلت الاكتشافات الأثرية الحديثة بموازاة نتائج العلم الذي يختص بدراسة البقايا المادية للإنسان منذ بداية صنع الإنسان لأدواته (الأركيولوجيا) ثورة في علم الآثار الباحث ومنذ أوائل القرن التاسع عشر عن فكرة تجسيد النصوص التوراتية خلال العصور الغابرة فوق أرض فلسطين، فلم تشكل الاكتشافات الأثرية الحديثة بروايات العهد القديم عن يهودية القدس، وأنها مدينة داود والمدينة المركزية لما يدعونه شعب إسرائيل فحسب، بل دحضت معظم التاريخ التوراتي القائم على مجموع القصص التوراتية عن رحلة الآباء، ورحلة الخروج من مصر، وغزو كنعان، وحكم داود وسليمان في القدس، التي جعلت منه التوراة امبراطورية ممتدة، لأسباب أهمها: عدم العثور في المكتشفات الأثرية على أي أثر تاريخي يُدلل على الأقل على وجود مملكة داود وسليمان، أو على أي أثر يُدلل على وجود الهيكل مكان قبة الصخرة، فالقدس وهي واحدة من أقدم مدن التاريخ الإنساني سكنها أجناس مختلفة من البشر، وما يحفظه التاريخ عنها أنها بقيت عربية كنعانية، فجميع من دخلها من الأمم الغازية كانوا مجرد عابرين، وإن اختلطوا بسكانها الأصليين من العرب، وعليه فإنّ أحدث ما ورد في الأبحاث النظرية المعاصرة من اتجاهات لمؤرخين معاصرين في هذا المجال ذلك النهج الذي يعتمد على التنقيبات الأثرية والعلم البحثي الأركيولوجي في اكتشاف المدن والممالك، والمتتبع لنتائج الأبحاث الأركيولوجية المعاصرة يجد العديد من المؤرخين من أخذ بتلك النظرية بعد الاستدلال بنتائج الأركيولوجيا الحديثة، وبخاصة في الفترة الزمنية من نهايات القرن العشرين إلى أوائل هذا القرن، التي جاءت نتائج أبحاثها الأثرية وبشكل حاسم تنفي وجود أي أثر لمملكة داود وسليمان في القدس، بل وتنفي رحلة إبراهيم عليه السلام التي ابتدأت من العراق مروراً بفلسطين، ومن هؤلاء المؤرخين: فاضل الربيعي، عفيف بهنسي، وأحمد سوسة، على سبيل الحصر لا الكل، فالعديد من الباحثين الآخرين الذين ساقوا براهينهم العلمية من نتائج الأركيولوجيا الحديثة بما اتفق أيضاً مع علماء آثار غربيين ويهود أبرزهم فنلكنشتاين وسليبرمان⁽¹⁾ وغيرهم، توصلوا ومنذ أواخر القرن العشرين إلى ما أفادت به أبحاثهم النظرية والأثرية بعدم وجود أي

(1) Israel Finkelstein & Neil Silebrman, The Bibel Unearthed, "التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار، ص12-15، ترجمة سعد رستم، صفحات للدراسات والنشر، سورية دمشق.

أثر للهيكل المزعوم مكان الحرم القدسي الشريف، على الرغم ما أوردته التوراة من أسماء لأماكن تمّ ربطها جغرافيا بالقدس وبمنطقة الحرم، فالاستدلال بأسماء المدن والأماكن التي وردت في نصوص التوراة كانت هي القاعدة التي انطلق منها التنقيب الأثري الإسرائيلي والغربي في فلسطين، للعودة بتلك الأسماء إلى أصلها ومصدرها الجغرافي وفق الرؤى التوراتية والنظريات التي تبناها الآثريون في حينه، فيما تصدّى العديد من المؤرخين وممن يتبعون نتائج الأركيولوجيا الحديثة دحض لتلك النظرية، نظرية ربط الأسماء والأماكن التوراتية بفلسطين للاستدلال على جذور تاريخية لليهود فيها وبخاصة القدس بعد نتائج التنقيبات الأثرية التي أثبتت بشكل حاسم عدم وجود أي أثر لمعلم يهودي في القدس أو أسفل الحرم القدسي، كما يعتقد رواد التنقيب الأثري الصهيوني بزعامة أمريكيين وبريطانيين وإسرائيليين منذ أواخر القرن العشرين وبدايات هذا القرن، فلم تستكف النشاطات الأثرية للجامعة العبرية منذ عام 1925 عن التنقيب في القدس⁽¹⁾، وبينما توسعت دائرة الكشف عن ما تحويه النصوص التوراتية عن حقيقة الأسماء الواردة فيها في محاولة لإثبات نظريات انتسابها الجغرافي لجزيرة العرب، وأن قومها أي اليهود لا علاقة لهم بفلسطين أصلاً، كان على رأس ذلك النهج المؤرخ كمال صليبي الذي استحثّ جهده للوصول إلى نتائج الأركيولوجيا البحثية من خلال ربط الأسماء التوراتية بسماط سطح الأرض وتضاريسها وعناصرها الطبيعية والبشرية فيما يطلق عليه طبوغرافية الجزيرة العربية وبخاصة منطقة عسير، فهو من أسس ذلك النهج في خط سير يعتمد على التنقيبات الأثرية في اكتشاف المدن والممالك في جنوب شبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص من خلال الاستدلال بأسماء المدن التي وردت في نصوص التوراة، ليربط تلك الأسماء بأسماء أصلها ومصدرها من الأماكن في جزيرة العرب، وبخاصة لعدم وجود أي دليل أثري قطعي لوجود مملكة داود وابنه سليمان عليهما السلام والهيكل المزعوم الذي تتبناه الرؤى التوراتية مكان قبة الصخرة المشرفة في المسجد الأقصى في القدس، بينما توصل الآثريون منذ أواخر القرن العشرين إلى ما أفادت به أبحاثهم النظرية والأثرية بعدم وجود أي أثر للهيكل المزعوم في القدس، جال في اعتقادهم نفي عقيدة الأرض الموعودة أو أرض الميعاد التي سادت بسبب توقع علماء الآثار والمؤرخين ضمن الرؤى التوراتية

(1) انظر: بهنسي، عفيف، تاريخ فلسطين من خلال علم الآثار، ص 69، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، 2009م.

أثناء عمليات التنقيب الأثري، بينما اعتبر هؤلاء مع مجموعة كبيرة من المؤرخين أنّ الأرض الموعودة وعاصمة داود وسليمان ليست مدينة القدس الحالية لاعتبارات عدة: أبرزها أنّ الأرض المقدسة تمتد على مساحة ما بين الفرات إلى عريش مصر، وأنّ رحلة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، فيما يسمى الخروج التي أوردتها العهد القديم في سفر الخروج والملوك والقضاة بدأت من شرق مصر نحو جنوب غرب الجزيرة العربية، وأنّ ما كشفت عنه الحفريات الإسرائيلية بعد عام 1967م حصراً في القدس وفلسطين أثبت قطعياً ان تلك البلاد كنعانية الجذور، ذات حضارة ممتدة منذ سبعة آلاف عام ق.م شكلت الأسس التي قامت عليها الحضارة العربية في فلسطين وبلاد الشام، وهذا برأي الباحثة يمثل حالة الفوضى الفكرية والشتات الذهني والتمحور حول روايات وأقاصيص العهد القديم التي كانت ولا زالت سبب للتزوير لتاريخ فلسطين القديم قبل بعثة إبراهيم ونزوحه من بابل إلى حاران ثم فلسطين نحو مصر، إضافة إلى ما كشفت عنه البحوث الأثرية بهذا الخصوص والتي أخذ بنتائجها العديد من المؤرخين المعاصرين عن عدم ربط ظهور اليهود واليهودية بإبراهيم عليه السلام، فقد سبق عصر إبراهيم عصر موسى بحوالي سبعمائة عام، وسبق عصر ظهور الديانة اليهودية بألف وخمسمائة عام ثم إنّ موسى ولد وعاش ومات خارج فلسطين بل لم يعرفها ولم يدخلها بتاتا⁽¹⁾، إضافة إلى ربط بني إسرائيل بموسى عليه السلام، فإسرائيل هو يعقوب عليه السلام وأولاده مسلمون وهم الأسباط الاثنا عشر، وتفصلهم حوالي سبعة قرون عن قوم موسى، لأن عهد إبراهيم هو عهد يعقوب، وذكره الآثاريون بعهد الآباء الجوالين، تمييزاً له عن عهد موسى في القرن الثالث عشر ق.م، وظهر ذلك جلياً من خلال الاكتشافات الأثرية للهجرات السامية، والمقارنة بين اللغات، فاليهودية كديانة ظهرت بعد بعثة موسى عليه السلام وهو الأرجح من الآراء في القرن 6 ق.م بعد أحداث السبي البابلي 597 ق.م، فقوم موسى من الإسرائيليين سلالة يهوذا وهم الذين كانوا معه في رحلة الخروج من مصر وذكرهم القرآن العظيم باسمهم وصفتهم الحقيقية وهم "الذين هادوا"، هذا غيص من فيض ممّا أسهمت به اكتشافات الأركيولوجيا الحديثة وما أخذ به العديد من المفكرين والباحثين المعاصرين، وعدا عن أنّ انتشار اليهود في كثير من البلاد في الشرق والغرب، أوجد البيئة الحاضنة للفرضيات التي تعددت حول مكان مملكة داود وسليمان والتي تناولها العديد من المؤرخين خاصة القدماء وبعض أهل التفسير، بل من المتبحرين منهم كان مصدر تأويلهم في هذا الجانب الروايات التوراتية وشروحاتها،

(1) انظر: عمارة، محمد، القدس الشريف في الدين والتاريخ والأساطير، ص7، مصدر سابق.

وما ورد من الإسرائيليات التي جعلتها أمهات الكتب مصدراً أساسياً لها⁽¹⁾، فلا وجود لأثر يُدلل على بقايا للهيكल المزعوم كما أورد العهد القديم مكان قبة الصخرة، والعهد القديم والتي سبق للباحثة التعريف به هو الأسفار الخمسة وملحقاتها، والتي دُوّنت في بابل بعد حادثة السبي البابلي باعتبارها تشكل الجزء الأول من الكتاب المقدس، والذي يتكون من العهد القديم وهي التوراة بأسفارها الخمسة، وملحقاتها، والعهد الجديد وهو الإنجيل، وليست تلك الألواح والتوراة الواردة في القرآن الكريم التي نزلت على كليم الله موسى، فالأبحاث الأثرية دلت إلى يومنا هذا على عروبة القدس منذ فجر التاريخ الإنساني، وقبل ظهور اليهود، وقوم موسى على سطح الأحداث التاريخية لفلسطين، فالقدس من أوائل الحواضر التاريخية التي ظهر بها التمدن وبناء مجتمع إنساني، بل من المؤرخين من قال بأن أول ظهور المدنية كان في مدينة القدس فيما يعزرون ذلك إلى كونها الأرض التي بارك الله فيها، وبسبب ذلك كان حاكمها الأول رجلاً موحداً يعرف حق الإله المعبود، وهو الكنعاني الفلسطيني ملكي صادق، الذي التقى سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد نزوحه نحو القدس في القرن التاسع عشر ق. م، فهجرت القبائل العربية الكنعانية من شبه الجزيرة العربية اتخذت مسارها نحو الشمال فيما استقرت في تلك المنطقة، التي أُطلق عليها فيما بعد (أرض كنعان) نسبة إلى تلك القبائل وكان ذلك في القرن الرابع ق. م، بينما قام البيبوسيون وهم فرع من قبائل كنعان ببناء مدينة القدس في القرن الرابع قبل الميلاد، وهو ما يؤكد وجودها قبل بعثة إبراهيم بواحد وعشرين قرناً من الزمان، بينما بعثة موسى عليه السلام كانت في القرن الثالث عشر ق.م، وهو شهادة على عروبة القدس قبل ظهور اليهود على المسرح التاريخي بنحو ثلاثة آلاف عام⁽²⁾ وبناءً عليه فقد صُنفت مدينة القدس تاريخياً كأقدم مدينة بين مدن الأرض تعود في نشأتها الأولى إلى 38 ألف سنة حسب علماء التاريخ، في حين قدر علماء الآثار عمرها بستة آلاف عام⁽³⁾، فقد بناها الكنعانيون وأعطوها اسمها أورسالن نسبة إلى سالم أو شالمن أو شاليم، فالاسم عربي كنعاني، وليس عبري كما توحي بذلك دولة الاحتلال، فعروبة الاسم تؤكد

(1) انظر: سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ص 232-234، ط2، مصدر سابق.

(2) انظر: عمارة، محمد، القدس الشريف في الدين والتاريخ والأساطير، ص 5-7، مصدر سابق.

(3) انظر: الفرا، عبد الناصر، الجذور التاريخية لمدينة القدس وكيفية الحفاظ عليها، ص 195، جامعة القدس المفتوحة، خان يونس.

التوراة ذاتها في جميع أسفارها التي تُعتبر المصدر الأعلى والمعتبر من وثائق التاريخ اليهودي، بل إنَّ القدس واسمها العربي الكنعاني أورسالْم وأورشالْم وشاليم وسالم وبيوس أو مدينة البيوسيين سابق على وجود اليهود في التاريخ وشريعتهم ولغتهم " العبرية "، وفي ذات السياق أشارت التوراة إلى الاسم قدس في سفري نحما (2/11) واشعيا (2/48)، بينما أشارت إليها باسم (أورشليم) في سفر حزقيال في الفقرة التي تضمنت الاعتراف بعروبة القدس الكنعانية : " وكانت كلمة الرب قائلة : يا ابن آدم عرّف أورشليم برجاساتها وقل هكذا قال السيد الرب لأورشليم: مخرجك ومولدك أرض كنعان أبوك أموري وأمك حثية، أما ميلادك يوم ولدت، فلم تُقطع سرتك، ولم تُغسلي بالماء للتنظيف ولم تملحي تمليحاً ولم تغمطي تغميطاً " (5-1/16)، إذن فمن البدهي أن تكون القدس مدينة عربية، نسبة إلى ساكنيها الأوائل حسب ما دلت عليه لغتهم، وحسب أسبقية وجودها في التاريخ قبل شريعة موسى عليه السلام، وقبل وجود بني إسرائيل، وقبل انبعاث مُسمى يهود أصلاً، الذي تراوح معناه بين الأزمنة المختلفة لعدم وجود استمرارية بين يهود العالم، وهنا تبرز فوضى المجال الزمني لمصطلح يهود الذي عبر عنه القرآن الكريم بعدة مصطلحات أخرى منها بني إسرائيل، واليهود، وهوداً، والذين هادوا، وأهل الكتاب، وهو بذلك نفى وجود ترابط زمني بين يهود العالم، لا سيّما أنَّ القرآن الكريم أوضح شكل التباين بين يهود المدينة المنورة والجزيرة العربية وبين بني إسرائيل، فالأولون عاشوا فترة البعثة النبوية والآخرين عاشوا في زمن موسى وعيسى عليهم السلام⁽¹⁾، ووفق تاريخ يوسفوس اليهودي من القرن الأول الميلادي 70 م الذي أسس لتاريخ اليهود من العهد القديم وفق الجغرافية التوراتية، أي من خلال أسماء المدن والأماكن التوراتية، في مسعى منه ومن مُدوني العهد القديم لإثبات يهودية فلسطين، أصل يوسفوس لهذا النهج حسب بداية ونهاية دولة الحشمونيين 142م-63م الوارد في التوراة ! والتي انتهج مُدونها نهج تثبيت أسماء أماكن ومدن إسرائيلية فوق أرض فلسطين، والأغرب من هذا اعتماد العديد من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين عليها مصدراً لتاريخ فلسطين أمراً مسلماً به⁽²⁾، إلا أنَّ يوسفوس هذا أقر من أن مؤسس القدس رجل كنعاني قوي موحد لله عاصر إبراهيم الخليل حسب ما أورده التوراة أيضاً عن نشأة مدينة القدس، وهو بهذا أقرَّ أيضاً بوجودها قبل القرن

(1) انظر: الققاري، ناصر بن عبد الله والعقل، ناصر بن عبد الكريم، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص18-20، ط1، دار الأصمعي للنشر والتوزيع، الرياض، 1413هـ - 1992م.

(2) انظر: بهنسي، عفيف، تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار، ص17، مصدر سابق.

التاسع عشر قبل الميلاد بقرون بعيدة، كما ذكر على أن القدس وإن افتقرت إلى التاريخ الدقيق لنشأتها، فإنه يبدو متطابقاً ووفق النتائج الأثرية للباحث الأثري الأب فاكس وغيره ممن توالى من علماء الآثار منذ بدايات القرن التاسع عشر على وجودها على هيئة مدينة خلال الفترة التاريخية 1800-1550 ق. م ضمن مدن عديدة في فلسطين محاطة بالمتاريس لحمايتها، مما يشير إلى أن مؤسسها هم الكنعانيون الأوائل⁽¹⁾، ومن الواضح أن أول من سكن القدس العرب اليبوسيين في القرن الرابع قبل الميلاد، وأطلقوا عليها أسماءها المختلفة، من أورسال، إلى مدينة السلام، فيبوس، لتصبح من أوائل المدن التي لا نظير لها في التاريخ، بسبب مباركتها الإلهية، وعليه فإنها قد سبقت ظهور اليهود والشريعة اليهودية التي جسدتها التوراة المنسوخة والمندثرة بعد بعثة موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر ق.م، لتدحض افتراء دولة إسرائيل حالياً، التي تدعي أن داود هو مؤسس القدس وبانيها في أوائل الألف الأول ق.م⁽²⁾

فيما جاء التأكيد من المؤرخ والبروفيسور أدوارد نافيل زميل المعهد الفرنسي وأستاذ المصريات في جامعة جنيف أن القدس التي ذكرتها رسائل تل العمارنة باسم (قادش) في الحروب التوسعية للفرعون سيتي الأول والد رعسيس الثاني، الذي قاد حملة دفاعية على حدود مملكته الجنوبية ضد قبائل الشاسو ليسيتر بعدها على الساحل الجنوبي لفلسطين ومدينة قادش⁽³⁾، وفيه دليل تاريخي صارخ على وجود القدس قبل بعثة موسى وقبل وجود اليهود وبني إسرائيل ومملكة داود، وفي هذا دحض لمزاعم يهود العالم الحديث والكيان الصهيوني، التي تقول أن داود هو من بنى القدس، بينما ذكرتها التوراة في سفر القضاة بإسم (يبوس) مدينة غريبة ومدينة اليبوسيين ومدينة لا يوجد بها أحد من الإسرائيليين (12-11/19) والتي دُونت أسفارها بعد ما لا يقل عن تسعمائة عام من موت موسى عليه السلام، حين أقدم عيزرا على تثبيتها باعتبارها دستوراً للشريعة اليهودية وإصدارها سنة 400-398 ق.م، لتصبح الأسفار أي التوراة الحالية دستوراً موثقاً يلتزم به يهود الدولة الإخمينية الفارسية السائدة

(1) انظر: كتن، هنري، القدس، ص 15-16، ط1، ترجمة: إبراهيم الراهب، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق 1997م.

(2) انظر: عمارة، محمد، القدس في الدين والتاريخ والأساطير، ص 6، مصدر سابق.

(3) انظر: Rchaeology of the old testament was the old testament written in hebrew , edouard

.naville , robert scott roxburgh , londo, digitized by the internet archive in 2008

(1) ، وهجرة الخليل عليه السلام إليها ثبتت عروبته، باعتبارها مدينة كانت قبل وجود الشرائع السماوية قال تعالى في سورة آل عمران: 67: " مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ حَنِيفًا مَسْلَمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"، فقد كانت دار غربة إبراهيم عليه السلام، وهي الأرض التي باركها الله فاستقبلت إبراهيم ولوط بعد أن نجاهما الله إليها، وهي المقصودة بقوله تعالى في سورة الأنبياء 71: { وَنَجَّيْنَاهُ وَوُطِّئَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ }، وهي المدينة الأسبق في التاريخ الحضاري والإنساني على العديد من المدن التي يعتبرها علماء التاريخ أمماً وأصلاً للمدنية الأولى، مثل أثينا وروما (2) فهما فعلاً عيال على القدس في قدمها وسحيق تاريخها في الحضارة والمدنية، وهذا يرشدنا إلى دحض مقولة عبرنة القدس أو يهوديتها كما تدعي الصهيونية بمساندة المسيحية الصهيونية الغربية، فالقدس عبر جذورها الضاربة في التاريخ لم يسكنها اليهود سوى فترة محدودة بعد حروب شتى مع أهلها العرب، وأشهرهم اليبوسيين، فالوجود اليهودي في القدس عنصر غريب على سكانها اليبوسيين الذين امتدت أصول ومحادث جذورهم في عمق الأرض قبل ما سمي بغزو العبرانيين بقيادة شاعول ثم داود ثم سليمان حتى العصر البابلي، لتتقسم مملكتهم، وتنتهي بعد حادثة السبي والنفي إلى بابل بقيادة نبوخذ نصر (3) .

فيما أكدت العديد من البحوث الأثرية المصرية المكتشفة حديثاً على عروبة أرض كنعان من خلال أقدم الحملات المصرية منذ عهد الفرعون بيبى الأول من ملوك الأسرة السادسة المصرية 2350 ق.م للدفاع عن الكنعانيين من مهاجمة مجموعات من البدو، وقد وجدت آثار تلك الحملة في منقوشة كتابية فوق ضريح قائد تلك الحملة، وتبعتها حملة الفرعون سنوسرت الأول 1971-1928 ق.م، على بلاد كنعان، التي اكتشف المنقبون فيها وثيقة لأحد كبار حاشية القصر الفرعوني في وصف بلاد كنعان، وأما تحوتمس الثالث 1503 - 1449 ق.م، فقد وصف فتحه للعديد من البلدات والقرى الكنعانية في فلسطين حتى ظهرت نصوص تلّ العمارنة من القرنين الرابع عشر والخامس عشر ق.م

(1) انظر: المدرس، علي سري محمود، العهد القديم دراسة نقدية، ص31، ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، 1427هـ - 2007م.

(2) انظر: عمارة، محمد، القدس في الدين والتاريخ والأساطير، ص5-7، مصدر سابق.

(3) انظر: محمد عطا، زبيدة، عروبة القدس من واقع وثائق الأوقاف الإسلامية، ص4، ط1، عين للبحوث والدراسات الإنسانية الهرم، 1427هـ - 2007م،

إلى سطح التنقيبات الأثرية، التي اكتشف فيها العديد من الوثائق بين الكنعانيين والفرعانيين المصريين بهدف طلب الحماية من السلطات المصرية لصدّ هجمات قبائل ما دُعيت بالعبيرو، أو الخبيرو عن بلادهم⁽¹⁾، فيما تمتعت القدس أو أورسال، أو أور سلام، أو ييوس، بهالة من القداسة الريانية قبل بعثة إبراهيم عليه السلام وقبل جميع الشرائع التي تواترت من عقبه من الأنبياء بقرون عديدة مما أضفى عليها نوع من الإستثنائية بين مدن العالم قديماً وحديثاً، جزمت نتائج الأركيولوجيا الحديثة وبتفاق علماء وأثريون غربيون، على رأسهم عالم الآثار واللغات الأمريكي أولبرايت المتخصص في علم آثار الكتاب المقدس، ومدير المدرسة الأمريكية الشرقية للأبحاث في مدينة القدس بين الأعوام 1922-1936م، وعالمة الآثار الإنجليزية كاثلين كنيون، التي اشتهرت باكتشافاتها الأثرية في مدينة أريحا أن الكنعانيين ومنهم اليبوسيون هم القبائل التي استقرت في القدس منذ منتصف الألف الثالث ق.م، أي قبل قرون طويلة من ظهور إبراهيم وموسى ودواد عليهم السلام، وأن لغتهم وأسماءهم دلّت على ذلك، ليتطابق هذا مع نتائج الأبحاث الأركيولوجية الحديثة⁽²⁾، فقد ورد إسم أوروسالم وأورشليم في الوثائق الكنعانية في القرن الخامس عشر ق.م من العصر البرونزي المتأخر في رسائل تلّ العمارنة، وذلك قبل تدوين التوراة البابلية بقرون عديدة، بينما صُنفت عروبة القدس وأهلها بعد أن جاء وصفها في الكتابات الهيروغليفية المصرية بمدينة يابيثي، وهو تحريف لإسمها الأصلي ييوس، نسبة لليبوسيين سكانها الأوائل في الألف الثالثة ق.م⁽³⁾، وأما الأبحاث الأركيولوجية فقد نالها الكثير ممّا تزعمه الرؤى والأقاصيص التوراتية في هذا الشأن، إلى أن رفعت الإكتشافات الأثرية الغطاء عن مملكة إيبلا من القرن الثالث ق.م في تل مردوخ في سوريا بالقرب من حلب، منذ منتصف القرن العشرين، لتعثر على 17500 رقيم طيني أثري يوضح نظام الحكم في مملكة إيبلا، وأسماء الملوك والآلهة وأنواعها، والعلاقات الرسمية بين تلك المملكة والحكام المجاورين، فيما رُشّح موقع مملكة إيبلا المكتشف لضمه ضمن لائحة التراث العالمي عام 1999م، شكل ذلك الاكتشاف الأثري دهماً علمياً

(1) انظر: سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ص 30-33، ط2، العربي للإعلان والنشر 2011.

(2) انظر: بهنسي، عفيف، تاريخ فلسطين من خلال علم الآثار، ص 7-8، مصدر سابق.

(3) انظر: سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ص33.

غير مسبوق، بسبب وثائقها الطينية التي دُوّنت بالخط المسماري الإيبلائي⁽¹⁾، والتي ذكرت القدس وحكامها بالعديد منها، فيما تم تصنيفها من قِبَل علماء الآثار بأرقام تضمنت فيها وجود القدس بإسمها (أورو سالم) خلال الفترة التاريخية التي سبقت إسماعيل عليه السلام⁽²⁾.

ثالثاً : القدس عبر العصور (بقيت القدس واندثرت العصور)

وأما بداية التاريخ للقدس فتوجّهت الهجرات العربية الكنعانية واليبوسية إلى فلسطين والقدس بإجماع غالبية المؤرخين شرقيين وغربيين، ففلسطين في حقيقة اسمها تعود إلى فلسطين ابن سام، أو فلسطين ابن كلثوم، أو فليستين ابن كسلوخيم بن يافث بن نوح، ومن ثم عربت إلى فليشين، هذا ما عراه صاحب خطط الشام⁽³⁾، وفلسطين عمرها أربعة آلاف عام قبل الميلاد، وهي أرض هجرات الفلسطينيين، أو الفلستيون، والقبائل العربية الكنعانية القادمة من شبه الجزيرة العربية إليها⁽⁴⁾ هي من منحتها اسمها فلسطين أو أرض كنعان⁽⁵⁾، وهو ما أشار إليه هيرودوت في تاريخه فقال عنها " ذلك الجزء من سوريا المُسمّى فلسطين"⁽⁶⁾، وما أعلن عنه من المعاصرين المؤرخ جيمس هنري بريستيد من أنّ فلسطين سُميت أرض كنعان نسبة لهجرات القبائل العربية الكنعانية إليها، الذين عمّروها بحضارة متقدمة وبنوا فيها المدن، كأسدود، وبئر السبع، وبيت لحم، وأريحا، وعكا، والكرمل، والمجدل، وبيسان، وبيوس، وغيرها، ومنهم سرقت التوراة أسماء المدن وأسماء مختلف أوجه الحياة الكنعانية كالعمران، والتجارة، وأنواع الصناعة، وأوجه العلم والمعرفة، والكتابة⁽⁷⁾، وفي حين برزت في كلامه الروايات التوراتية التي تعتبر جذوراً للصهيونية المسيحية، قال عميد المؤرخين الغربيين وول ديورانت : "أنّ

(1) انظر : <http://www.ebla.edu.sy/overview> ، جامعة إيبلا الخاصة لمحة عن إيبلا، اسم المقال: إيبلا

المملكة المفقودة التي غيرت تاريخ العالم، 2023م.

(2) انظر: بهنسي، عفيف، ص10، تاريخ فلسطين من خلال علم الآثار، مصدر السابق.

(3) انظر: كرد، علي محمد، خطط الشام ، ص7، ج1، ط2، نشر مكتبة النوري، دمشق 1403هـ-1983م.

(4) انظر: عمارة، محمد، القدس الشريف في الدين والتاريخ والاساطير، ص5، مصدر سابق.

(5) انظر: الصليبي، كمال، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص33، ص83، مصدر سابق.

(6) انظر: هيرودوت، تاريخ هيردوت، ص219، مصدر سابق.

(7) انظر: سعود، أميمة، في صراع الهوية القدس عربية، ص13.

المسيح سيأتي ويُخضع الكفار، ويُحرر إسرائيل، ويجعل من أورشليم عاصمة له، ويجعل جميع البشر تؤمن بالعقيدة الموسوية، فيسود العصر الطيب وتُخصب الأرض، ويزول الفقر، وتصبح جميع الناس أصحاء، وتسود العدالة والسلام في الأرض"⁽¹⁾. بينما جعل من فلسطين والقدس مُلكاً لليهود وحدهم، فسماها بلاد اليهودية، لاويًا عنقه عن حقيقة سكانها وأهلها الحقيقيين، وهم الكنعانيون واليبوسيون والأموريون.

وبرأي الباحثة أنّ هذا يوضح لنا حقيقة التاريخ الذي يكتبه الغرب بشكل عام، ومقدار ما فيه من تزييف وتحوير لحقائق التاريخ وللمعطيات الأركيولوجية المكتشفة خلال قرن ونيف من التنقيب الأثري في مئات المواقع الأثرية في أرض فلسطين التاريخية، على الرغم من وجود قلة من المصنفين والدارسين والمؤرخين والآثاريين المختصين بدراسات العهد القديم، أو ما يسمى علم التاريخ الكتابي يرفضون ذلك النهج المبني على القصص التوراتية لكتابة تاريخ فلسطين، أو ما يسمونه تاريخ إسرائيل القديمة، وعلى الرغم من أنّ ديورانت الأمريكي الجنسية يُعتبر مرجعاً لكتابة التاريخ (عميد المؤرخين الغربيين) إلا أنه جسّد مثلاً حياً على تدوين التاريخ بجعله العهد القديم مصدراً أولياً له عن القدس وتاريخها وكل فلسطين، ومن أمثاله حديثاً المؤرخ روجيه غارودي وهو علماني الفكر ولكن العهد القديم مصدره الأول للتأريخ، ومن وجهة نظر الباحثة أنّ المشكلة الحقيقية تكمن هنا، وهي اعتبار العهد القديم مصدراً لتاريخ فلسطين لدى من يُسمّون أنفسهم علماء الآثار التوراتيين، عززهم في هذا التوجه البعض من مراكز الدراسات البحثية والجامعات العربية، وعدم اعتماد التاريخ الحقيقي من المصادر العلمية التاريخية، والجغرافية الموثوقة، والأدلة الأثرية والأركيولوجية، التي أثبتت خلال قرن ونيف من العمل المتواصل في التنقيب وبعد أن مسحت فلسطين بمدنها وقراها حجراً حجراً، أثبتت عدم وجود أي أثر يربط بين العهد القديم وفلسطين على الأرض، فلم تتوصل نتائج البحث الأثري على سبيل المثال إلى خارطة هيكلية للقدس في عهد داود أو سليمان كما تدعي النصوص التوراتية، فلا وجود لآثار مدينة داود وسليمان في القدس، بما معناه أنّ الأركيولوجيا كذبت نصوص التوراة، فالأدلة الأثرية هي الفيصل وليس مجرد أقاصيص وافتراسات نظرية تاريخية كما في التوراة المدوّنة بعد موسى عليه السلام، التي أدت إلى اختلاف المؤرخين وعلماء الآثار التوراتيين أنفسهم والباحثين

(1) انظر: ديورانت، وول، قصة الحضارة ص182، مصدر سابق.

في التاريخ الكتابي، أمثال الأثري الأمريكي وليم ج ديفر، وفيليب ديفيز، وتومس طومسون، وكيث وايتلام، ونيلز بيتر لمكة، وجيوفاني غاربييني في حقيقة تاريخ إسرائيل القديمة في أرض كنعان، واستحالة الربط بين النصوص التوراتية والبيانات العلمية والأثرية الموجودة على الأرض، ابتداء من رحلة الآباء إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، نحو أرض كنعان ونزوله في أماكن، ومروره بمدن لم تكن قد وُجدت أصلاً في القرن التاسع عشر ق.م، وحقيقة شراء إبراهيم عليه السلام لمغارة المكفيل، واللافت أن الجَمال التي كانت من المفروض أن تكون وسيلة نقل لإبراهيم عليه السلام لم تكن بعد قد رُوِضت في تلك الفترة الزمنية، وهي العصر البرونزي، وصولاً للشك في شخصية موسى عليه السلام، وحقيقة كتابه، وحقيقة رحلة خروجه ودخوله إلى وادي النيل، ولقد أخبرنا القرآن الكريم عن حقيقة هؤلاء بقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ * وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾، فقوانين السياسة الدولية ومصالح الدول الكبار التي تتحكم في مصائر ومقدرات الكثير من الشعوب والدول، لم تعترف حتى اللحظة بقيمة الوثائق الأثرية المادية برهاناً لنيل الإنسان حقه فوق أرض متجذر فيها منذ ستة آلاف عام ونيف، والفلسطيني مثال حي على ذلك، رغم اعتراف منظمة اليونسكو بعروبة الشطر الشرقي من القدس، وفي حقيقة الأمر أن هذا الاعتراف لا يُغيّر شيئاً في الواقع السياسي للمدينة، بسبب أن تلك المنظمة ليست لديها قدرة التأثير في القرارات السياسية في مجلس الأمن على سبيل المثال، وبرأي الباحثة أن تلك الاعترافات من منظمات شبيهة باليونسكو بوصفها منظمة حقوق الإنسان أو غيرها، إنما هو ذر للرماد في العيون وكسباً للوقت، بهدف الاستمرار بالتغيير على الأرض تغييراً جذرياً كما هو مخطط له، في الإنسان والبيئة، وحتى التراث الذي يعكس هوية الأمة الثقافية والحضارية في أرومتها الممتدة عبر تاريخها الطويل، ومدينة القدس لها سجل حافل عبر التاريخ في مقاومة الغزاة، لتخرج في النهاية منتصرة عليهم بالمحافظة على هويتها الحضارية، والحفريات التي تجريها دولة الصهاينة والمستمرة حتى اللحظة، والتي تهدف إلى استبدال نمط الوجه العمراني العربي الإسلامي للمدينة، أكبر دليل على مقاومتها للغزاة، فلا زال وجه القدس عربياً إسلامياً رغم تعرضها الشديد لمحاولة طمس هويتها واستبدالها بما يزعمون من أنها مدينة داود، هذا ما كشفت عنه نتائج الحقائق الأثرية التي بددت الأسطورة التوراتية، لا سيّما بعد تصريحات الأثري البروفيسور الإسرائيلي زيئف هرتسوغ أستاذ قسم الآثار وثقافات الشرق الأدنى في جامعة تل أبيب، الذي شارك بنفسه مع مجال يادين في التنقيبات الأثرية، مرجعته في ذلك الجغرافية التوراتية، هدفه من هذا إثبات صحة النصوص التوراتية، بتطويع الأركيولوجيا الحديثة لملاءمة أسماء المدن

والأماكن الفلسطينية في كنعان القديمة بما ورد في التوراة، وبخاصة في مدينة القدس، وقد اضطر هرتسوغ للإعلان عن تصريحاته تلك من خلال تقريره المعنون: "التوراة لا إثبات على الأرض" المنشور في جريدة (هآرتس) العبرية 1999/10/29م، وضمّنه فشل العثور على ما يسمونه (هيكل سليمان)، أو (مملكة داود) في القدس، بعد سبعين عاماً من التنقيبات الأثرية المضنية، واصفاً إياها بالأساطير الشعبية، بعد أن وضعت العلماء الإسرائيليين المختصين بدراسات الكتاب المقدس وجهاً لوجه أمام حقيقة مصدر تاريخي لما سُمّي شعب إسرائيل، داحضاً فكرة وجود ما وصفته بإمبراطورية داود وسليمان، حُجّته في ذلك فشل التنقيبات الأثرية في الوصول إلى حتى طرف خيط في هذا الباب، وأما ما توصلت إليه اكتشافاته الأركيولوجية بعد تحليل طبيعة المكان والبشر وعاداتهم من مآكل وملبس وطعام وغيره هو: أنها لم تكن أكثر من تجمع قبلي لا ترقى إلى مستوى دولة، فكيف تكون إمبراطورية، ولها مستوى إقليمي بين الدول في المنطقة في حينه؟ وبناء عليه كدّب هرتسوغ فكرة احتلال الإسرائيليين لبلاد الكنعانيين بالقوة العسكرية، كما نوه إلى أنّ يهوه إله بني إسرائيل كانت له صاحبة، إضافة إلى أنّ الديانة الإسرائيلية لم تؤمن بفكرة التوحيد في جبل سيناء، بل اتخذت التوحيد عبادة لها في الفترة الملكية الزمنية المتأخرة فقط، الأمر الذي وضعه في صدمة أمام اتساع الهوة بين الواقع على الأرض وبين توقعاته باحثاً مصدره التاريخي الكتاب المقدس، مشيراً إلى ما أفادت به مدرسة النقد الكتابي في ألمانيا التي نشأت منذ أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر، من أنّ التأريخ الكتابي للتوراة قد تمّت صياغته في فترة النفي البابلي، لأغراض دينية، وعليه فإنّ علماء الكتاب المقدس من الألمان بخاصة، تنازعوا أمرهم مع غيرهم في صحة الأسطورة الإسرائيلية الموجودة في التوراة عن استيطان قبائل بني إسرائيل في فلسطين بعد فتحها بمعركة عسكرية مع الكنعانيين، معتبرين أنّ هذا تزوير لخلق ماضٍ تاريخي لأغراض دينية بحثية، من خلال جعل التوراة منطلقاً لبث وتقديس مبادئ النزاعات والهجمات الحربية⁽¹⁾، وهو ما يفسر لنا في وقتنا الحالي حقيقة الحرب التي

(1) انظر: هرتسوغ، زئيف، التوراة لا إثبات على الأرض، جريدة هآرتس باللغة العبرية، عدد 3 Mar 8 captures 2003 - 1 Feb 2003.

موقع المعرفة حتى نهاية عام 2002 جزءاً من بوابة IOL من مجموعة هآرتس.

<http://www2.haaretz.co.il/special/bible/20656.asp>

تشهها الدولة الصهيونية على غزة والمدن والمخيمات الفلسطينية منذ السابع من أكتوبر لعام 2023، وما كانت لها من تصعيدات أخرى لحروب سابقة ضمن تاريخ قيامها على الفلسطينيين في الشتات وفي الداخل.

ومما سبق نستنتج شهادة العصر البرونزي الموجل في القدم 3200 ق.م على تسمية الأرض التي سكنها العرب الكنعانيون بعد هجرتهم من الجزيرة العربية فلسطين مما يقضي على فكرة فراغ فلسطين من سكانها الكنعانيين كما تدعي مصادر التاريخ الغربي وهيئاتها العلمية من جامعات ومراكز أبحاث، لتسويق مقولة أرض بلا شعب، غايتها من تلك المقولة حقتها بخلق كيان لها في فلسطين⁽¹⁾.

بينما فند عارف العارف الحقب التاريخية التي مرت على القدس، فكانت الفترة البيوسية للقدس وكان حكامها كنعانيين بيوسيين منهم ملكي صادق، وسالم البيوسي، فهم أول من شيّد حجراً في المدينة، تقريباً حوالي 3000 عام ق.م، وهم أصحاب أرض كنعان، وإليهم نسبتها، وهم الذين بنوا فيها حضارة طارت في الآفاق سيرتها، نظراً لكمية الإبداع الناتج عنها في مختلف علوم الحياة، كتصنيع الأسلحة، والنياب، والمأكّل، والمشرب، وهندسة البناء، واستعمال المعادن، منها البرونز، والنحاس، التي برعوا فيها إضافة إلى فنهم في تصنيع الخشب، بعد الاستدلال عليه، وهم من بنى القلاع، والحصون، والأسوار، في القدس وحولها، بين 2000-1600 ق.م.

فيما توالى الغزاة على القدس وفلسطين عبر تاريخها، فالغزو الأشوري الأول بقيادة الملك شلمنصر عام 730 ق.م الذي بقي في حرب مع المقدسيين القدماء حتى آخر غزواته للقدس عام 721 ق.م.

❖ في حين كان القسم الجنوبي من فلسطين يقبع تحت الاحتلال الفرعوني المصري هاجمت مجموعات ما تسمى (الخبيرو) فلسطين كما ذكر في ألواح تل العمارنة المكتشفة عام 1900.

❖ لبدأ الغزو البابلي بقيادة نبوخذ نصر 587 ق.م، الذي قام بهدم الهيكل المزعوم مما أدى إلى تشتت اليهود عام 586 ق.م.

❖ ثم كان الغزو الفارسي الأول، بين الأعوام 538 ق.م - 332 ق.م. والغزو الفارسي الثاني كان بعد الميلاد 614 م، والغزو الفارسي الثالث للقدس كان على عهد الدولة الفاطمية، فدخل المدينة ونهبها وارتد عنها عام 1772 م.

(1) انظر: مصالحة، نور، فلسطين أربعة آلاف عام من التاريخ، ص، المقدمة، نشر، مركز دراسات الوحدة العربية،

❖ وقعت القدس تحت الحكم الهليني اليوناني من 332 - 323 ق. م، فغزا الإسكندر المقدوني القدس واحتلها بعد أن قضى على حكم الفرس فيها.

❖ لينتقل حكم القدس للبطالمة الإغريق من عام 323 ق.م، حتى عام 168 ق م، عندما انتزع السلوقيين (الإغريق اليونانيين بعد حكم الإسكندر المقدوني) حكم القدس لأنفسهم، وكانت نهاية حكمهم(البطالمة) في القدس على يد القائد الروماني بومبي والذي أخمد ثورة المكابيين بعد احتلاله للمدينة عام 63 ق.م.

❖ ثم وقعت القدس تحت سيطرة يوليوس قيصر الروماني عام 49م، ليحكمها بواسطة ملوك يتم تعيينهم من قبل روما، فكان في عهده هيردوس الأدومي الذي أدار الحكم فيها.

❖ وأما حكم بيلاطس الروماني للقدس فكان في سنة 26م -36م وفي عهده أيضا صُلب المسيح في القدس كما يدعون⁽¹⁾ ، بينما لم يتم العثور على أدلة أثرية تؤكد قصة الصلب، وعليه بات واضحاً ما أخبرت به الأركيولوجيا الحديثة مع ما جاء به القرآن عن حادثة الصلب قال سبحانه : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾⁽²⁾ .

❖ في حين بدأ عصر الحكم الروماني الثاني للقدس عام 37-44 م، ليتولى هيردوس اغريبا عام 63 م، حكم القدس حتى ظهور تيطس عام 70 م، الذي قام بهدم القدس بعد أن دكَّ أسوارها وأحرق فيها الهيكل.

❖ فيما استمر حكم تراجان الروماني 106-114 م، ثم هدریان أو أدريانوس 117-138 م، وفي عهده حدثت ثورة بارخوبيا اليهودي 135م، فقضى أي هدریان عليهم فيما سُمِّي بخراب أورشلیم الثاني، وكان الخراب الأول عام 70م في عهد تيطس البنطي، وفي عهده أي أدريانوس أو هدریان أعاد بناء مدينة القدس على أنقاض المدينة القديمة وسماها إيليا كابيتولينا⁽³⁾ ، وأقام الأسواق بباب العامود وسمي بباب هدریان.

(1) انظر، العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، ص24-39، ج1، ط5، الناشر، فوزي يوسف، مكتبة الأندلس في القدس، 1999م.

(2) سورة النساء 157.

(3) انظر: العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، ص64-70، المصدر السابق.

❖ ثم وقعت القدس وفلسطين تحت الحكم البيزنطي الروماني حكم الدولة الرومانية الشرقية " البيزنطي 314-335م في عهد الامبراطور قسطنطين، ثم زحفت جيوش كسرى بعد أن تسلّم هرقل الروماني العرش عام 610- 641 م واحتلت القدس، ثم استلبها هرقل ودخل مدينة القدس عام 629م بعد أن استرجع الصليب الذي أخذه الفرس من بيت المقدس⁽¹⁾، في تلك الفترة ظهر الإسلام ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم فيما أخبر القرآن بانتصار الروم على المجوس الفرس في قوله تعالى:

﴿الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض * وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾³.

والذي يبدو للباحثة في هذا التاريخ للمدينة المقدسة ما وُفقت إلى استنباطه وهو: أنّ فيه الكثير من الأحداث والأسماء المفتعلة، كحادثة حرق الهيكل التي يراد منها إثبات حكم لليهود فيها على شكل سلطة سياسية تحكم المدينة، مرجعية الباحثين غربيين وشرقين في هذا، العهد القديم، ومنه انتقلت تلك الأحداث إلى أغلب المؤلفات والدراسات والأبحاث التي تناولت وجود اليهود في القدس، منذ حكم داود وسليمان، بدون السعي للتدقيق في صحة تلك الأحداث، باعتبارها نصوصاً مقدسة من العهد القديم، وهو ما استمر عليه أغلب الباحثين والدارسين في هذا الباب حتى ظهور نتائج التنقيبات الأثرية الحديثة التي جاءت تناقض كل ما ورد في نصوص العهد القديم بينما جعل منها المنقبون الأثريون الغربيون من الفُسوس ورجال اللاهوت والساسة خريطتهم للاستدلال على الأماكن والمدن في الأرض الفلسطينية وبخاصة القدس وحولها، وما كان داود وسليمان إلا نبيّين مسلمين موحدين لله، وإن قام أحدهما ببناء "معبد أو بيت" للعبادة فإنما هو مكان للعبادة فقط، وليس دائرة سياسية للحكم كما أراد بهذا العهد القديم، ولم يكن على مستوى إقليمي ودولي كما ينقل عنه علماء اللاهوت والعهد القديم الغربيين، وقد تم التأكد من هذا، من خلال التنقيبات الأثرية التي جرت على قدم وساق خلال المائة عام الأخيرة، ليس في القدس وحدها، بل في مدن وقرى فلسطين كافة ولا زالت تلك التنقيبات مستمرة، للبحث عما يعتقدون أنّه الدائرة السياسية التي كان داود الملك يدير منها إمبراطوريته، وقد أسلفت سابقاً عما توصلت إليه الأبحاث الأركيولوجية التي اعتمدت المنهج التوراتي في التنقيب، وعلى رأسها العالمان الأثريان الإسرائيليان: زئيف هرتسوغ، وإسرائيل فنلكشتاين، اللذين نفيًا قصة وجود هيكل في لقدس، اعتماداً على ما أفرزته نتائجهما الأثرية خلال عقود طويلة من العمل في هذا الجانب.

2 انظر: العارف، عارف، ص64-70، نفس المصدر.

المبحث الثالث: القدس 1948-2024 تكريس للاستيطان والتغيير الديمغرافي ونهب للمقدسات وتزوير تاريخها.

لم تنتظر دولة الصهاينة طويلاً بعد صدور قرار تقسيم فلسطين ووضع القدس تحت نظام دولي، لتعلن احتلالها للجزء الغربي من المدينة المقدسة، التي أعلنتها عاصمة لها، رافضة لأي تنفيذ قرار دولي فيها باعتبارها جزء من أراضيها، وهي بذلك قد بدأت منذ قرار التدويل للقدس بفرض هيمنتها عليها من خلال عمليات التهجير لسكانها العرب والسطو على بيوتهم وممتلكاتهم وإحلال صهاينة مكانهم، وبذا بدأ الصهاينة بانتهاج سياسة الاستيطان كي يقنعوا العالم أنها استردت جزء من عاصمتها وبأن الجزء الشرقي محتل وهي سائرة نحو تحريره.

المطلب الأول: القدس ولعنة القرارات الدولية إبان وبعد نكبة فلسطين 1948.

كان احتلال الجزء الغربي من القدس أول خطوة تخطوها دولة الكيان للتمرد على القرارات الدولية بعد أن داست على قرار الجمعية العامة 181 لسنة 1947، القاضي بتقسيم فلسطين وتدويل القدس، أي وضعها تحت نظام دولي، متجهة بهذا إلى فرض هيمنتها عليها، وتصديراً للأمم المتحدة ودول العالم أنها عاصمتها لتوحي بذلك أن الجزء الشرقي من المدينة محتل، حتى صدور القرار 194، الذي تناول قضية القدس ووضعها في نظام دولي إضافة إلى قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالهدنة في القدس، وحماية الأماكن المقدسة، ولكن بن غوريون أيضاً ضرب تنفيذ القرار بعرض الحائط قائلاً: إن مستقبل القدس لن يقرره غير القوة العسكرية التي تملكها دولته، وبهذا حلَّ بن غوريون نفسه من جميع القرارات الخاصة بفلسطين والقدس، الصادرة عن الجمعية العامة ومجلس الأمن، بتاريخ متتالية هي: القرار رقم 48 الصادر عن مجلس الأمن بتاريخ 1948/4/23م لتثبيت الهدنة في فلسطين، والقرار رقم 49 بتاريخ 1948/5/22 القاضي بتثبيت الهدنة في القدس، ووقف إطلاق النار في عموم فلسطين، وفي 1948/5/29 أصدر مجلس الأمن القرار رقم 50 ويدعو إلى وقف العمليات العسكرية، وحماية الأماكن المقدسة، وحرية مدينة القدس، وأما القرار رقم 54 القاضي بنزع السلاح في القدس، فصدر عن مجلس الأمن بتاريخ 1948/7/15، وفي حين كانت القدس قد قسمت بين الأردن وإسرائيل أعلنت إسرائيل عن القسم الذي تسيطر عليه جزء من أراضيها، ولا تنفذ فيه القرارات الدولية، وبخاصة قرار التدويل، فيما وقع القسم الشرقي منها تحت الوصاية الأردنية عام 1949،

وعندما كانت الأمم المتحدة لا تزال تناقش قضية القدس وتحويلها نقلت دولة الكيان برلمانها الكنيست الإسرائيلي إلى القسم الغربي فيها في 13 كانون أول عام 1949⁽¹⁾.

وبذلك التفت إسرائيل على القرارات الدولية الأولية، وفرضت نفسها واقعا مسلماً به في الشطر الغربي بصمت الأمم المتحدة⁽²⁾، وبعد احتلالها لباقي فلسطين بعد حرب حزيران احتلت دولة الكيان ما بقي من الأراضي الفلسطينية، وعلى رأسها الشطر الشرقي من القدس، لتعلن عن توحيد القدس بشطريها، واعتبارها عاصمة لإسرائيل، مع حقها الكامل في جميع أراضيها⁽³⁾، وهي بذلك قد أوجت إلى العالم أن القدس الغربية عاصمتها والقدس الشرقية هي القسم الآخر من العاصمة، الذي استطاعت الاستيلاء عليه، وبناءً عليه أعلنت توحيدها بعد الحرب مباشرة، وبذا صدر قرار مجلس الأمن رقم 242 القاضي بانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في حرب 1967، من ضمنها القدس الشرقية وإنهاء الأعمال العسكرية فيها، واحترام سيادة دول المنطقة مع حقها العيش بسلام⁽⁴⁾، وبهذا ضمنت منظمة الأمم المتحدة أمن وسلامة إسرائيل في المنطقة، مع إقرارها لها بالقدس الغربية عاصمة لها، مع عدم الزام إسرائيل بتنفيذ القرار، استناداً إلى البند السابع من ميثاق منظمة الأمم المتحدة، القاضي بمنع عدوان أي من الدول على جاراتها، والجواز لمجلس الأمن التدخل لمنع هذا العدوان لحفظ السلم والأمن الدوليين الذي بقي مجمداً حتى يومنا هذا، في حين تباينت وجهات النظر السياسية حول مصير القسم الشرقي من القدس مع اكتساح دولة الكيان لمعالم القدس الدينية والأثرية، بفعل مشاريع التنقيب الأثري الإسرائيلي-الغربي الهادف إلى تغيير جغرافيتها وفق الخارطة التوراتية، أصبحت

(1) انظر: الرئيس، ناهض منير، القدس بين زيف القانون الإسرائيلي وعجز القانون الدولي، ص 73، 79، 80، الناشر: اللجنة الوطنية العليا للقدس عاصمة الثقافة 2009.

(2) انظر: الشعب، محمد أمير، القدس في مفاوضات الحل النهائي من الانتداب البريطاني إلى قرار إدارة الرئيس ترمب نقل السفارة الأمريكية وتداعياته المحتملة، مجلة البحث العلمي، الناشر: مركز جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 21، 2018.

(3) انظر: موقع الكنيست، معجم الكنيست، يوم القدس،

<https://main.knesset.gov.il/AR/About/Lexicon/Pages/jer.aspx>

(4) انظر: قرار مجلس الأمن 242 (1967/11/22م) وإقرار مبادئ سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

جميع قرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن منذ قيام إسرائيل حتى يومنا هذا مجرد حبر على ورق، وذر للرماد في العيون من دول العالم العظمى، وكسباً للوقت لصالح إسرائيل، لكسب معركة التغيير على الأرض في القدس، بمصادرة أراضيها، وبناء المستوطنات فيها وحولها، بهدف تهويدها ومسح هويتها العربية الإسلامية، وعلى أثره صادقت الكنيست الإسرائيلي في 27 حزيران 1967م على اقتراح ثلاثة قوانين قدمتها الحكومة، الأول: هو توحيد القدس واعتبار الاستيلاء على كامل مساحة الشطر الشرقي قانونياً، والثاني: تغييرها لحدود البلدية، بزيادة مساحتها ثلاث أضعاف، وأيضاً منحت سكان المدينة صفة مقيمين يحق لهم التصويت في انتخابات البلدية، والثالث: وهو قانون الحفاظ على الأماكن المقدسة، ولن ننسى أنها أعلنت القدس بشطريها عاصمة موحدة وأبدية لها عام 1980، وحتى عام 1998م وافقت الكنيست على قانون اعتماد يوم القدس يوماً وطنياً للدولة⁽¹⁾. وبالتالي فإن أية قرارات دولية ليست ذات أهمية أمام فرضها الواقع الذي خطط له منذ قيام الدولة عتاة الصهاينة والمسيحية الغربية بقيادة أمريكا بشأن القدس، وهو ما تعاملت به إسرائيل منذ قيامها، وما تتعامل به حتى يومنا هذا مع السلطة الفلسطينية منذ مؤتمر مدريد للسلام، ومرورا بأوسلو، وكامب ديفيد، إلى قمة بيروت 2002 بمخرجاتها، وهي انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها بعد 1967، والاعتراف بالقدس الشرقية عاصمة للدولة الفلسطينية، وترسيم للحدود، وعودة اللاجئين، وهو ما تم رفضه بالمطلق من الجانب الإسرائيلي، ثم تنصلت إسرائيل بعد هذا من عهدها أمام اللجنة الرباعية التي وضعت خارطة الطريق عام 2003، وفيها حل الدولتين، وجعلت من بنودها القدس عاصمة للدولتين الإسرائيلية والفلسطينية، وفي عام 2007 انعقد لقاء (انابوليس) الذي طرح أيضاً فكرة تقسيم القدس بين الدولتين العربية واليهودية، ولكن إسرائيل استطاعت نسف الاتفاق بعد رفضها لفكرة تقسيم القدس والعودة إلى حدود 1967، ورفضت عودة اللاجئين⁽²⁾، وعلى صعيد الخطة المنهجية التي استمرت إسرائيل في تطبيقها واقعاً على الأرض، لمسح هوية القدس العربية الإسلامية، فإن زراعة المستوطنات سارية، وعمليات التنقيب حثيثة على قدم وساق، وبمجهودات ضخمة، فقد وظفت دولة

(1) انظر: موقع الكنيست، معجم الكنيست، يوم القدس،

<https://main.knesset.gov.il/AR/About/Lexicon/Pages/jer.aspx>

(2) انظر، الشب، محمد أمير، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، القدس في مفاوضات الحل النهائي من الانتداب البريطاني إلى قرار إدارة الرئيس ترمب وتداعياته المحتملة، ص 69-98، مصدر سابق.

الصهاينة فرق بحثية أثرية، لتزوير قطع أثرية حجرية، أو طينية مزيفة، أو رقائق ونقوش مُدونة بنصوص تبرهن على أنها من بقايا هيكل سليمان، أو تخرج بأسماء مزيفة في زمن ما تسميه الأحداث التوراتية، زاعمة علاقتها بفلسطين، ولا يزال مشروع سرقة الآثار الفلسطينية مستمر من الصهيونية المسيحية وتزييفها، بهدف إعادة تدوير التاريخ الفلسطيني، واختراع مراحل تاريخية، وممالك وأحداث وشخصيات خيالية، وهو ما أشار إليه العالم توماس طومسون بأن تزييف المكتشفات الأثرية الفلسطينية يجري منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الآن، وأوضح مثال تحريف نقش مسلة الملك رمسيس الثاني، الذي اكتشف في آثار بيسان عام 1923، وينص على أن قبائل الشاسو والعامو بايعت الملك على التبعية والولاء، بينما جعله رئيس فريق بعثة فلادلفيا للتقيب "مساهمة الإسرائيليين" في بناء مدينته، سبق إلى هذا التزوير وليم أولبرايت عندما أقحم تحريفا على قطعة الفخار التي عثر عليها في تل الدوير عام 1941 بجملته "سقوط أورشليم،" يريد من هذا اختلاق تاريخ يهودي في فلسطين، والأهم من التزوير في التتقيبات الأثرية هو إدخالها ضمن المناهج التدريسية على أنها أثريات يهودية⁽¹⁾، ومواصلة لسياسة إسرائيل في تغيير الواقع الجغرافي والديمقراطي في القدس بعد احتلالها للقسم الشرقي عام 1967، ولأنها لا تعترف بالفلسطينيين ولا بتاريخهم ولا تراثهم الذي وهب القدس وفلسطين هويتها وطابعها التاريخي والحضاري بدأت منذ دخولها البلدة القديمة بالتقيب بمساندة مراكزها البحثية والجامعية بتطوير ما سمّته جغرافية التوراة، فشرعت بالتقيب في حي باب المغاربة، وبلدة سلوان، وأسفل مساحة الحرم القدسي، وحارة الشرف، ووادي حلوة، في مسعى منها للخروج بخريطة افتراضية من خلال بقايا التاريخ التوراتي لمدينة داود، وهيكل سليمان⁽²⁾، وعليه فقد اعتمدت إسرائيل رحلة التغيير في معالم القدس وآثارها بصورة جلية منذ العام 1949م بُعيد الإعلان عن قيام دولتها، لخلق تراث تاريخي لها، غايتها منه التبرير بحجج وأسناد قانونية لعملياتها الإجرامية لاغتصابها فلسطين والقدس، وإن كانت أعمال التتقيبات قد بدأت قبل ذلك بحوالي القرن، من قبل البعثات الغربية، وقد تصدرت بريطانيا تلك البعثات أغلب فرقها البحثية صهاينة متهودين، التي

(1) انظر: الأسعد، محمد، المخيلة الاستعمارية تقتلع مدينة من ماضيها وحاضرها القدس العربية نموذجاً، ص7-22، مجلة المستقبل العربي، م 38، العدد 442، مركز دراسات الوحدة العربية، 2015.

(2) انظر: الجعبة، نظمي، الحفريات الأثرية في القدس منذ العام 1967 من مصنع الرواية التوراتية إلى مصنع الاستيطان، ص53-54، الأركيولوجيا السياسية والأبيولوجيا في إسرائيل، مجلة قضايا إسرائيلية، عدد73.

باشرت أعمال التنقيب في القدس وغيرها بعد أن استشرى أمر وجودها في فلسطين بواسطة أثرياء اليهود، بينما كانت تلك التنقيبات جسر المرور للاستيطان في القدس وحولها وأبرز من بدأ في الاستيطان حاييم منتفيوري، الذي ابتاع إحدى ضواحي غرب القدس عام 1854م، فكانت تدشيناً لبداية لاستيطان اليهود في القدس الذين بنوا فيها البيوت والساحات العامة والمدارس وغيرها، بينما قامت مدينة تل أبيب الحالية على أنقاض مدينة يافا عام 1870م، إضافة ما قام به اليهود من الاستيلاء على أراضي مجاورة للقدس أيضاً أقاموا فيها العديد من المدارس الزراعية، فكانت تلك المدارس طريقهم نحو استملاك العديد من الأراضي الأخرى، لبناء المصانع، وبهذا أحيطت القدس بالعنصر اليهودي: بشرياً، وثقافياً، واقتصادياً، لتنمو قوة اليهود فيها دينياً بعد بنائهم الكنس والحدائق العامة والأسواق والمدارس الدينية، فقد تمكن اليهود من خلق أول موطئ قدم لهم في القدس بعد سيل الهجرة لليهود من جميع أرجاء العواصم الأوروبية وبلاد الروس للاستيطان في عكا وطبريا والقدس بداية⁽¹⁾، ومن إتمام الكلام انه لم يُتداول في فلسطين كلها ولا القدس اسم عبري لقرية، أو تلة، أو مدينة، أو حتى مزرعة، طوال عهود الحكم الإسلامي إلى أن تمكن اليهود ومسيحيي الغرب والصهاينة من تثبيت وجودهم في فلسطين، فقد أنشئ أو أعيد ترميم جُل الكنائس والأديرة لمختلف الطوائف المسيحية الغربية في القدس في منذ القرن الثامن عشر تدريجياً، كالكنيسة اللوثرية البروتستانتية 1889م، وأنشئت بعد زيارة الإمبراطور الألماني غليوم الثاني للقدس، وكنيسة القديس توما التي تم بناؤها على أنقاض مسجد هدمه الصليبيون عند اغتصابهم للقدس، ليعيد صلاح الدين تشييده ثم هُدم، وفي القرن 19 ميلادي أسس الألمان فوق أنقاضه تلك الكنيسة التي ما زالت تحت سيطرتهم حتى يومنا هذا، وفي عام 1888م شيّد الروس بقيادة القيصر الإمبراطور الكسندر الثالث كنيسة مريم المجدلية، تخليداً لذكرى أمه !

وأما كنيسة حنا "سانت آن"، فمكانها بنى صلاح الدين عندما حرّر القدس من الصليبيين رباطاً للصالحين، ومدرسة للفقهاء الشافعيين، سنة 1188م، سمّاها (الصلاحية) تهدم جزء منها أثناء الزلزال الذي وقع في القدس 1821م، وفي عام 1855م استولى عليها نابليون الثالث، كما شهد عام 1820م تشييد دير الجنة لنصارى الأحباش الذين فقدوا الكثير من أماكنهم الدينية في القدس، في نهايات القرن

(1) حسن، حميد، القدس والسلطنة العثمانية، ص96-97، مجلة الفكر السياسي، عدد 64، 2017، اتحاد الكتاب

19 بالقرب من باب العامود، وأما كنيسة القديسة فرونيكا فقد بُنيت سنة 1894م في عقبة المفتي على طريق الواد⁽¹⁾، هذا قليل من كثير لاستغلال نصارى الغرب للتملك والاستيطان في القدس عبر نوافذ الكنائس والأديرة، " 1898م ، وأما سيل الهجرات اليهودية إلى فلسطين فلم ينقطع منذ المؤتمر الصهيوني الأول في بازل ، فمن أهم مخرجات هذا المؤتمر الإصرار على مسألة الوطن القومي وأرض الميعاد بزعامه هرتزل، إلا أن حقيقة مفاوضات السعي لتحقيق رؤىويات تورا هرتزل في الوطن القومي وأرض الميعاد هو ما تناوله هرتزل في مذكراته المعنونة (يوميات هرتزل) ؛ في حين غابت تلك الحقيقة عن الكثير من الأجيال بما فيهم الدارسين والباحثين والمؤرخين لسبب بسيط هو عدم إطلاعهم وترجمتهم لتلك اليوميات التي تتكون من عشرة أجزاء لأعتى عتاة الصهاينة هرتزل⁽²⁾ .

المطلب الثاني: القدس بين الاغتصاب والاستيطان فرض حقائق استيطانية وجيوسياسية على الأرض 1948-2024م.

1) استولت قوات الاحتلال على ما نسبته 88.7% من ممتلكات الفلسطينيين المقدسين فيها، من أراض وبيوت وعقارات بعد عمليات التهجير القسري لأهلها بأساليب شتى، لتزرع مكان السكان المقدسين 54 ألف مستوطن، ازدادت أعدادهم إلى 197 ألف بحلول حرب حزيران 1967م، وتلك كانت أولى عمليات التهويد التي قامت بها القيادات الصهيونية للمدينة المقدسة، بعد أن وسعت من مساحتها الكلية إلى 38.1% بعد أن كانت 16.3%⁽³⁾، لتطلق على القسم الذي اغتصبته غربي القدس أو القدس الغربية، تمييزاً لها عن القدس داخل أسوار البلدة القديمة وخارجها، وكانت تحت سيطرة القوات الأردنية وأطلقت عليها القسم الشرقي أو القدس الشرقية، أما صدى عملية احتلال

(1) انظر: مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، المعالم المسيحية في مدينة القدس، 2024. <https://info.wafa.ps/pages/details/3011>.

(2) انظر: صايغ، أنيس، يوميات هرتزل، ص 28 - 39 وص 44-4، ترجمة: هدا شعبان صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، لبنان، بيوت، 1968.

(3) انظر: الشب، محمد أمير، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، القدس في مفاوضات الحل النهائي من الانتداب البريطاني إلى قرار إدارة الرئيس ترمب نقل السفارة الأمريكية وتداعياته المحتملة، ص 89، ع: 21، مركز جيل البحث العلمي.

القدس وتقسيمها إلى شرقي وغربي من قِبَل عصابات الصهاينة في أروقة منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، فلم يكن له أساس له على أرض الواقع، وهو ما يتضمن موافقة غير معلنة تجاه ما تفعله دولة الإحتلال، على الرغم من إصدارها للقرارات الدولية لوضع القدس، مدينة تم تدويلها بعد قيام دولة الكيان، التي كانت وبقيت مجرد حبر على ورق.

2): كانت الرؤية الإسرائيلية في تهويد مدينة القدس واضحة بعد احتلالها للجزء المتبقي منها بعد 1967، وحجب سماتها العربية بالكامل، عبر تنفيذ المخططات والسياسات التي تنتهجها، ففرضت واقعاً استيطانياً وجيوسياسياً بإقامة البؤر الاستيطانية، عبر مصادرتها في خطوة أولية 116 دونماً، لإقامة الحي اليهودي فيها بعد تطويقها وتفريغها من السكان العرب، وكان ذلك بالاستيلاء على الأحياء والبيوت العربية، أو تدميرها، ومصادرة الأراضي في حارة الشرف وحي المغاربة⁽¹⁾، ليصبح ما مساحته 130 دونماً لصالح الحي اليهودي، الذي بدأت في بناؤه وإعمارهِ وفق النمط الحديث، ممزوج بمشاهد عمرانية تراثية لمدينة القدس داخل السور، لتؤكد الوجود اليهودي القديم في المدينة، وبدأت بخلق تجمعات يهودية وتوطينها، لاختراق طابعها العربي الإسلامي، بهدف ابتلاعها وتهويدها بمختلف الأساليب الاستعمارية الاحلالية، فاستقدمت 2300 مستوطن للإقامة فيها⁽²⁾، فصادرت ما مساحته 3345 دونماً خارج أسوار البلدة القديمة من أراضي الشيخ جراح، وأرض السمار، ووادي الجوز، بهدف ربط الجامعة العبرية التي أُقيمت فوق أراضي جبل المشارف عام 1927 مع الجزء الغربي من القدس، وأقامت عليها مستوطنات التلة الفرنسية، وهي أراضي كرم اللوز، ورامات أشكول، وجفعات همفتار، ومعلوت دفنا، لتشكل هذه المستوطنات الطوق الاستيطاني الأول حول القدس، باستيعاب سكاني يهودي ما يقارب 12 ألف مستوطن، ضمن وحدات سكنية بلغت 5460 وحدة سكنية، أغلقت الشمال الغربي من القدس الشرقية، استولت من خلالها إسرائيل على الطرق الرئيسية الخارجية، وبخاصة شارع القدس رام الله، وبها بدأت أولى مراحل التزييف التاريخي للمدينة المقدسة، واستمراراً في تطويق القدس بالمستوطنات، وفي عام 1970 صادرت دولة الكيان 11780 دونماً من أراضي القدس، لتغطي شمالها الشرقي مستوطنة نفي يعقوب، وجنوبها الشرقي مستوطنة تلبوت،

(1) انظر: التقكجي، خليل، تهويد القدس حقائق وأرقام، ص 1-4، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 22، مجلد 6، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1995.

(2) نفس المصدر.

والمنطقة الغربية مستوطنة راموت منها، والجنوب الغربي مستوطنة جيلو، وفي باب الخليل أقامت ما يسمى (قرية داود) فوق أراضي حي الشماعة العربي، بينما صادرت ما مساحته 100 دونم من وادي الرابية، وكالعادة امتلأت تلك المستوطنات بالآف من الوحدات السكنية والمستوطنين المهاجرين من مختلف دول العالم.

(3) : وفي العام 1980 أتمت دولة الكيان عملية الربط بين مستوطناتها الشمالية مع مستوطنات الطوق الأول في القدس، بإقامة مستوطنات بسغات زئيف، وبسغات عومر، فوق أراضي شعفاط، وبيت حنينا، بعد مصادرتها 4400 دونم، وبهذا وبعد عقدين ونيف تكون دولة الكيان الصهيوني قد استولت على 33% من مساحة القدس.

(4): وقد استمرت بتوسيع مساحتها إلى 104 كم بعد أن ضمت إليها أراضي 28 قرية تقع إلى الشرق منها، وزادت دولة الكيان في مساحة القدس الشرقية في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي حتى وصلت مساحتها إلى 126 كم معظمه في الاتجاه الشرقي منها (1).

(5): فكان لا بد من تشكيل دولة الكيان الصهيوني في العام 1979 عصابات استيطانية ضمن إطار جمعية أطلقت عليها (جمعية تجديد الاستيطان) تهدف إلى الاستيلاء على الحارات والعقارات الإسلامية داخل السور الملاصقة للحرم القدسي، وأوضح مثال حارة الشرف، التي هدمتها واستولت عليها، وحي المغاربة، بهدف إشهار لوجود اليهود بعد توطينهم في بيوت المقدسيين في البلدة القديمة (2).

(6): اعتُبر تهويد القدس هدفاً أولياً في سياسة الدولة جغرافياً وديمغرافياً منذ قيامها باتفاق حزبي الليكود والعمل، وهي الحزبان الحاكمان فيها، والعمل على التغيير الديمغرافي للسكان بأكثرية يهود، والاستمرار في مسح للوجود العربي باستصدار قوانين تقلص من الوجود العربي في مدينتهم (3).

(1) انظر: مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، القدس في مفاوضات الحل النهائي من الانتداب البريطاني إلى قرار إدارة الرئيس ترمب نقل السفارة الأمريكية وتداعياته المحتملة، ص 89، العدد 21 مركز جيل البحث العلمي، مصدر سابق.

(2) انظر: أبو عامر، عدنان عبد الرحمن، مستقبل مدينة القدس في ظل التهويد، ص 215-217.

(3) انظر: أبو عامر، عدنان عبد الرحمن، مستقبل مدينة القدس في ظل التهويد، ص 215-217.

(7): إذن فإن دولة الكيان تتجه نحو إيجاد القدس الكبرى عاصمة أبدية، الخارجة عن عملية التقسيم، وعمليات التفاوض، أكثر سكانها يهود بعدد ضئيل من العرب، ومن ثم نزع كل صفة عنها موروثاً من العروبة والإسلام تساوفاً مع المضي قدماً في تغيير خارطة المدينة الجغرافية، بأساليب عمرانية، ومنشآت هندسية، كالجسور والأنفاق وسكك القطار الخفيف، وطرق خارجية تربطها مع تل أبيب نحو الوسط والشمال، وجنوبية نحو الغور، وأبرزها داخلياً، الشارع الأمريكي في جنوبها الشرقي، وشارع الأنفاق في شعفاط في شمال القدس، والأنفاق التي تربط بين القدس الغربية والقدس الشرقية، والأنفاق أسفل مدينة بيت جالا، إضافة إلى مضاعفة قياس الطرقات التي تربط الغور بالشمال الغربي من المدينة⁽¹⁾، ومضاعفة حجم البناء الاستيطاني في القسم الشرقي إلى 3100 وحدة استيطانية.

(8) مع بداية الاحتلال للقدس الشرقية بعد عام 1967م بدأت حكومة الاحتلال وفق خطة ألون بتوسيع رقعة الاستيطان في القدس والضفة الغربية، وبينما استمرت عملية الاستيطان حتى عام 1977م في عهد حكومة الكتلة الليكود همشت المفاوضات السياسية بين الفلسطينيين والجانب الإسرائيلي أي ذكر لبناء المستوطنات التي زادت في عهد رابين وبيرس (1992-1997) حتى نمت بشكل تصاعدي بين الأعوام 1993-2000 م، وبزيادة الآلاف من الوحدات السكنية التي استوعبت الألوف من المستوطنين.

وأما آلية الاستيلاء على الأراضي فتتمت بطرق أبرزها :-

- عن طريق القضاء وبمساعدة محكمة العدل العليا التي ساهمت بإيجاد مبررات قانونية للاستيلاء على الأراضي، لتسهيل عملية الاستيطان.
- الإعلان عن الأراضي ممتلكات للدولة، ويتم تسجيلها بتلك الصفة التي تمنع الفلسطيني من الاقتراب من أرضه أو الاستفادة منها، بينما تكون مباحة لمشاريع الاستيطان ويتم ذلك حتى يومنا هذا بمساعدة محكمة العدل العليا، التي رفضت تجريم الدولة في اغتصابها لأراضي الفلسطينيين والإعلان عنها أراضي للدولة.

(1) انظر: أرناؤوظ، عبد الرؤوف، القدس في 2022 إسرائيل تسرع مخطط التهويد، تقرير رقم 2773393،

• وعن طريق الانتشار الجغرافي الذي قسم أراضي الضفة الغربية إلى أربع مناطق، القدس هي المنطقة الرابعة التي كان لها النصيب الأكبر من ابتلاع الأراضي وتحويلها الى مستوطنات تحاصر المدينة من جميع جهاتها⁽¹⁾.

(9) : لهذا فإن نظرية القدس الكبرى الموحدة عاصمة أبدية لدولة الكيان تتطلب السيطرة عليها أمنياً، لما تتمتع به من دور مركزي للقضاء على أي تحرك فلسطيني ضد دولة الاحتلال باعتبارها الشق الاستخباراتي الأشد أهمية لتوفير الأمن لدولة الكيان مع جيرانها الفلسطينيين والعرب، فكانت إقامة القطر العام الذي يمر عبر أنفاق داخلية وخارجية متخللاً أحياء القدس خطوة جوهرية واستراتيجية أخرى، فتعزيز الوجود القومي اليهودي بالقطر الحكومي العام في القدس ومحيطها سينتهي إلى قبول الأمم المتحدة والمحيط العربي بسيطرة إسرائيل عليها، فتكون هي الفائزة في الصراع الدائر حول بركة الخليل (التي تسميها دولة الكيان صحراء يهودا)، التي تمتد من شرق القدس إلى البحر الميت، واللافت في موضوع القدس أن الحكومات المتعاقبة لدولة الكيان استمرت حتى اليوم في تطبيق خطة يغتال ألون، وسياسة بن غوريون في الاستيلاء على القدس، من خلال تكثيف الاستيطان فيها، وفي محيطها شرقاً وشمالاً وجنوباً⁽²⁾. ولهذا فإن اهتمام إسرائيل وفق تحليل مركز القدس العبري الآن منصّب على الاحتفاظ بالأمن المطلق للوضع الجيوسياسي، مع أهمية ترسيم الحدود، درءاً لأي خطر هجومي عربي بعد أن رأى مستشارو الأمن القومي للدولة ما يحيط بالعروش العربية الحالية⁽³⁾، هذا يوضح لنا مدى ما تعيش به تلك الدولة من خوف تحسب له ألف حساب بتقارير وخطط هجومية مضادة، نتيجة حصارها الأبدي من محيط عربي لا يمكنها الخلاص منه، مما أجبرها مع الولايات المتحدة الأمريكية، لاخترع أوهام المفاوضات في خطوة لاستنزاف الوقت فقط، ومؤخراً اخترع رحلة التطبيع مع جيرانها من دول العرب من المحيط إلى الخليج.

(1) انظر: منظمة بيتسيلم، سلب الاراضي سياسة الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية، 2002 ايار، https://www.btselem.org/arabic/publications/summaries/200205_land_grab.

(2) : انظر: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، تطوير متروبولين القدس تحت السيطرة الاسرائيلية مهمة قومية وجودية، العدد437، 2019/9/24.

(3) انظر: مركز القدس باللغة العربية، معلومات استراتيجية عن السياسة الخارجية والأمنية لإسرائيل، <https://jer-zentrum.org/israels-lebensnotwendige-sicherheitsbedurfnisse-fur-einen-dauerhaften-frieden/>

مع العلم أن اعتراف الأمم المتحدة بالجزء الغربي من القدس عاصمةً لها لم يصدر حتى الآن، مع صمتها على ما كان من احتلال بن غوريون له، بعد أن داس على القرار الأممي بتحويل القدس 181 عام النكبة، الأمر الذي دفع إسرائيل للجرأة لاحتلال ما تبقى من القدس عام 1967م، والإسراع في تهويدها كما فعلت في الجزء الغربي، لتبدأ مرحلة الدمج بين القدس الشرقية والقدس الغربية، من خلال تغيير الخارطة الجغرافية لها، ببناء الجسور والأنفاق والشوارع والسكك الحديدية المستمرة حتى يومنا هذا.

10): وبناء عليه استحوذ اهتمام حكومة بينيت- لبيد عام 2021 على القدس لتحويلها إلى عاصمة القدس الكبرى، بفعل ازدياد بناء المستوطنات فيها، وتمير مشروع المتروبولين، الذي يؤكد على الوجود القومي الصهيوني فيها، ونقل جميع الوزارات والمؤسسات السلطوية إليها، إضافة إلى ضمّ المستوطنات في الجنوب حتى الخليل، وإلى البحر الميت شرقاً، حتى حدود رام الله في الشمال، يشمل مشروع المتروبولين إضافة مستوطنات جديدة تحيط بالقدس، مع إقامة مصانع للهايترك، ومطار حديث، وأماكن سياحة، ضمن المشاريع الاستيطانية التي ستقام في قلب المتروبولين⁽¹⁾.

وبناء على ما ذكر ستتجه الأوضاع في فلسطين بعامة والقدس بخاصة، نحو التعقيد، بخاصة بعد حكومة نتنياهو الشديدة التطرف، التي تعتمد على وزراء متطرفين عقدياً، يرون أن مرحلة تنفيذ السيطرة الكلية على المسجد الأقصى، تمهيدا لبناء الهيكل على سبيل المثال قد بدأت، إضافة إلى الاستمرار في تهجير سكان القدس بأساليب شتى، منها سحب الهويات المقدسية، ومنع تراخيص البناء، والهدم المتعمد والغير قانوني لبيوت المقدسيين، وتجريد أهل القدس من جميع حقوقهم كما يحدث الآن، وعليه فقد باتت قضية القدس إحدى أهم القضايا التي أهملت منظمات الأمم المتحدة ولم تعد على جدول حتى مشاريع السلام المقترحة من الدول الكبار، رغم موافقة منظمة التحرير الفلسطينية على إقامة الدولة الفلسطينية على حدود 1967 واعترافها بدولة الكيان، وعلى الرغم من سيطرة دولة الكيان على ما تبقى من القدس (القدس الشرقية)، وبناء الجدار الذي يعزلها عن عمقها الوطني والديني والاجتماعي مع المدن الفلسطينية الأخرى، وهو ما يدعونا إلى فرضية نقاش وضعها

(1) انظر: سالم، وليد، حكومة المستوطنين: المتروبولين وضم المنطقة ج، مركز الناطور للأبحاث والدراسات،

<https://natourcenters.com/%D8%AF-%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%AF-.2021/6/19>

القانوني على ضوء ما احتوته صفقة القرن الذي ربما يتغير اتجاهه وما ستؤول إليه الأمور بعد معركة طوفان الأقصى، باعتبار ما أسست له صفقة القرن من تغيير في مسار ما يسمى بالمفاوضات حول القضية الفلسطينية، فقد نَحَّت تلك المفاوضات أصحاب الشأن، وصارت تفاوض الدول العربية حليفة أمريكا وإسرائيل في المنطقة، وهو ما شكل خطراً داهماً على القدس والشعب العربي الفلسطيني في مسعى جاد وحقيقي نحو التخلص من قضية فلسطين عالمياً.

المطلب الثالث: القدس بين نتائج تجميد مواد القانون الدولي إلى فشل مشاريع التسوية وخطورة صفقة القرن.

واجهت القدس العديد من أنواع أساليب الاستيطان والتهجير الديمغرافي لأهلها ولم تجد نفعاً جميع المواد القانونية الدولية التي صدرت عن الأمم المتحدة بجميع هيئاتها منذ عام 1947م وحتى يومنا لإنقاذ القدس من التقسيم بداية إلى الاستيلاء على عقاراتها وأراضيها حتى تهجير سكانها بمختلف الأساليب الاستعمارية وسياسة الاستيطان وتغيير معالمها التاريخية وهويتها العربية الإسلامية .

المسألة الأولى : التفريغ الديمغرافي

في ظل السيطرة الإسرائيلية على المدينة المقدسة والاستمرار في عملية تهويدها وفصلها عن محيطها العربي الإسلامي والفلسطيني، ونظراً لعمق ما تتمتع به القدس من مكانة دينية وتاريخ طويل فإن عملية نزاعها من أصحابها من قبل دولة الكيان كانت على رأس أولوياتها، بتفريغها ديمغرافياً من العرب الفلسطينيين، ثم تغيير معالمها الدينية والتاريخية، والاستيلاء على عقاراتها وأراضيها، كما فعلت في القسم الغربي منها بعد احتلالها عام 1948م، ورغم ما يواجهه المقدسيون من أنواع التضييق على حياتهم فيها فإن التعداد السكاني يميل لصالح المقدسيين فيها حتى إحصاء عام 2018، فقد بلغت نسبة المقدسيين العرب 497606 ألف وستمئة وستة فلسطيني مقابل 313 ألف مستوطن، سيتزايد

هذا العدد اذا ما تم ضمّ 397 الف مستوطن من مستوطنة غوش عتصيون، صادر عن معهد جامعة القدس للدراسات والأبحاث⁽¹⁾.

وستبين الباحثة كيفية التفريغ الديمغرافي من خلال المباحث اللاحقة، التي تتساق مع الواقع في مدينة القدس، لأسباب أهمها : تجميد ما يُدعى القانون الدولي منذ الإعلان عن تقسيم فلسطين وإنشاء دولة الكيان.

المسألة الثانية: فشل جميع مشاريع التسوية فلسطينياً وعربياً

مدينة القدس وبسبب عدم التقدم خطوة واحدة نحو تحريرها وبسبب عمليات التطبيع العربية التي تجري على قدم وساق مع دولة الكيان، فإنه بات من المستحيل الاعتراف بالقدس عاصمة فلسطينية ضمن مشاريع التسوية، بسبب الواقع الذي فرضته ولا زالت تفرضه دولة العدو فيها، هذا في حال لو تم التأكد أنّ مشاريع التسوية هي الطريق الأمثل كطريق لاسترداد القدس وإقامة الدولة الفلسطينية على أراضي عام 1967، وعليه فإن إخفاق أي مشروع تسوية عربياً أو بين النخب السياسية الفلسطينية وبين دولة العدو سيكون سببه عدم الاتفاق على حلول حقيقية بشأن قضية القدس، وهذا هو ما تسعى إليه دولة الاحتلال بمساندة الموقف الأمريكي المعرقل لمشاريع التسوية، والمراهن على تصفية قضية القدس وإخراجها نهائياً من المفاوضات التي تعتبر أعظم إنجازات الصهيونية المسيحية، لكسب مزيد من الوقت حتى إعلان ما تنتظره من نزول المسيح وبداية الحكم الألفي.

المسألة الثالثة: المواقف الأمريكية السياسية الداعمة لدولة الاحتلال بشأن تهويد القدس.

فبعد الاطلاع تاريخياً على المواقف الأمريكية الممنهجة تجاه القدس سيبدو واضحاً منذ عام 1947 أن الولايات المتحدة الأمريكية اتجهت نحو بقاء الوضع في القدس على ما هو عليه بعد احتلال إسرائيل للقسم الغربي وإن لم تعترف بسيطرة كل من إسرائيل والأردن عليها ورفضت نقل السفارات إليها، ولم تنقل سفارتها إليها، ولكن على أرض الواقع كانت ولا زالت سيدة التناقض بين القول والفعل في قضية القدس وقضية فلسطين بشكل أوسع، بل انحيازها لدولة الكيان رغم أنها الراعي لعملية ما

(1) بتصرف: سالم، وليد، القدس بين التفاوض الممكن والتسوية المستحيلة، المقدسية، معهد جامعة القدس للدراسات والأبحاث، ص 140 .

يسمى بالسلام لحل ما تدعوه النزاع العربي الإسرائيلي، وفي حقيقة الأمر هذا ما ثبتت عن الإدارات الأمريكية المتعاقبة التي أيدت تدويل القدس سابقاً، لضمان عدم سيطرة أي طرف عربي عليها، وهي تعلم يقيناً سيطرة إسرائيل عليها على الرغم من تصريح ممثلها في الأمم المتحدة عام 1969، ثم الرئيس جيمي كارتر عام 1978 أن القدس الشرقية أرض محتلة⁽¹⁾، هذا الدهاء السياسي الأمريكي والأممي الغربي في هيئة الأمم هو الذي منح دولة الكيان المساحة الزمنية الكافية لفرض قوتها العسكرية واحتلال ما بقي منها في القسم الشرقي، أما بعد عام 1967 فقد استمرت أمريكا في تأييد قرار تدويل القدس شكلياً، لمنح إسرائيل المزيد من فرص الهيمنة على المدينة وتهويدها، وتصدت لكل قرار أممي صدر لوقف همجية وعدوان الاحتلال على القدس، ثم استمرت في دعمها من على جميع المنصات الدولية على الرغم من خرق إسرائيل بصفقتها دولة محتلة لما يعتبرونه القانون الدولي الذي فُصِّلَ في أروقة عصابة الأمم وهيئة الأمم فيما بعد على مقاس مصالح الدول الغربية وتمدها في دول العالم بمسميات التنمية وحقوق الإنسان وتحرير الشعوب، بينما أكد جميع رؤساء البيت الأبيض خلال ترشحهم وبعد فوزهم بالرئاسة على أن القدس عاصمة إسرائيل الموحدة وستبقى كذلك، فمن كلينتون الذي اتخذ الكونغرس الأمريكي في عهده قرار نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس عام 1995، إلى إدارة الرئيس جورج بوش، الذي أصرَّ على البدء في عملية نقل السفارة، إلى باراك أوباما 2008، وهو من أعلن أن القدس عاصمة إسرائيل الموحدة ولن تقسم، ووصولاً إلى ترمب، كانت الإدارات الأمريكية المتعاقبة في البيت الأبيض تؤجل قرار نقل السفارة لمدة ستة أشهر⁽²⁾ متجددة وحين استلم إدارة البيت الأبيض الرئيس ترمب أشعل أتون الصراع على القدس بصفقة القرن بعد نقله السفارة فعلاً من تل أبيب إلى القدس في افتتاح رسمي⁽³⁾ صممت أغلب دول العالم عن تأييده.

(1) بتصرف: المجالي، عبد الحميد مسلم، القدس احتلال وتهويد ومفاوضات في طريق مسدود، ص 179، حوليات آداب عين شمس، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، 2011.

(2) المجالي، عبد الحميد، القدس احتلال وتهويد ومفاوضات في طريق مسدود، ص 179-189، المصدر السابق.

(3) انظر: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطينية (ماس) الرؤية الأمريكية الإسرائيلية لإنهاء القضية الفلسطينية: الأبعاد الاقتصادية والآثار المحتملة للتطبيق، ص 2، شباط 2020.

المبحث الرابع : التأثيرات السلبية لدولة الاحتلال على مدينة القدس رغم اتفاقيات السلام والمفاوضات بين الجانبين الإسرائيلي- الفلسطيني.

دأبت دولة الاحتلال ومنذ بدء عملية المفاوضات على عدم جديتها أمام الهيئات الدولية الراعية ومع شركاءها الفلسطينيين، بل اعتبرتتها مجرد كسب للوقت للسيطرة على القدس وتهويدها بالكامل وحتى الفضاء فيها.

المطلب الأول: الأطماع الصهيونية في السيطرة على المسجد الأقصى.

لم تتوانى دولة الكيان منذ سيطرتها على كامل مدينة القدس باحتلالها للقسم الشرقي في محاولاتها المستمرة للسيطرة على الحرم القدسي وبرز هذا الأمر بعد حرب حزيران 1967م لتحقيق مبيغها في تحويله إلى مكان عبادة لليهود باعتباره وفق عقيدتهم الدينية قد أنشئ على أنقاض الهيكل المزعوم.

المسألة الأولى: محاولات الاحتلال المتكررة للاستيلاء على المسجد الأقصى.

وبدأت فعليا قبل قيام دولة إسرائيل أول محاولة صهيونية للاستيلاء على حائط البراق عام 1929 في عهد الاحتلال العسكري البريطاني للقدس، وكان رد فعل المقدسيين والفلسطينيين في أنحاء فلسطين عنيفا⁽¹⁾، لتنفجر انتفاضة البراق، لم تقف دولة الصهاينة يوما خلال مدة اغتصابها القدس، وبخاصة بعد حرب حزيران 1967 عن محاولاتها المتكررة للسيطرة على الأقصى، لتحويله إلى مكان عبادة لليهود⁽²⁾ وقد جاءت خطوة جريمة محاولة حرق الأقصى عام 12/1969/اب ضمن القضاء على الهوية الحضارية العربية الإسلامية لمدينة القدس، تمهيدا لتهويدها كما فعلت في قسمها الغربي بعد عام 1948، وبعد أن هبَّ المقدسيون للدفاع عن مسجدهم، وإطفاء النيران بطرق بدائية تبين مقدار ما

(1).انظر: بركو، عبد بن محمد، المسجد الأقصى المبارك والهيكل المزعوم، ص73-74، ط1، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1431هـ - 2010م.

(2) انظر: أبو حمدة، محمد علي، المسجد الأقصى المبارك وما يتهدده من حفريات اليهود، ص64-65، الناشر: مطبعة الرسالة الحديثة، عمان 1402هـ - 1982م.

أنت عليه النيران من المسجد، ومقدار الأضرار الجسيمة التي استلزمت سنوات عديدة لإعادة إعمارهِ، وأثمن ما أنت عليه نيران المحتل منبر صلاح الدين الأيوبي، الذي وضعه فيه بعد أن استعاد بيت المقدس من الاحتلال الصليبي عام 1187⁽¹⁾، ومع تكرار اقتحامات الأقصى من دولة الاحتلال، وبعد احتلال باقي المدن الفلسطينية مع غزة 1967، ازدادت شهوة حكومات إسرائيل في السيطرة على الأقصى، لهدمه وإقامة ما تسميه (الهيكل الثالث) مكانه، ولكنها آثرت التريث بناءً على نبوءاتها التي تزعم ان إقامة الهيكل لن تكون إلا بأمر الرب، فسعت الى تقسيمه زمانياً ومكانياً⁴،

وبينما تعاضمت ردود أفعال المقدسيين والفلسطينيين على شكل انتفاضة اطلق عليها انتفاضة النفق شرعت في نفس اليوم الذي تمت فيه عملية افتتاح النفق أسفل المسجد بما يحيط به من أبنية ومساكن وعقارات للمقدسيين بطول يبلغ 450 متر بزعامة حزب الليكود اليميني ورئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، بعد أن أخفقت محاولات فتحه مرتين قبل هذا التاريخ، الأولى كانت في عام 1988م، والثانية في عام، ومع استمرار الحفريات منذ احتلال القسم الشرقي من القدس، حتى يومنا هذا في محاولات يائسة للعثور على بقايا الهيكلين الأول والثاني كما تدعي دولة الاحتلال ظهر إخفاق تنقيباتهم وحفرياتهم، فالآثار التي وُجدت أسفل المسجد الأقصى هي آثار إسلامية، ووفق أباطيلهم فإنهم يعتقدون أنّ المسجد الأقصى بجميع مساحاته هو المكان ذاته الذي شيّد فيه الملك داود معبداً للرب، ووضع فيه تابوت العهد منذ العام 1006 ق. م، ولم يكمله، فأوصى به إلى ابنه الملك سليمان⁽²⁾

المسألة الثانية: ما بعد المفاوضات.

وخلال مفاوضات كامب ديفيد الثانية 2000م ظهر للعيان أنّ ما يجري من مفاوضات من طرف الجانب الرسمي لدولة الكيان كان مجرد كسب للوقت، وبخاصة فيما يتعلق بالقدس والمقدسات، دلّ على هذا إصرار المؤسسة الدينية اليهودية من خلال مرجعياتها وحاخاماتها، بعد إيعازها لرئيس وزراء

(1) انظر: عبد المحسن مصطفى عبد الرحمن، محمد، تاريخ المسجد الأقصى ومستقبله في مواجهة التحديات الإسرائيلية، ص 126-128، ط1، مركز محكمات للبحوث والدراسات، 1442هـ-2021م.

(2) رائف، يوسف نجم، الحفريات الاثرية في القدس، ص 139-143، دار الفرقان، 2009م.

إسرائيل في ذلك الوقت إيهود باراك بعدم تقديم أي تنازل عن جبل الهيكل - الحرم القدسي الشريف - كما تسميه، باعتباره أكبر مقدسات اليهود في القدس، إضافة إلى نشاط العديد من حركات التطرف اليهودية المتشددة التي أُسِّت لأجل استعادة جبل الهيكل، وهدم المسجد الأقصى، وأشهرها جماعة جبل الهيكل، التي تعمل منذ سنوات على تهيئة جماعات يهودية ضمن تربية خاصة في كيبوتسات خاصة للاستيلاء على المسجد الأقصى وهدمه، تُغذيها معتقدات تورانية وتلمودية، أهمها عودة اليهود إلى ما تُسميه (أرض الميعاد) وتحرير جبل الهيكل من المسلمين، لبناء الهيكل فيه، وعندما كانت أوامر حاخاماتهم تمنع دخول اليهود وغير اليهود إلى المسجد الأقصى منذ أوائل القرن الماضي، بـجّة عدم تدنيسه باعتباره مكاناً مقدساً، أصدرت رئاسة الحاخامية في القدس بعد ذلك أوامرها الصلاة في جميع مساجد المسلمين وبخاصة المسجد الأقصى ضمن محاولة السعي لتقسيمه، كما حدث في المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل، إضافة إلى قيام دولة الاحتلال بسن قوانين تُخول اليهود الدخول والصلاة في الأقصى بعد عام 1967 مباشرة للسيطرة عليه، مثل قانون "حرية الوصول إلى

الأماكن المقدسة" و"قانون الحفاظ على الأماكن المقدسة" و"قانون حرية العبادة" 1967/6/27م، الهدف من هذه القوانين تقسيم الأقصى، خطوة سابقة للسيطرة عليه، ثم هدمه فيما بعد، لتحقيق الرؤى التوراتية، وإقامة الهيكل الثالث مكانه، أتاحت تلك القوانين لمزيد من الاقتحامات اليهودية للمسجد، الأمر الذي أحدث صدمات دموية في ساحاته بين أجهزة شرطة الكيان وبين الفلسطينيين، مع إصرار من حكومات إسرائيل برفض الاعتراف بالأقصى مكاناً مقدساً للمسلمين فقط، تبريراً لاقتحامات الصهاينة له والصلاة فيه، وعليه خرج مقترح أو مشروع قانون من الكنيست من أعضاء داخل حكومة الائتلاف الحاكم في تشرين الثاني 2014 سُمِّي: "المساواة في المكانة المدنية والدينية بين اليهود والعرب في جبل البيت"¹، هذا الكيان الغاصب الذي لم يعترف بأي من حقوق الفلسطينيين المشروعة تحت الاحتلال يطالب من خلال مشروع هذا القانون بالمساواة ! فقط لتسهيل دخول المغتصبين الصهاينة للصلاة في الأقصى، وبُغية تحقيق مآربهم فيه، بنقسيمه زمانياً ومكانياً تساوقاً مع عمليات الحفر أسفل، والتي تصل إلى قبة الصخرة والمساحات بينها وبين المصلى القبلي وحائط البراق الذي تم اغتصابه كلياً بعد عام 1967، ليُدْمَر جيش تلك الدولة الأحياء العربية حوله، مثل حارة الشرف وحارة المغاربة، وعلى الفور قامت بتشديد الكنس فيه، مع انتهاك صارخ لمعالمه الإسلامية، وهي تعلم يقيناً حقيقة ملكية هذا الحائط فهو إرث لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه أوّل من نزل فيه مع بُراقه، لذلك سُمِّي حائط البراق، استمرت حفريات دولة يهود في الحفر أسفل الأقصى حتى تم اكتشاف

المَمَر المؤدي إلى مكان بئر قايتباي سنة 1981 في المسجد، ولكنه أُغلق، ولا زالت بلدية القدس تعمل بالحفر أسفل الأقصى وحوله، بتعزيز من الحكومات الإسرائيلية منذ ما يربو على الثلاثين عاماً لمساعدة الرب كما يقولون في احتلال لقواعد وأساسات المسجد الأقصى، بعد وصولها إلى عمق سبعة عشر متراً، لإحلال الكُنس اليهودية فوق كل ما تجده في طريقها أسفل المسجد من آبار وزوايا وأرضيات أُفرغَتْ من الحجارة الضخمة، التي تعتبر من أساسات المسجد، جميعها حَوَّلَتْها لأماكن عبادة لليهود، وأبرز تلك الحكومات حكومة بنيامين نتنياهو، سرقة واضحة لمعالم التاريخ، وتزوير ومسح لكل ما هو إسلامي وعربي، بهدف خلق بصمة يهودية على المكان، وأمّا أعظم مخططاتها فكان العمل على ربط ساحة البراق مع الحفريات أسفل المسجد، لتحقيق فرضية الاحتلال بأن ما هو فوق الأرض للمسلمين، وما تحت أرض المسجد لليهود، وهو ما رفضه عرفات في سياق المفاوضات في كامب ديفيد⁽¹⁾

المطلب الثاني: التعليم والعملية التربوية في مدينة القدس في ظل الاحتلال.

أيقنت دولة الاحتلال الصهيوني أهمية دور العملية التعليمية والتربوية لأسرلة القدس فعمدت إلى إخفاق دورها لتجعل منها منظومة تساهم في السير نحو تهويد الإنسان والحجر والمقدسات في المدينة المقدسة.

المسألة الأولى : بعثرة منظومة العملية التعليمية وصعوبة سيرها.

كان وما زال التعليم في القدس أهم مسرحاً لعوامل تهويد القدس وأسرلتها¹ لدى حكومات الاحتلال، إضافة إلى ما تعانيه مدينة القدس في مجال التعليم، بسبب تعدد مشارب القائمين عليه⁽²⁾ ففي القدس وحدها من بين مدن العالم يوجد هذا التشنيت في العملية التعليمية، مما يترك أثراً سلبياً على البيئة التعليمية، فمدارس الاحتلال تتشكل من مدارس البلدية، ومدارس المعارف، ومدارس المقاولات، وهي

⁽¹⁾الرؤيا المستقبلية للحرم القدسي الشريف ومحيطه Quds al Hawliyt مؤسسة الدراسات الفلسطينية.2014

⁽²⁾:انظر: تهويد مدينة القدس 1967-2016 خطوات حثيثة نحو الأسرلة، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، محكمة، جامعة بني غازي، المؤلف : عمرو، نعمان عاطف سالم / العدد 24، 2016.

المدارس الخاصة التي تقوم على المنهاج الإسرائيلي، وهناك مدارس تتبع وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين، وأخرى تتبع الأوقاف الإسلامية والمسيحية، وأخرى قطاع خاص، وهذه سائرة بدورها نحو الانضمام إلى مدارس المنهاج الإسرائيلي الممول من المعارف الإسرائيلية، ومن أبرز مظاهر سلبيات العملية التعليمية في مدارس القدس: بعثرة المنظومة التعليمية بين الجهات السابقة، وانخفاض رواتب المعلمين، والمباني التي لا تصلح للعملية التعليمية، كونها بيوت قديمة مستأجرة، إضافة إلى اكتظاظ الصفوف وتسرب الطلبة المقدسيين، بسبب عدم بناء مدارس حديثة لصعوبة الترخيص من بلدية الاحتلال التي ترفض ذلك، والأمر الأشد تأثيراً على سير العملية التعليمية في القدس هو صعوبة وصول الطلاب إلى مدارسهم، بسبب ما تعانيه المدينة من حصار وحواجز حولها تقطعها عن أحيائها وبلداتها وبسبب الجدار أيضاً، الذي فصل القدس عنها، إمعاناً من بلدية الاحتلال في تهويد العملية التعليمية في المدينة المقدسة، وبخاصة بعد إقرار مشروع القانون الإسرائيلي الخاص بتهويد قطاع التعليم في المدينة، القاضي أولاً بتطبيق المنهاج الإسرائيلي في المدارس العربية، وفقاً لوزارة المعارف الإسرائيلية التي حذفت قبل هذا من المنهاج الفلسطيني، النشيد الوطني الفلسطيني، وآيات الجهاد من التربية الإسلامية والمادة التاريخية الخاصة بحروب النكبة 1948، والنكسة 1967، وموضوع تأسيس وكالة غوث اللاجئين، ودروس تحث المسلمين على الجهاد، وتلك الخطوات شكّلت بدايات تهويد عملية التعليم في القدس، لتنتهي بما هو عليه واقع التعليم اليوم، بعد إتمام نشر منهاج وزارة المعارف، وإخضاع جُل مدارس القطاع الخاص إلى النظام التعليمي لوزارة المعارف، وتقليص عدد المدارس التابعة لوزارة التعليم في السلطة الوطنية الفلسطينية في المدينة¹.

المسألة الثانية: أبرز العراقيل التي تذهب نحو أسرلة التعليم في القدس.

ووفق إحصائية لعام 2015 فإن أبرز العراقيل التي تذهب نحو أسرلة التعليم في القدس هي:

1- افتقار المدينة لأكثر من 300 غرفة صفية والحاجة إلى إنشاء حوالي عشرين مدرسة جديدة لاستيعاب الطلبة.

2- العمل لعودة ما مقداره 19 ألف طالب مقدسي إلى مقاعد الدراسة.

3- إيجاد آلية لسرعة وصول الطلبة إلى مدارسهم.

- 4- عوائق تتعلق بأماكن إقامة لما يربو على 30 ألف طالب خارج القدس مهددين بفقدان مقاعدهم الدراسية في المدينة، لصعوبة الوصول إليها⁽¹⁾.
- 5- صعوبة وصول معلمين الضفة ويشكلون 30% إلى أماكن عملهم في مدارس القدس بسبب الحواجز العسكرية.
- 6- صعوبة الآلاف من الطلبة أيضا من الوصول إلى مدارسهم بسبب تلك الحواجز.
- 7- فرض القانون الإسرائيلي على جُل مدارس القدس وعلى مراحل، وهو ما يشمل عملية تهويد العملية التربوية بالكامل⁽²⁾.
- 8- أعداد الطلبة المقدسيين التي تتزايد في المدارس الإسرائيلية 39189 ألف طالب مقارنة بالأعداد التي تتناقص في المدارس العربية 30270 ألف طالب نتيجة لسياسة التهويد.
- 9- نقص شديد في الميزانية الخاصة بالمدارس العربية 700 ألف شيكل مقابل ثلاثة ملايين ونصف لمدارس اليهود.
- 10- المضي قُدماً من وزارة المعارف الإسرائيلية في عملية حذف وتبديل كل ما يتعلق بالتاريخ الفلسطيني، وبخاصة منذ أحداث النكبة في مناهج الأوقاف والمدارس الخاصة التابعة الآن للسلطة الفلسطينية من آيات تحث على الجهاد أو أحداث تقسيم فلسطين، وما حدث في النكبة والنكسة وما تلاها من تأسيس لوكالة غوث اللاجئين، ودروس من مادة التربية الإسلامية تحث المسلمين على الجهاد وتحرير أرض المسلمين.
- 11- واستمراراً لعملية انهيار العملية التعليمية في القدس ضمن مشروع أسرلة وتهويد المدينة شكّلت بلدية الاحتلال ما سُمّي بالخطة الخمسية التي تقضي بنودها تحقيق المساواة في الرفاهية والتعليم بين قسبي المدينة الشرقي والغربي، من خلال تخصيص ميزانية الانفاق على التعليم بوجه خاص، لتعزيز الوجود الإسرائيلي فيها، وتحقيق ما يرنو إليه اليمين المتطرف، من قضم للوجود الفلسطيني فيها بشكل عام.

(1) بتصريف: المصدر السابق.

(2) بتصريف: نفس المصدر .

12- بعد ترأس نفتالي بنيت للحكومة أعلن أنّه حان وقت توحيد المناهج التعليمية في شرقي القدس، من خلال المنهاج الإسرائيلي فقط، لخلق نموذج متصهين من الطلبة المقدسيين، وبذلك تتم السيطرة على الأجيال الصاعدة ضمن التوجهات الصهيونية كما تخطط لها دولة الاحتلال⁽¹⁾

13- نصت اتفاقية أوسلو على احتواء المناهج التعليمية في مدارس مدن الضفة الغربية، بما فيها مدارسها في شرقي القدس على تعزيز التسامح بين الشعبين، والامتناع عن التحريض لبناء ما سُمّي جسور التفاهم بينهما، والدفع بعملية السلام من خلالها وبخاصة في مدارس القدس.

14- وعليه روقبت تلك المناهج منذ العام 2000 من قبل مؤسسات صهيونية أنشئت خصيصاً لمراقبة المنهاج الفلسطيني في مدارس القدس بخاصة، والعمل على توجيهها وفق المخططات الصهيونية، لأسرلة التعليم باعتباره بوابة تهويد المدينة المقدسة، أهم تلك المؤسسات مؤسسة جورج أيكريت التي بدأت عملها بتحليل مواد المنهاج الفلسطيني منذ العام 2001، إضافة إلى المنهاج الإسرائيلي، غير أنّه غير خافياً أنّ إنشاءها كان لمراقبة المنهاج الفلسطيني وتحليله.

15- ومع بداية العام 2010 بدأت مديرية التربية والتعليم التي تتبع السلطة الفلسطينية في القدس بالاستعانة بشركات إسرائيلية خاصة، لمراقبة مواد المنهاج الفلسطيني، ومن خلال الحذف والتغيير والتبديل استطاعت تلك الشركات تحريف المنهاج الفلسطيني، نحو طمس الهوية السياسية الفلسطينية وتعزيز الوجود اليهودي في المدينة على حساب الوجود الفلسطيني. .

16- في العام 2011 اعتمد المنهاج الإسرائيلي في جميع المدارس العربية التابعة لبلدية الاحتلال، في المدينة، بل زحف المنهاج الإسرائيلي نحو المدارس الخاصة، التي مؤلّت من قبل بلدية الاحتلال، وبتهديدها بالإغلاق في الأعوام 2023-2024 إن لم تطبق المنهاج الإسرائيلي⁽²⁾.

(1) قدح، أنوار، التعليم في القدس : الأداة الاستعمارية الناعمة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2022/10/12.

(2) انظر: يعقوب، هشام مخططات الاحتلال لتهويد القدس ص83، تهويد القدس والياته المواجهة السياسية والإعلامية، أوراق بحثية ضمن ورشة العمل التي عقدت في بيروت 2016/10/26 مؤسسة القدس الدولية ط1، يناير 2017_1438 بيروت .

2 انظر: قدح، أنوار، التعليم في القدس : الأداة الاستعمارية الناعمة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2022/10/12.

17- حاول الاحتلال ولا يزال فرض المنهاج الإسرائيلي بعد رفضه من المقدسيين عام 1967، لكنها أخفت بداية حتى اتفاقية أوسلو عام 2014-2015، لتبدأ باستغلال الواقع المتردي للعملية التعليمية في القدس المحتلة، بتطبيق المنهاج الإسرائيلي في عدة مدارس تتبع وزارة التعليم الإسرائيلية في صور باهر، وبيت حنينا، ومنطقة الشيخ جراح.

18- واستمراراً لأسرلة التعليم في القدس لعبت وزارة التعليم الإسرائيلية على تعدد الخلفيات التعليمية في القدس⁽¹⁾، فأغلقت مكتب المديرية التابع للسلطة الفلسطينية في القدس، ولا زالت تحارب مدارس وكالة الغوث، إضافة إلى ما تنتهجه من أساليب مختلفة لمحاربة المدارس الخاصة⁽²⁾.

19- وعليه سيكون الاستنتاج منطقياً أنّ المنهاج الفلسطيني حوَّرب بضرورة منذ احتلال إسرائيل للقدس الشرقية، 1967 الذي قُضم تدريجياً و نهائياً بعد اتفاقية أوسلو، لتصبح العملية التعليمية في القدس تسير وفق غول الأسرلة والتهويد والمنظومة التعليمية الصهيونية، التي تخالف بالمطلق مناهج الحياة والواقع للأجيال المقدسية التي ما زالت وستبقى ترى في اليهود الصهاينة محتلون لا أكثر، هذا ما تُورثه الأجيال المقدسية جيلاً بعد جيل ليبقى هو الواقع الحقيقي البعيد عما يحتويه المنهاج الإسرائيلي.

(1) بتصرف : عاطف سالم، نعمان تهويد مدينة القدس 1967-2016 خطوات حثيثة نحو الأسرلة مجلة العلوم والدراسات الإنسانية محكمة جامعة بني غازي، العدد 24، 2016، مصدر سابق.

(2) بتصرف نفس المصدر.

المطلب الثالث: تآكل الوضع الاقتصادي في القدس وصولاً إلى مرحلة انعدامه.

تردت قطاعات الوضع الاقتصادي في القدس بعد عام 1967 تدريجياً، فقد عملت دولة الاحتلال على انهيار جل الحركة الاقتصادية التي اعتمد عليها المقدسيون في مختلف القطاعات الاقتصادية والتجارية مثل السياحة والتجارة والمنشآت الصناعية الصغيرة أصلاً، لتصل قمة الانهيار للوضع الاقتصادي بعد إقامة الجدار العازل.

المسألة الأولى: الجدار العازل أتى على الوضع الاقتصادي بين القدس وباقي المدن الفلسطينية.

كان من المفترض أن يعتمد الاقتصاد المقدسي على القطاع الخدماتي والتجاري والسياحي والمنشآت الصناعية الصغيرة الحجم التي تتبعهما، فالصناعة شكلت نسبة ضئيلة من هذا القطاع، فلا وجود لمنطقة صناعية في القدس، هذا كان قبل احتلال القدس الشرقية 1967، واستمر في التضاؤل، بسبب احتلال المدينة شيئاً فشيئاً، حتى بلغ مداه بعد إقامة الجدار العازل حول القدس، وانقطاع القدس عن التجارة مع المدن الفلسطينية، وبسبب تضاؤل المنشآت الاقتصادية داخل حدود المدينة وحولها التي تعتبر اليوم خارج حدودها في المدن الفلسطينية أيضاً بسبب الجدار العازل، فلا مجال لاستيعاب العمال المقدسيين الذين يتكونون من خريجي الجامعات، والفئات التي تسربت من التعليم، وخريجي الثانوية العامة، فسوق العمل الإسرائيلي لا يستوعب من العمالة المقدسية سوى 35-40% منهم، والباقي يتوجهون إلى العمل في السوق الفلسطيني في المدن الفلسطينية في القطاعين: العام الذي لا يستوعب سوى 10% منهم، والخاص الذي بات يحمل العبء الأكبر لتشغيل هؤلاء، وبسبب الجدار تجشم العمال المقدسيون والعمال من المدن الفلسطينية الذين يعملون في القدس مصاعب عَصِيَّة على الحل، لتزداد نسبة البطالة بين الشباب المقدسي، عدا عن الفئات الأخرى، كالسجناء الأمنيين الذين تمنع سلطات الاحتلال دمجهم في أي مؤسسة لتشغيلهم، وعليه فإن نسبة البطالة في القدس وصلت إلى 23% عام 2002 ممن يحملون الهوية الزرقاء، ووفق تقديرات رئاسة الوزراء في السلطة الفلسطينية فإن 27% من البطالة المتفشية في المدينة سببها عدم وجود سوق عمل، فيما لو أخذنا بوجود المنشآت الصناعية الصغيرة التي تستمر في التضاؤل بعد الحصار الخانق للقدس بسبب الجدار، ولقد أسهم في الانهيار الاقتصادي للمقدسيين عبر سنوات الاحتلال إغلاق جميع المؤسسات

الفلسطينية في المدينة، كالعرفة التجارية، وبيت الشرق، والمؤسسات الخيرية، والنوادي وغيرها، مثل مؤسسة المشاريع الصغيرة، والمجلس الأعلى للسياحة، ومؤسسات أجنبية، والنقابات المهنية التي انتقلت مكاتبها قسراً إلى مدن الضفة الغربية، عدا عن إغلاق العديد من المؤسسات الثقافية التي فقدت جهات التمويل الخاصة بها. هذا الواقع الذي أثار في القطاع الاقتصادي سلباً وبصورة تدريجية ومستمرة⁽¹⁾، الأمر الذي سبب ضعفاً في موارد الرزق للكثير من الأيدي العاملة التي فقدت وظيفتها في المدينة، نتيجة الفراغ الناتج عن إغلاق تلك المؤسسات، وبسبب إجماع دفع ميزانية للتنمية في المدينة من السلطة الفلسطينية، بموجب قرارات اتفاقية أوسلو، التي نصت على تأجيل موضوعات القدس إلى المباحثات النهائية.

المسألة الثانية : ضرائب الاحتلال بما فيها ضريبة الأرنونا أنهكت الوضع الاقتصادي للمقدسيين.

- حيثيات الوضع الاقتصادي في القدس أرغمت المقدسيين على ربط معيشتهم وحياتهم اليومية بنظام المحتل الاقتصادي الذي لا يرحم الذي يسعى إلى تهجيرهم من المدينة تحت ضغط قوة قاهرة لا علاج لها⁽²⁾.
- فالضرائب الباهظة التي يفرضها الاحتلال على العقارات تجارية كانت أو سكنية أو سياحية، كالفنادق، والمطاعم، وغيرها أسهمت في ضرب الحركة السياحية والتجارية في القدس المحتلة.
- معاناة الحركة التجارية في القدس من ضرائب الدخل إضافة إلى ضريبة الأرنونا التي تُفرض بقياس الأمتار على البيوت و المحلات والمؤسسات.

(1) انظر: القدس تهديدات ومخاطر/ الأمانة العامة لمجلس الوزراء / اعداد دائرة البرنامج الحكومي / الإدارة العامة لجودة الأداء الحكومي. 2007 / ص1-14.

(2) بتصرف: يعقوب، هشام مخططات الاحتلال لتهويد القدس ص65 تهويد القدس والياتة المواجهة السياسية والإعلامية، أوراق بحثية ضمن ورشة العمل التي عقدت في بيروت 2016/10/26 مؤسسة القدس الدولية ط1، يناير 2017_1438 بيروت مصدر سابق.

• عملت الجهات المختصة لدى دولة الاحتلال على تشجيع النشاط التجاري ونقله في القسم الغربي من المدينة، مما أوجد حالة من القصور التجاري في مدينة القدس القسم الشرقي، الأمر الذي سبب أوضاعاً معيشية مزرية للمدينة وسكانها.

• وقد تسببت القوانين الإسرائيلية والضرائب التي تفرضها على المقدسيين التي بموجبها تُمنع المنتجات الزراعية الفلسطينية من الدخول إلى القدس منذ بدء استلام السلطة الفلسطينية لوظائفها، إضافة إلى أنواع اللحوم والبيض والخضار وغيرها، وازداد التشدد في منع دخولها بعد الانتفاضة الثانية، وأضحت المواد الزراعية والمنتجات الفلسطينية لا تدخل القدس إلا عبر السلطات الإسرائيلية، مما حدا بالسكان المقدسيين إلى التوجه نحو السوق الإسرائيلي رغم الفارق الكبير في السعر للمنتجات الإسرائيلية التي تزيد بنسبة 40-150%⁽¹⁾.

• جميع تلك المسوغات غير الأخلاقية وغير الإنسانية خلقت تنافساً في السوق بين القدس الغربية والقدس الشرقية التي لم يكن بمقدور الشطر الشرقي من مجارة ذلك التنافس مع الشطر الغربي لتتنقل القدرة الشرائية للمواطن المقدسي إلى مركز التجارة في القدس الغربية، وبهذا تكون دولة الاحتلال قد نجحت في استهداف حياة المقدسيين ومعيشتهم، لتضمن تبعية وربط معيشتهم إلى نظامها الاقتصادي.⁽²⁾

(1) انظر: القدس تهديدات ومخاطر، الأمانة العامة لمجلس الوزراء، اعداد دائرة البرنامج الحكومي، الإدارة العامة لجودة الأداء الحكومي.

(2) انظر: القدس تهديدات ومخاطر، ص13، الأمانة العامة لمجلس الوزراء، اعداد دائرة البرنامج الحكومي، الإدارة العامة لجودة الأداء الحكومي

المطلب الرابع: التأثيرات السلبية للاحتلال على الناحية الاجتماعية في المدينة المقدسة.

دأبت دولة الاحتلال منذ سيطرتها على القدس الشرقية في تغيير وجه المدينة نحو خلق واقع ديمغرافي يتسم بالطابع الصهيوني فأحاطت المدينة بالبؤر الاستيطانية إضافة إلى ما نتج عن إقامة الجدار العازل من كوارث اجتماعية بين المقدسيين وذويهم في المدن الفلسطينية.

المسألة الأولى: انقطاع المقدسيين بسبب الجدار العازل عن ذويهم في المدن

الفلسطينية وإحاطتهم بالبؤر الاستيطانية بهدف خلق واقع ديمغرافي لتهويد المدينة.

بعد احتلال عام 1967 وقعت القدس الشرقية تحت نير القوانين الإسرائيلية، لجعلها كأننا لا يمت إلى واقع المدن الفلسطينية الأخرى بوجه من الوجوه بينما استقر الاحتلال بالمدينة وأهلها الذين وجدوا أنفسهم محاطين بقوانين عطلت حياتهم الاجتماعية، وغيرت من ملامح علاقاتهم ومصالحهم في ظل قانون القدس الموحدة عاصمة إسرائيل الأبدية، وقد سارعت عمليات التغيير الديمغرافي من قبل الاحتلال الإسرائيلي للقدس بإحلال المستوطنين اليهود فيها، من خلال بؤر استيطانية بكثافة عالية من المستوطنين اليهود، للتفوق على العنصر العربي في جميع مناطق القدس، لتحيطها بالمستوطنات، للتأكد من سيطرتها عليها، في خطوة استراتيجية نحو السيادة الإسرائيلية المطلقة على القدس، وبهذا استطاع الصهاينة وبمرور الوقت الاستيلاء على الأراضي، لجعل القدس أغلبية يهودية على حساب سكانها العرب⁽¹⁾، خاصة بعد توسيع دائرة حدود بلديتها لتشمل عديد المستوطنات من شمالها إلى جنوبها، إضافة إلى تطبيقها قوانين التهجير القسري، بأساليب عدة حيرت المقدسيين في معالجتها، وفيها مخالفة صريحة علنياً للمادة 49 من اتفاقية جنيف عام 1993، التي تنص على: (يُحظر النقل الجبري الجماعي أو الفردي للأشخاص المحميين أو نفيهم من الأراضي المحتلة أياً كانت دواعيه)، ولكن دولة الصهاينة ضربت بعرض الحائط بكل تلك القوانين، وألغت تصاريح

(1) انظر: القدس تهديدات ومخاطر، ص13، الأمانة العامة لمجلس الوزراء، اعداد دائرة البرنامج الحكومي، الإدارة العامة لجودة الأداء الحكومي.

الإقامة لأكثر من 15 ألف فلسطيني في القدس الشرقية، التي تنطبق عليها موثيق الاتفاقية المذكورة ضمن المناطق التي احتلتها إسرائيل عام 1967⁽¹⁾، إمعاناً منها في السعي إلى تهويد المدينة من خلال أغلبية يهودية، ولكن الأبحاث الإسرائيلية خرجت بنتائج تؤكد عكس ما تسعى إليه، فبينت النتائج لتلك الأبحاث زيادة نسبة السكان العرب، بل هي في تزايد مستمر، فالزيادة السنوية بعد عام 1967 تضاعفت من 3% - 4% بين السكان العرب، بينما تراوح العدد لدى اليهود ما نسبته 3.7%، وقد تفوقت الزيادة السنوية لكل منهما في العقود الأربعة التي تلت عام النكسة إلى 2.7% لليهود، و3.4% للفلسطينيين، وفي تقرير آخر لمعهد القدس للدراسات الإسرائيلية أظهر تزايد أعداد السكان الفلسطينيين في القدس في السنوات العشر الماضية بضعفين، مقابل السكان اليهود وعلى هذا وضحت تقارير أبحاث معهد القدس السابق ذكره إلى ارتفاع معدل السكان الفلسطينيين المقدسيين منذ العام 1967 من 25% من نسبة سكان المدينة إلى 35%، نتيجة التزايد الطبيعي، وفي نتيجة معاكسة لسياسة سحب الهويات من المقدسيين لتفريغ المدينة منهم ازدادت أعدادهم في السنوات الأخيرة، مما حدا برئيس وزراء العدو إلى إعلان مشروع القدس الكبرى، القاضي بتوسيع حدود البلدية، وبذلك يميل التعداد السكاني للمدينة لصالح اليهود، الذي لم تخل دولة المحتل الصهيوني في الإعلان عن إقرارها بقيام هذا المشروع لترجيح كفة عنصر من السكان على آخر في منطقة جغرافية معينة قاعدته العرق البشري ومواصفاته وسلوكه⁽²⁾.

المسألة الثانية: سياسة هدم البيوت أو الاستيلاء عليها وطرد أهلها المقدسيين منها.

في مجتمع يعيش تحت نير احتلال إحلالي صهيوني يستهدف الإنسان والهوية والأرض والشجر والحجر، يقوم على الهوية الدينية أولاً، والعرقية ثانياً. ووفق تقارير لمنظمة هيومن رايتس ووتش فإن الاستيلاء على منازل المقدسيين وطرد أهلها منها تحت بند أنها ملكية ليهود منذ عام 1948 عبر قانون إسرائيلي منذ عام 1970⁽³⁾ تستند إليه محاكم هذا الكيان تقوم السلطات الإسرائيلية باغتصاب

(1) انظر: (المادة 49 من اتفاقية جنيف) المصدر الأمم المتحدة /الاسكوا للجنة الاقتصادية والاجتماعية.

(2) انظر: المصدر السابق (القدس تحديات ومخاطر).

(3) انظر: شاكر، عمر، هيومن رايتس ووتش، من القدس إلى غزة السلطات الإسرائيلية تؤكد هيمنتها مجدداً، 12 أيار

<https://www.hrw.org/ar/news/2021/05/12/378696.2021>

بيوت الفلسطينيين المقدسيين تحت سمع المجتمع الدولي وبصره ومنظماته التي تصدر قرارات لا تعدو كونها مجرد حبر على ورق، تسمح تلك المحاكم بالاستيلاء على منازل المقدسيين، وإحلال يهود فيها، تحت مسوِّغ أنها بيوتهم، ويجب أن تعود ملكيتها إليهم أو لأحد ذرياتهم، وليس ببعيد عنا ما حدث في منطقة الشيخ جراح، وما حدث في البلدة القديمة، داخل السور وخارجه، في سلوان، والطور، وجبل أبوغنيم، من اغتصاب العديد من العقارات والأراضي منذ حرب 1967م وحتى يومنا هذا، وأبرزها ما يُعرف عند المقدسيين ببيت شارون رئيس وزراء الكيان عام 2001-2006م في شارع الواد في وسط الحي الإسلامي، وكان ضمن ملكية الحكومة الأردنية منذ عام 1948م، وهو مؤلف من عدة بيوت، وكنيس، ومكتبة، ادعت سلطة أملاك الغائبين الصهيونية أنه يعود لعائلة يهودية منذ القرن 19م هي عائلة فينتبرغ، وتعقبا على ما تدعي سلطة أملاك الغائبين فإنه من الطبيعي ووفق هندستها التي تجدها طبيعية تماشيا مع السياسة الإحلالية الاستعمارية لدولة الكيان أن أعطت الحق للصهاينة في مطالبتهم بأموالهم ادَّعوا أنهم تركوها بفعل الحرب عام 1948 في القسم الشرقي من القدس، بينما تغط هذا الحق على المقدسيين أصحاب البيوت والعقارات في القسم الغربي من المدينة، ولا يغيب عن هذا البحث ذكر العديد من الجمعيات الدينية المتطرفة التي تعمل لبناء أورشليم لليهود بدون مسلمين عرب فيها، ولو بحجر واحد نحو بداية لعملية أسرلة وتهويد لكل ما هو مقدسي، ومنها جمعية عطريت كوهانيم، وأيضا إسهام الجدار العازل بأكبر نصيب فيها- أي عملية تهويد القدس-⁽¹⁾ ووفق اعتقاد السياسيين والمتطرفين في الدولة فإن توجيه الفكر لدى الأجيال القادمة للمقدسيين نحو تقبل واقع تهويد المدينة بعيدا عن مدن فلسطين الأخرى التي انقطع حياة الشباب المقدسي عنها بالكلية سيسهم في الإسراع في تهويد المدينة، بعد أن يُصبح انتماءه للواقع الذي يفرضه عليه الاحتلال من خلال أدوات التهويد المتعددة : اجتماعيا، واقتصاديا وتعليميا، ووطنيا، وأما عن البناء والمساحة المسموح بها وسياسة الهدم : نصت المادة 147 من اتفاقية جنيف على أن : " أي تدمير او اغتصاب للممتلكات يعتبر انتهاكا صريحا لاتفاقية جنيف" وبما أن اتفاقية جنيف لا تفرض

Human Rights Watch

(1) بتصرف: حسون، نير بين شارع الواد لآم القدس 2015، جريدة هآرتس

<https://www.haaretz.co.il/israelpeaceconvention/israel-peace-convention-arabic/2015->

11-04/ty-article/0000017f-f12d-d497-a1ff-f3ad10df0000

قراراتها واقعا فإنها أمكنت قوات الاحتلال الغاصب وعبر كسب الوقت من التمكين على الأرض بواحد من أشنع الأساليب عبر التاريخ، هو هدم بيوت المقدسيين، بحجج واهية، تتصدرها حجة البناء بغير ترخيص، رغم علمها اليقيني أنها لا تمنح رخص بناء إلا لواحد من عشرة من المجتمع المقدسي الذي لا ينطبق عليه شروط البناء ! لتحجيم الامتداد العمراني والديمغرافي العربي داخل المدينة، وأما دولة الصهاينة التي جعلت من اليهود حمار العبور إلى اغتصاب فلسطين، تحت شعار الدولة اليهودية والوطن القومي فقد استمرت في إصدار قوانينها لابتلاع الأراضي، وتهجير الفلسطينيين، في انتهاك لكافة ما يدعونه القرارات الدولية بشأن فلسطين حتى استيقظ العالم وهيئة الأمم خاصته على عمليات الهدم والتدمير لمنازل الفلسطينيين، وعلى سجونها وقد امتلأت بالشباب الفلسطيني الذي يرفض الاحتلال، رغم عمليات التهويد للمدينة، وسفك دماء الفلسطينيين، من خلال الحروب المتتالية على قطاع غزة، واضحت اليوم مدن الضفة وقد أعلنت دولة إسرائيل الحرب عليها مسرحاً لعمليات الاجتياح لجيش الاحتلال، بالإضافة إلى الاستيلاء على آلاف الدونمات وتدمير البيوت وحرق المزروعات وأشجار الزيتون، وعن الوضع في مدينة القدس فقد استعّر أوار الحرب عليها من دولة الصهاينة، لتفريغها من سكانها، وجعلهم اقلية حتى عام 2050، نظراً لبحوث قامت بها جهات معتمدة إسرائيلية لبيانات حول الزيادة السكانية للعرب الفلسطينيين مقابل اليهود، فوجدت أنه العام الذي سيتم به السيطرة على بلدية القدس برئيس بلدية عربي بعد أن تصبح القدس مدينة ثنائية القومية، وليست يهودية⁽¹⁾، نظراً لأن العرب سيشكلون 50% من عدد السكان إذا لم تُرسم خطط للسيطرة على الجغرافية فيها لمنع تزايد أعداد الفلسطينيين بها وجعلهم من خلال بناء المستوطنات في القدس وحولها مجرد بؤر سكانية لا سبيل للتواصل بينها، لا جغرافياً، ولا اجتماعياً، ومن ثم إخفاق اقتصادي، ونهب للأراضي في القدس وحولها، وسحب هويات الإقامة فيها، ما يشكل تهجير قسري لسكانها، وبمنع البناء وتدمير المنازل سيكون التهجير قسراً، بعد أن يخسر الفلسطيني بيته بعد تدميره في القدس، مما يضطره إلى الهجرة خارج حدود البلدية إلى المناطق والمدن الفلسطينية، فتراخيص البناء للعرب شبه مستحيل إصدارها كما أسلفنا، والمساحة المتاحة للبناء في القدس الشرقية لا تتجاوز 13%، كمان أن الثمن المدفوع لاستصدار رخصة بناء باهظ جداً، مما دفع فلسطيني القدس إلى البناء بدون تراخيص، ومواجهة خطر الهدم والتدمير، مع دفع الغرامات الباهظة جداً حتى بعد هدم المنزل، ولهذا فإن حوالي

(1) انظر: القدس تحديات ومخاطر، ص13 الأمانة العامة لمجلس الوزراء، دائرة البرنامج الحكومي .

ثلث منازل الفلسطينيين في القدس المحتلة بدون تراخيص بناء، وتشمل التجمعات السكانية الأكثر تعرضاً لخطر التدمير مناطق كفر عقب، ومخيم شعفاط، ومناطق في عناتا، ومناطق في الولجة، ومنطقة رأس شحادة، وضاحية السلام، وقرية قلندية، ومناطق من حزما، والشياح، وبير عون، ويروبو عدد الفلسطينيين الذين يسكنون في مناطق مهددة بالهدم على 16000 ألف بغض النظر عن حملة الهوية المقدسية أو هوية الضفة الغربية.⁽¹⁾

وعليه بات من المناسب إدراج ومضات سريعة لمجموعة القوانين الإسرائيلية التي سُنّت لخنق القدس والمقدسيين استكمالاً لمسيرة تهويدها:⁽²⁾

■ أقرت بنود اتفاقية جنيف بتاريخ 12/12/1949 في المادة 47 بأن القدس الشرقية جزء لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية التي احتلتها إسرائيل عام 1967، وأكدت هذا محكمة العدل الدولية في 2004 التي طالبت إسرائيل بتطبيق موثيق جنيف على الأراضي الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس الشرقية، ومجلس الأمن أيضاً قد أكد هذا في ثمانية عشر قراراً من قراراته، ولكن إسرائيل لم تعترف مطلقاً بتطبيق مبادئ جنيف في الأراضي عام 1967، وعليه فإن القدس المشمولة باتفاقية جنيف بصفتها أرض محتلة أضحت منذ ذلك الحين رهينة القوانين الإسرائيلية التي تسري عليها مع ما قُضِمَ من أراضي الضفة الغربية، وقد أكدت الباحثة فيما سبق عدمية جميع القرارات الدولية الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها الدولية، بسبب انتفاء فاعليتها على الأرض، وكونها مجرد طعم غربي صهيوني الهوى للاستمرار في كسب المزيد من الوقت، وأما أبرز القوانين التي أقرتها حكومات الاحتلال السارية نحو تهويد القدس فهي :-

■ قانون ضم القدس: والصادر عن برلمان الاحتلال أو ما يسمى بالكنيست في 27/6/2000 في فقرة إضافية إلى قانون صدر عنها عام 1948م المسمى (قانون الإدارة والنظام) منحت تلك الفقرة للحكومة حق ضم القدس الشرقية أو ما بقي من القدس المحتلة عام 1948 أو على وجه الخصوص

(1) انظر: مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية الأرض الفلسطينية المحتلة، أعداد كبيرة من المباني التي تم هدمها: تهديدات بالهدم متواصلة لسكان القدس الشرقية الفلسطينيين، 2018/1/15.

(2) موقع الكنيست/ تشريعات وقوانين

<https://main.knesset.gov.il/ar/activity/pages/basiclaws.aspx>

بما يعرف بمنطقة تنظيم أمانة القدس تحت الحكم العربي الاردني ضمن المساحة الواقعة بين المطار، أي مطار قلندية وقرى الطور، والعيساوية، والرام، وعناتا شرقاً، ويسكنها في ذلك الوقت ما مقداره مائة ألف من الفلسطينيين، فُرضت عليهم القوانين الإسرائيلية بعد أن استبدلتها بقوانين الإدارة الأردنية، لم يحدث رد فعل جديد عن هيئة الأمم المتحدة سوى إصدارها قرارين في 1967/7/4 و1967/7/14 اعتبرت فيهما الإجراءات الإسرائيلية باطلة وطالبتها بالتراجع وإلغاء أي قرار يغير من الوضع الراهن للقدس، ولكن سلطات الاحتلال الصهيوني التي اعتمدت قاعدة من (أمن العقاب أساء الأدب) استمرت في دائرة تهويدها للقدس غير آبهة بقوانين هيئة الأمم ولا بمنظماتها الدولية، لتعلن في عام 1980 من خلال برلمانها قانون يُلغي عروبة القدس، بإعلانها عاصمة إسرائيل الموحدة والأبدية، ليُرد عليها مجلس الأمن بالقرار الصادر رقم 478 في 20/آب من العام نفسه مؤكداً عدم اعترافه بقرار إسرائيل وأهدافه الرامية إلى تغيير الوضع القائم في القدس ومسح هويتها وملامحها العربية الإسلامية.⁽¹⁾

إذن فالدولة المحتلة عازمة ومستمرة في سياسة تهويد القدس فبالإضافة إلى قانون الضم:-

▪ هناك قانون أساس "القدس عاصمة إسرائيل بتاريخ 1980" والقاضي بأن القدس الكاملة والموحدة هي عاصمة إسرائيل.⁽²⁾

▪ ثم في عام 2000 تم تعديل قانون أساس القدس عاصمة إسرائيل: بحيث يمنح الشرعية والحماية الدستورية لقرار نفاذ القانون والحكم والإدارة الإسرائيليين على القدس الشرقية. عدالة ص 13-14

▪ قانون تسويات قضائية وإدارية عام 1970. بهدف الاستيلاء على مئات الدونمات في مدينة القدس.⁽³⁾

▪ قانون الدخول إلى إسرائيل عام 1952: وما تلاه من أنظمة صادرة بموجبه عام 1974.

▪ قانون لم الشمل وهو قانون المواطنة والدخول إلى إسرائيل: والذي يستثني القدس من المدن الفلسطينية على اعتبار أنها أرض ذات سيادة إسرائيلية.

⁽¹⁾ عدالة /القدس الشرقية تسخير سياسات وقوانين الأرض والتخطيط لتغيير طابع الحيز الفلسطيني في القدس / حنين

نعامنة وسهاد بشارة /2009/مركز عدالة ص 11-13.

⁽²⁾ يوم القدس موقع الكنيست/ <https://main.knesset.gov.il/AR/About/Lexicon/Pages/jer.aspx>

⁽³⁾ عدالة، 13

▪ قانون الأراضي (استملاك للمنفعة العامة) 1943: قانون انتدابي بريطاني وشكل آلية شرعت بوساطتها إسرائيل مصادرة أراضي الفلسطينيين لصالح المشروع الصهيوني في فلسطين، قامت إسرائيل من خلاله وبشكل موسع بمصادرة أراضي آلاف الدونمات في القدس الشرقية وضواحيها من الملكية للفلسطينيين بهدف توسيع رقعة القدس وترسيخ الإحتلال والاستيطان اليهودي في المدينة المقدسة.⁽¹⁾

▪ قانون أملاك الغائبين 1950: ويشمل الأراضي والأملاك في القدس الشرقية التي أُعلن عن أصحابها بالغائبين وغالبيتها تتبع لمقدسيين في المدن الفلسطينية .

▪ تصديق الحكومة الإسرائيلية عام 2002 على قرار إقامة الجدار: الذي بُني على أراضي الفلسطينيين في المدن الفلسطينية والقدس الشرقية استكمالاً للمشروع الاستيطاني ولمنع إقامة دولة فلسطينية ولعرقلة أية تسويات السياسية.

▪ المخطط الهيكلي " القدس 2000": ويُسجّر هذا المخطط الذي تبنته الحكومة أدواته التخطيطية لأجل تحقيق الأهداف السياسية الاستيطانية في مدينة القدس حتى عام 2030، بغية الوصول إلى ما سمّاه "التقرير رقم 4" تحقيق " توازن ديمغرافي بناء على قرارات الحكومة " بمعدل 70% يهود و30% عرب في مدينة القدس.

▪ وقانون المحافظة على الأماكن المقدسة.

▪ وقانون " أمر أنظمة الحكم والقضاء " (رقم 1) صدر بتاريخ 28/ حزيران /1967.

▪ إضافة إلى قانون " استرجاع اليهود لعقاراتهم في البلدة القديمة".

▪ وقانون " تطبيق الاتفاق بشأن قطاع غزة ومنطقة أريحا " والذي يمنع السلطة الفلسطينية من فتح أي مكتب أو مرجعية سياسية أو ممثلية لها في القدس أو القيام بأي نشاط باعتبارها أرضاً إسرائيلية، والحقيقة ليس للمرء إلا أن يقف مشدوها أمام رضوخ السلطة الفلسطينية وقبولها هذا القانون مع علمها بالآلية الموضوعة لمنظمات هيئة الأمم التي لا تعترف بسيادة إسرائيل على القدس، ولو كان اعترافاً إسمياً بدون أدنى فعل حاسم منها لردعها.

(1) عدالة، 19-22

▪ وقانون آخر هو قانون " الإشراف على المدارس "، بهدف غرس أسس تهويد المدينة عبر الأجيال الفلسطينية، كما تخطط له دولة الصهاينة⁽¹⁾.

وبعد تلك المسيرة الإسرائيلية لقوانين تكرر تهويد القدس تستتبط الباحثة مدى هشاشة قرارات هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها الدولية، التي لم تعترف بها الدولة الغاصبة فأمعنت في الانتهاكات لحقوق الفلسطينيين، مما أوصلها إلى المرحلة التي سيطرت من خلالها على كامل فلسطين غير آبهة بأي من قرارات تلك المنظمة التي كانت حسب رؤيتنا مجرد غطاء، هي وما تصدره من قرارات لاغتصاب الصهاينة لفلسطين منذ البداية في 1948.⁽²⁾

⁽¹⁾ <https://www.palestine-studies.org/ar/node/1654030> / عيد الغني سلامة / 2023/7/6

⁽²⁾ قانون أساس إسرائيل دولة قومية للشعب اليهودي والقدس كاملة وموحدة هي عاصمة دولة إسرائيل. موقع الكنيست
قوانين أساس الكنيست

<https://main.knesset.gov.il/ar/activity/pages/basiclaws.aspx>

الخاتمة :

في ختام هذه الدراسة يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة كما يأتي:

النتائج:

1- فساد عقيدة أرض الميعاد وعقيدة الماشيِّح أو المسيا المنتظر لدى اليهود وعقيدة المسيح المنتظر لدى المسيحية الصهيونية كنتيجة علمية لوقوع التحريف في الكتاب المقدس، إذ أسهمت نتائج الأركيولوجيا الحديثة، وما تمَّ من كشوفات أدبية وكتابية وعينية من الحضارات القديمة، كالكنعانية والآشورية، والبابلية، والمصرية، عن زيف نبوءات التوراة عن أرض الميعاد، والشعب المختار، والمسيح المنتظر.

2- ثبات بطلان الكتاب المقدس بعهديه التوراة وما يُسمى الأسفار المقدسة التاريخية، والأنجيل تاريخياً، عزز من التوجه الذي قال به القرآن العظيم أنّ أصحاب هذه الكتب ليسوا هم أتباع موسى عليه السلام، ولا عيسى عليه السلام.

3- استغلَّ التراث العقدي لما يسمى الديانة اليهودية لتحقيق أهداف المسيحية الصهيونية التي هي في الواقع حركة استعمارية إحلاليه استيطانية استغلت التراث العقدي لليهود، وفكرة العودة إلى صهيون، على أساس أنها هدف قديم للمتدينين اليهود، وبوجه علماني إحلالي كولونيالي لتحقيق رغبة دفينة هي قيام دولة إسرائيل في فلسطين لتشكل خنجراً في جسد المشرق العربي الإسلامي.

4- وُلدت الصهيونية الأولى من رحم البروتستانتية التي استقت عقائدها من الكتاب المقدس منذ القرن السادس عشر في الغرب الأوروبي، واعتنق الفكر الصهيوني الفرنسي نابليون بونابرت، وسيلة لتحقيق أهدافه التوسعية العسكرية، وللتخلص من اليهود داخل فرنسا، واعداً إياهم تحقيق حلم العودة إلى فلسطين، وقد برز هذا المفهوم إلى السطح مصطلحاً استعمارياً غربياً بعد الثورة الصناعية، وصعود الرأسمالية الاستعمارية في الغرب الأوروبي، وتبلور إلى حين استعمار بريطانيا لفلسطين، ليثمر إقامة دولة الكيان الصهيوني، واغتصاب فلسطين.

5- تنامت جذور الفكر الاستعماري في بريطانيا لاغتصاب فلسطين منذ عام 1649م من خلال السياسي البريطاني أوليفر كرومويل الذي كان يشغل منصب رئيس المحفل البيوريتاني التطهيري، فهو أول من صدع بفكرة عودة اليهود إلى فلسطين، باعتبارها وطنهم وفق رؤى لاهوتية.

6- فتحت بريطانيا أبواب الهجرة لليهود نحو فلسطين قبل ثلاثة قرون من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول بزعامة هرتزل 1897، إذ حصرت بريطانيا تاريخ فلسطين قبل ظهور المسيحية باليهود فقط، عازفة عن الكنعانيين واليبوسيين وحضاراتهم الموجودة حتى قبل ظهور اليهود تاريخياً، وبذلك جسدت بريطانيا نبوءات العهد القديم واقعاً في فلسطين، ابتداء من رحلة استعمارها لها في العام 1917، ومروراً بصدور وعد بلفور، حتى غاية تحقيقه بإعلان الوطن القومي الصهيوني على أرض فلسطين.

7- الولايات المتحدة الأمريكية عبارة عن نظام استيطاني إحلالي استعماري، أسسه البيوريتان البروتستانت المنشقين عن الكنيسة الأنغليكانية في بريطانيا عبر حملات الإبادة الجماعية وبأشع الوسائل للسكان الأصليين، وهم قبائل الأزتك والإنكا والمايا تحت بند نشر الإيمان المسيحي المتهود بين الهنود .

8- وسيراً على خطى اليهود الذين يعتقدون أنهم بنو إسرائيل ورسل الله وشعبه المختار، ورؤى العهد القديم، أسس البروتستانت المتهودون بذور الصهيونية المسيحية في ما سُمي بعد ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، التي سعت إلى "تحرير الأراضي المقدسة" في فلسطين من المسلمين، لإقامة دولة الكيان

10- وبذا تصاعدت وتيرة أهمية استيلاء المسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية على فلسطين منذ العام 1642، وحتى مصادقة الرئيس ولسون على وعد بلفور عام 1918، وإعلانه تأييده قيام "دولة يهودية" في فلسطين والاستيلاء على القدس من المسلمين والعرب.

11- انصب اهتمام دولة إسرائيل بعد قيامها نحو السيطرة على كامل القدس وتهويدها، وبذا انتقلت معركة إسرائيل السياسية والعقدية إلى عمق البلدة القديمة في المدينة وما حولها، أدواتها في ذلك: الاستيلاء على الحيز الجغرافي، وتهجير المقدسيين، وتطبيق رؤى عقديّة توراتية على الأرض بعد السيطرة عليها.

12 - اختلاق سلطة الآثار في دولة الكيان ما سُمي بمنطقة (الحوض التاريخي) لتسهيل السيطرة على الأراضي فيها وتفريغها من أصحابها الشرعيين وهم المقدسيون والتي تشمل حي الشيخ جراح،

الصوانة، وادي الجوز، سلوان، قسم من حي الطور، وقسم من حي الثوري، إضافة إلى ما تطلق عليه من أحياء القسم الغربي من القدس مثل: رحافيا، الحي الألماني، الطالبية، وحي مئة شعاريم.

13- اعتبار سلطة الآثار الإسرائيلية المسجد الأقصى بجميع مساحاته فوق الأرض وتحتها ضمن خطة الاستيطان في البلدة القديمة التي أُقرت عام 2000 وهو ما يوضح لنا الأسباب الأساسية لعملية تهويد المنطقة داخل الأسوار من خلال ما تقدم ذكره عن الاستيلاء على البيوت والعقارات، وأراضي ضمن الحوض التاريخي أيضاً، لخلق واقع استيطاني يحيط بالمسجد الأقصى داخل الأسوار وخارجها.

14- وتساوفاً مع سياسة التهويد في مدينة القدس، فإن عملية اغتيال الثقافة العربية بمجملها وبمضامينها العقدية واللغوية والقيمية لا تزال تجري على قدم وساق بمساهمة مختلف المؤسسات الصهيونية ذات العلاقة لأجل أسرلة الأجيال ومحو الهوية العربية الفلسطينية من ضمائرها وعقولها.

15- وأخيراً فإن قضية فساد اليهود وعقائدهم أمر قد حسم به القرآن العظيم في العديد من نصوصه، بل وأول إشارات هذا الفساد أنهم نسبوا أنفسهم إلى نبي الله يعقوب (إسرائيل) رغم أنهم صهاينة فعليين، وعَلَوْ في ذلك علواً شديداً، وقد خاطبهم القرآن العظيم بناءً على تسميتهم تلك، وهذا الواقع الذي نعيشه يثبت ما ورد في النصوص القرآنية، وغزة هي الحاضر الإجرامي البين الذي تتغنى بها دول الغرب التي تدين لنفسها بالمسيحية المتصهينة وهي التي تمد ذلك الكيان الغاصب بجميع أسباب قوته.

التوصيات :

- دعوة الجهات المختصة العلمية والأكاديمية والبحثية على المستويات كافة جامعات أو مراكز أبحاث أو ندوات علمية أو مؤتمرات دينية عربية وإسلامية عدم الاعتماد بالكلية على مصادر البحث والدراسات والمؤلفات الغربية فيما يخص فلسطين " والأرض المقدسة " مدينة القدس، ظنا منها أنها أكثر موثوقية تاريخية وأشدّ مصداقية، نظراً لاعتماد تلك الأبحاث على الكتاب المقدس وخاصة العهد القديم مرجعية بحثية لاهوتية، جعلت منه ومن نبوءاته أحداثاً تاريخية مسلماً بها، بسبب أنها نص توراتي، هذا الاعتقاد يجب أن يزول من فكر البحاثة المسلمين والعرب وممن يريد التصدي لدحر الفكر المسيحي المتصهين وواقعه عن مدينة الإسراء والمعراج وفلسطين.
- العمل على اختيار لجان مختصة من مختلف شرائح المجتمع المقدسي والفلسطيني من الكوادر العلمية في الجامعات الفلسطينية ومن البحاثة في مختلف المعاهد البحثية ومن الأوساط الشعبية أيضاً وتكليفها بوضع برامج توعية مكثفة مهمتها ربط الأجيال الصاعدة بعقيدها التي تبلور لها هويتها العربية الإسلامية وربط ذلك بأهمية مدينة القدس وفلسطين كونها محطة الصراع الذي لا نهاية له، وذلك من خلال جميع أوجه الأطر العلمية كانت كالمدراس والجامعات أو اجتماعية كالنوادي الرياضية والحواضن الشعبية بمجملها وغيرها في القدس ومحيطها وفي المدن الفلسطينية وقراها لتشمل تلك البرامج جميع الفئات العمرية والاجتماعية بشكل موسع.
- البدء الفوري في عملية رصد للمناهج التربوية في المدارس والجامعات الفلسطينية بواسطة مختصين تربويين مؤهلين ومؤتمنين، خاصة المدارس التي لا تخضع لوزارة المعارف أو بلدية الاحتلال في مدينة القدس، على أن يكون هذا الرصد من خلال تغيير ما يلزم تغييره مما يسبب للطالب الانسلاخ عن عقيدته وهويته العربية المقدسية بشكل خاص، والفلسطينية بشكل عام، ليتم تنشئة الأجيال الصاعدة على عدم الاتكال على أي من منظومة الوعود والدول المانحة التي تفرض رؤياها وثقافتها عبر تلك المنح والإصرار على الاعتماد على النفس وخلق الفرص والإبداع للتغيير القادم وبما يتوفر له من المحيط.

• كما وتوصي الباحثة بالتركيز على أهمية ترجمة وطباعة ونشر المصادر والمؤلفات الغربية لعلماء آثار وباحثين غربيين وإسرائيليين التي تقضح زيف ادعاءات اليهودية الصهيونية والمسيحية الصهيونية ومن أمثال هؤلاء: كيث وايتلام وتوماس طومسون وإيلان بابيه وإسرائيل فلنكشتاين ونيل سلبرمان وغيرهم ممن أسفرت نتائج أبحاثهم الكشف عن تغول الفكر الصهيوني على العقل الغربي.

• البدء بالعمل وفق آلية تنظيمية تشمل أعلى الهيئات الإسلامية وأعلامها من أصحاب الرتب الشرعية والفقهاء والقضاء للدعوة الى رفض الاستمرار في ما يسمى محادثات السلام وما انتجت من اتفاقيات لم تتم أساسا لإقناع حكومات العالم الإسلامي بما يتهدد المسجد الأقصى ومدينة القدس من خطر تهويد وأسرلة حقيقيين، ماضية دولة الاحتلال في تنفيذها على الأرض وبخطى لا تخلو من فرض واقع مغاير تماما لقدسيتها وعروبة المدينة.

• وأهم ما توصي به الباحثة على الصعيد الخارجي هو الإعلان عن التحلل من كافة الأنظمة وما يسمى القوانين الدولية الصادرة عن ما يدعى منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن بسبب عدم ارتقاءها للمسؤولية الملقاة على عاتقها في عدم إلزامها دولة الاحتلال للنقيد بتلك القوانين مما يتماهى مع ما تقرضه إسرائيل من واقع تهويد على القدس وفلسطين عامة بهدف تمرير " الدولة القومية " للشعب اليهودي دون تحرك فعلي منها للحد من هذا رغم علمها يقينا ان دولة الصهاينة هي دولة إحلالية تسعى لإفراغ فلسطين من أهلها قتلا وتهجيرا وبخاصة بعد إعلانها عن مدينة القدس عاصمة للدولة اليهودية.

فهرس الآيات

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	الآية
113	53	البقرة	وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب
120	53	البقرة	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
132	68	البقرة	ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون
140	68	البقرة	أم تقولون أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل ءانتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون
159	27	البقرة	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنَاهِ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾
285	52	البقرة	آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وكتبه ورسله لا تفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
3	36	آل عمران	نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس
17	43	آل عمران	لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم
48	29	آل عمران	وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّورَ وَالْإِنجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ
59	30	آل عمران	إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ
64	29	آل عمران	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ
71	28	آل عمران	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
134	55	ال عمران	يا اهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون
46	60	النساء	من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
17	17	المائدة	لقد كفر الذين قالو ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله

			شيئا إن أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض
56	18	المائدة	وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه
35	44	المائدة	إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوني ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون
27	73	المائدة	كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ۖ تِلْكَ تِلْكَ تِلْكَ ۗ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ۗ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
35	84	يونس	وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين
8	31	التوبة	اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
15	6	الصف	قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين
1	14	الصف	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ۗ فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ۗ فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ
18	27	الحديد	ثُمَّ فَقَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بُرْسُلَنَا وَفَقَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۗ وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسْفُونَ

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الانجيل

- التوراة

أولاً: القوانين

اتفاقية جنيف

ثانياً: المصادر والمراجع العربية

- إبراهيم، خليل أحمد(د.ت). محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، دار المنار للنشر والتوزيع.
- إبراهيم، معاوية(د.ت). فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد، مكتبة فلسطين للكتب المصورة.
- ابن البطريق، أفثيشيوس سعيد(1905). التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت.
- ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد(1999). الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ط2 تحقيق علي بن حسن، دار العاصمة الرياض المملكة العربية السعودية.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم(1992). تحقيق القول في مسألة عيسى ابن الله والقرآن كلام الله ط1، دار الصحابة للتراث والنشر طنطا.
- ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد(1989). قواعد الأديان، ط1، دراسة وتحقيق: إبراهيم محمد الجمل.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد(1347هـ). الفصل في الملل والأهواء والنحل، صححه وذيله بهوامشه المفيدة عبد الرحمن خليفة مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ميدان الأزهر مصر.
- ابن حنبل، ابو عبد الله أحمد بن محمد(1995م). مسند الامام احمد بن حنبل، تحقيق: احمد شاکر، دار الحديث، القاهرة.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(2004)، مقدمة ابن خلدون، ط1، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق.
- ابن قيم الجوزية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر(1429هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى تحقيق عثمان جمعة ضميرية، ط1، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع مكة المكرمة.
- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل(د.ت). تفسير القرآن العظيم
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(1414هـ)، لسان العرب، دار صادر بيروت.
- أبو شهبه، محمد بن محمد(1408هـ)، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ،ط4، موسوعة ستانفورد للفلسفة، بيتر ماكر جاليليو جاليليلي ترجمة محمد صديق أمون
- أبو عامر، عدنان عبد الرحمن(2011)، مستقبل القدس في ظل التهويد، تقرير ارتيادي، مجلد1، عدد8
- الإدريسي، محمد بن محمد(2002). نزهة المشتاق ص358 م1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة
- الاسعد، محمد(2015). المخيلة الاستعمارية تقتلع مدينة من ماضيها وحاضرها القدس العربية نموذجاً، مجلة المستقبل العربي، مجلد 8 العدد 442، مركز دراسات الوحدة العربية /ديسمبر
- أشقر أحمد(2018). التهجير والإبادة الفقه اليهودي المعاصر تجاه العرب، ط1 بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- الأصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي(1937م). مسالك الممالك، مطبعة بريل ليدن
- الأصفهاني، الراغب(2009) مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي 1430هـ-2009م، دار القلم، دمشق.
- بابيه، إيلان(2007) التطهير العرقي في فلسطين ترجمة أحمد خليفة، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.
- البرسوي، محمد(2006). أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، ط1، دار الغرب الإسلامي.
- برير، مايكل(2004). الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني أمريكا اللاتينية جنوب أفريقيا فلسطين، ط2، ترجمة أحمد الجمل وزياد منى قدس، دمشق.

- البغوي، أبو محمد الحسين (د.ت). معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط4، تحقيق : محمد عبد الله نمر عثمان جمعة ضميرية دار طيبة للنشر بيروت.
- بن كربون يوسيفوس (1872م)، تاريخ يوسيفوس اليهودي، طبع على نفقة الخوارجات سليم نقولا مدور وابراهيم سركيس، بيروت.
- بهنسي، عفيف (2009). تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار، الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق.
- بوكاي موريس (1990) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ط3، ترجمة: حسن خالد المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.
- بيتر ماكر جاليليو جاليللي ترجمة محمد صديق أمون.
- تشارلز، روبرت (2010). موسوعة الأديان الحية، أديان النبوات، الأديان السماوية ط1، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- تطوير متروبولين (2019) القدس تحت السيطرة الاسرائيلية مهمة قومية وجودية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية مدار، العدد 437.
- التفكجي، خليل (1995م). تهويد القدس حقائق وأرقام مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 22/ مجلد 6 / 1995 مؤسسة الدراسات الفلسطينية
- التكريتي هاشم صالح (2013). مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث من النشأة إلى الاستقلال، ط1، دار الجواهري للطباعة والنشر، بغداد.
- التهانوي (1996). كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ط1، مكتبة لبنان، 1996م
- عمرو، نعمان عاطف سالم (2016) تهويد مدينة القدس 1967-2016 خطوات حثيثة نحو الأسرة مجلة العلوم والدراسات الإنسانية محكمة جامعة بني غازي، المؤلف، العدد 24، 2016.
- توخمان، بربارا (2004). الكتاب المقدس والسياف انجلترا وفلسطين من العصر البرونزي إلى بلفور، ط1، تحقيق: منى عثمان مكتبة الشروق الدولية القاهرة 1424هـ.
- تورودوف، ترفيتان (1992). فتح أمريكا مسألة الآخر تقديم واستقراء ط1 ترجمة بشير السباعي سينا للنشر، القاهرة.

- بودليان, اكسفورد(1994). الجدل اليهودي في ضوء الجينيزا القاهرية مخطوطة ، دار الزهراء للنشر ، 1994م -1415هـ.
- جريس، صيري(2015). تاريخ الصهيونية 1862-1948، ط2، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية رام الله فلسطين 2015.
- الجعبة، نظمي(د.ت). الحفريات الأثرية في القدس منذ العام 1967 من مصنع الرواية التوراتية إلى مصنع الاستيطان، مجلة قضايا إسرائيلية عدد73
- جينفر، شارل(د.ت). المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود المكتبة العصرية (بدون تاريخ) بيروت
- الحاكم النيسابوري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله(د.ت). المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- حتاتة هشام(2018). أساطير التوراة وأسطورة الأناجيل، ط1، رؤية للنشر والتوزيع 2018 القاهرة.
- الحداد، يوسف درة(د.ت) مصادر الوحي الإنجيلي فلسفة المسيحية الرسائل الكلامية والصوفية والراعية منشورات المكتبة البوليسية، بيروت لبنان.
- حرب، إميل الخوري(1947). مؤامرة اليهود على المسيحية الفصل الثاني ص35-36 دار العلم للملايين مطبعة الكشاف بيروت لبنان.
- حسن، حميد(2017). القدس والسلطنة العثمانية، مجلة الفكر السياسي عدد 64، اتحاد الكتاب العرب
- الحموي، الرومي البغدادي، ياقوت بن عبد الله شهاب(2001). معجم البلدان، دار صادر للنشر، بيروت.
- الحنبلي، مجير الدين(2001). الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل، دار دنديس للنشر والتوزيع.
- الحوالي سفر بن عبد الرحمن المعجم الوجيز
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح(1998م). القصص القرآني، ط1، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت.
- الخطيب، حنيفة(1995). العبريون لغة وتاريخ، ط1، المطبعة العصرية، صيدا، لبنان

- الخلف، سعود بن عبد العزيز (2004). دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط4، مكتبة أضواء السلف الرياض المملكة العربية السعودية.
- خليفة، حسن محمد (1981)، الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث اليهودي، ط1، دار المعارف، القاهرة.
- خوري، جريس سعد (1989). انتفاضة السماء والأرض، مطبعة وأوفست الحكيم، الناصرة
- الخولي، أمين (1935م). صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993م، بحث مقدم الى مؤتمر تاريخ الأديان الدولي السادس المنعقد في مدينة بروكسل بين 16-20 سبتمبر 1935
- دائرة المعارف البريطانية
- الدباغ، مصطفى (1991). بلادنا فلسطين، دار الهدى، كفر قرع، 1991م.
- الدسوقي، مصطفى (2004). جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر "عرض ونقد"، رسالة دكتوراة جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة 1424هـ-2004م
- ديورانت ول (د.ت) قصة الحضارة قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، ق.م-30م. ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله (1986). مناظرة في الرد على النصارى تقديم: عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان.
- راشد، سيد فرج (1986م). القدس عربية إسلامية، دار المريخ للنشر المملكة العربية السعودية الرياض.
- رضا، أحمد (1960م). معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960م.
- الرئيس، ناهض منير (2009). القدس بين زيف القانون الإسرائيلي وعجز القانون الدولي، الناشر: اللجنة الوطنية العليا للقدس عاصمة الثقافة 2009.
- زقزوق، محمود حمدي (1424هـ). الموسوعة الإسلامية العامة، وزارة الاوقاف المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، الكويت

- زكار، سهيل(1995م). الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، 1416هـ-1995م.
- زكي، أحمد(1995). انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- زن، هوارد(2005). التاريخ الشعبي للولايات الأمريكية المتحدة من 1492م، ط1 ترجمة شعبان مكاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- الزين، محمد بسام(1995م)، المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، ط1 1416-1995، دار الفكر المعاصر، سوريا، دمشق.
- الزين، محمد فاروق(2002). المسيحية والإسلام والاستشراق، ط2، دار الفكر المعاصر 1422هـ - 2002م دمشق سوريا.
- سالم، وليد(د.ت). القدس بين التفاوض الممكن والتسوية المستحيلة معهد جامعة القدس للدراسات والأبحاث
- سالم، وليد(2021). حكومة المستوطنين: المتروبولين وضم المنطقة، مركز الناطور للأبحاث والدراسات 2021/6/19.
- الساموك سعدون محمود(2002). موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع عمان الأردن.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(2003). التفسير الميسر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان
- السعدي، عبد الكريم بن ناصر(2002). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، الرسالة للطباعة والنشر 1423هـ-2002م بيروت لبنان
- السماك، محمد(1991). الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي، ط1، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا.
- السماك، محمد(1993). الصهيونية المسيحية ص35 ط2 دار النفائس، بيروت، لبنان
- سنيوبوس، شارل(2012). تاريخ حضارات العالم، ط1، الدار العالمية لكتب والنشر.
- سوسة، أحمد(د.ت). العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الاثرية، ط2، العربي للإعلان والنشر.

- سويد، ياسين(1997م). حروب القدس في التاريخ العربي والإسلامي، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت.
- السيد، علي(1986). علي القدس في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة.
- شاحاك(1997). إسرائيل الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام ص70 ط4، ترجمة : رضي سلمان شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان
- شارترى، فوشيه(2014). تاريخ الحملة الصليبية إلى القدس 1127-1095، ترجمة : زياد العسلي دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن
- شارل، جينبر(د.ت). المسيحية نشأتها وتطورها، تحقيق: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية صيدا بيروت
- شاكر، عمر، هيومن رايتس ووتش(2021). من القدس الى غزة السلطات الإسرائيلية تؤكد هيمنتها مجددا.
- شالي، فيلسيان(1994). موجز تاريخ الأديان، ط2، ترجمة: حافظ الجمالي دار طلاس للترجمة والنشر دمشق 1994م.
- الشب، محمد أمير(2018). القدس في مفاوضات الحل النهائي من الانتداب البريطاني إلى قرار إدارة الرئيس ترمب نقل السفارة الأمريكية وتداعياته الناشر: مركز جيل البحث العلمي مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية العدد21/2018.
- الشريف، ريجينا(1985م). الصهيونية الغير يهودية جذورها في التاريخ الغربي ص 25-26 عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت.
- شعبان، فؤاد(2003). من اجل صهيون التراث اليهودي -المسيحي في الثقافة الأمريكية، دار الفكر للنشر، عمان.
- شلبي، أحمد(1988). اليهودية سلسلة مقارنة أديان، ط8، مكتبة النهضة المصرية 1988م القاهرة
- شلبي، متولي يوسف(1969م). أضواء على المسيحية، الدار الكويتية للطباعة والنشر.
- شوفاني، إلياس(1996م). الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى عام 1949م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

- شيفر، بيتر (2007). المسيح في التلمود المسيحية المبكرة في التفكير اليهودي الحاخامي، ترجمة نبيل فياض إصدارات جامعة برنستون 2007، المركز الأكاديمي للأبحاث العراق_تورنتو_كندا.
- شيفر، بيتر (2016). يسوع في التلمود، إصدارات جامعة برنستون سنة 2007 المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت.
- الصديقي، يوسف محمود (2012) عقيدة الديانة المسيحية قراءة نقدية مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الثلاثون جامعة قطر 1433هـ - 2012م.
- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (2001). جامع البيان عن تفسير آي القرآن، ط1 تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي هجر للطباعة والنشر والإعلان 1422هـ-2001م القاهرة.
- طومسون، توماس (1995). التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ط1، ترجمة صالح علي سواح بيسان للنشر 1995 بيروت، لبنان.
- عاطف سالم، نعمان (2016). تهويد مدينة القدس 1967-2016 خطوات حثيثة نحو الأسرلة مجلة العلوم والدراسات الإنسانية محكمة جامعة بني غازي، العدد 24، 2016،
- سوسة، أحمد (د.ت). العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ط2 العربي للإعلان والنشر، مقدمة المؤلف.
- العلواني، رقية (2008). مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، ط1، تحرير: منى أبو الفضل وآخرون دار الفكر، دمشق.
- عمارة، محمد (2011). القدس الشريف في الدين والتاريخ والأساطير، دار السلام للطباعة والنشر بدون اسم البلد.
- عمر، أحمد مختار (2002). المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن وقرآته، ط1، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض
- غودمان، مارتن وآخرون إبراهيم (2017). في السرديات اليهودية والمسيحية والإسلامية قراءة حفرية في القرابة بين الأديان الإبراهيمية، ط1، ترجمة: نبيل فياض المركز الأكاديمي للأبحاث بيروت.
- الفرت، محمد أبو الغيط (1989). قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة، ط1، دار الطباعة المحمدية، درب الأتراك بالأزهر 1410هـ-1989م،

- فنكلشتاين، إسرائيل، سيلبرمان، نيل اش، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار ص23 ترجمة : سعد رستم صفحات للدراسات والنشر، بدون تاريخ.
- قاسم، عبده قاسم(1990)، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت.
- القاسمي، محمد جمال الدين(1957) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ط1، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي عيسى البابي الحلبي وشركاه دار إحياء الكتب العربية.
- قاموس الكتاب المقدس نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين
- قاموس الكتاب المقدس وشرح دائرة المعارف الكتابية المسيحية للعهد الجديد
- قدح، أنوار(2022). التعليم في القدس: الأداة الاستعمارية الناعمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية 2022/10/12.
- القدس تهديدات ومخاطر الأمانة العامة لمجلس الوزراء(2007) اعداد دائرة البرنامج الحكومي/ الإدارة العامة لجودة الأداء الحكومي.
- القدس في مفاوضات الحل النهائي من الانتداب البريطاني الى قرار إدارة الرئيس ترمب نقل السفارة الامريكية وتدابيرته، مجلة جيل الدراسات والعلاقات الدولية، مركز جيل البحث العلمي.
- القرافي الصنهاجي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن 1407 هـ-1987 م.
- قنوهل، إسرائيل(2018) نشأة العهد القديم بين علم الآثار وعلم نقد العهد القديم ترجمة عمرو زكريا خليل، ط1، القاهرة
- كتن، هنري(1997) القدس، ط1 ترجمة: إبراهيم الراهب دار كنعان للدراسات والنشر دمشق
- كرد علي(1983) محمد، خطط الشام، ط2، نشر مكتبة النوري دمشق 1403هـ-1983م
- الكلام يوسف(2009) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقدیس الإصدار الأول، دار صفحات للدراسات والنشر دمشق سوريا
- الكلام، يوسف(2009) الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقدیس، الإصدار الأول، صفحات للدراسات والنشر دمشق سوريا.
- الكيالي، عبد الوهاب(1994) الموسوعة السياسية، القاف المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت

- لمعي، إكرام(1993) الإختراق الصهيوني للمسيحية ط2، دار الشروق 1413هـ -1993م، القاهرة
- لموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية، الانتفاضة الأولى 1987-1993 بهجة الانتفاض وأمل الحرية، روجر هيوك. القاهرة
- لوثر، مارتن(2007) 1483م-1546م اليهود وأكاذيبهم، ط1 تقديم : محمود النجيري مكتبة النافذة 2007م، الجيزة 2 شارع الشهيد أحمد حمدي
- الماجدي، خزعل تاريخ القدس القديم منذ عصور ما قبل التاريخ إلى الاحتلال الروماني ص284-286
- ماكبي، هيم، بولس(د.ت) وتحريف المسيحية، ترجمة سميرة عز الدين منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية (بدون تاريخ).
- المجالي عبد الحميد مسلم(2011). القدس احتلال وتهويد ومفاوضات في كريك مسدود، حوليات أداب عين شمس جامعة عين شمس، كلية الآداب القاهرة.
- مجلة الفسطاط العدد شهر 7 من عام 2006م عنوان المقال: حمل البرتغاليون والأسبان الروح الصليبية للعصور الوسطى.
- مجموعة مؤلفين(1999). الموسوعة العربية العالمية، ط2 مؤسسة أعمال الموسوعة فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض 1419هـ = 1999م.
- محمد عطا، زبيدة عروبة القدس من واقع وثائق الأوقاف المقدسية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- المختصر في تفسير القرآن الكريم، ط3 نشر مركز تفسير للدراسات القرآنية 1436هـ المملكة العربية السعودية الرياض.
- المسيري عبد الوهاب محمد(1999). موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، دار الشروق 1999م القاهرة
- المسيري، عبد الوهاب محمد(2003) الصهيونية والحضارة الغربية الحديثة، دار الهلال 1424 هـ - 2003م العدد 632.
- المسيري، عبد الوهاب(2006) الصهيونية وخيوط العنكبوت، ط1، دار الفكر، دمشق، 2006.

- المسيري، عبد الوهاب(2003)، الصهيونية والحضارة الغربية الحديثة، دار الهلال
- المسيري، محمد عبد الوهاب(1999) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الجماعات اليهودية تواريخ م، ط1، دار الشروق القاهرة
- مصالحة، نور(2020)، فلسطين أربعة آلاف عام من التاريخ، المقدمة
- معلومات استراتيجية عن السياسة الخارجية والامن لاسرائيل، مركز القدس باللغة العربية
- معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني(2020)، الرؤية الامريكية الإسرائيلية لإنهاء القضية الفلسطينية: الابعاد الاقتصادية والاثار المحتملة للتطبيق
- المغلوث سامب بن عبد الله بن أحمد(2007) أطلس الأديان ط1، العبيكان للنشر الرياض.
- مقار، شفيق(1992) المسيحية والتوراة بحث في الجذور الدينية لصراع الشرق الأوسط ص 65 ط1، 1992م، رياض الريس للكتب والنشر لندن قبرص
- المقدسي أبو سرور(د.ت) مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام (صورة عن مخطوطة غير مرقم وغير مطبوع)
- مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (2018) الأرض الفلسطينية المحتلة، أعداد كبيرة من المباني التي تم هدمها: تهديدات بالهدم متواصلة لسكان القدس الشرقية الفلسطينيين، 2018/1/15.
- مهران، محمد بيومي(1999). بنو إسرائيل التاريخ منذ عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليه السلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية(د.ت)، قرار مجلس الأمن 242(1967/22/نوفمبر) وإقرار مبادئ سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط
- ميلر، ستيفن(2008)، تاريخ الكتاب المقدس منذ عهد التكوين وحتى اليوم، ترجمة : وليم وهبة دار الثقافة، القاهرة.
- النصيبي، أبي القاسم ابن حوقل(1992). صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر بيروت 1992م.
- نوار، عبد العزيز، جمال الدين، محمود محمد(1999). تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر حتى العشرين، دار الفكر العربي، القاهرة.

- نوفل، نعمة الله (1867) في أصول العقائد والأديان، طبع في بيروت.
- النيرب، محمد محمود (1997). المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية حتى 1877م، ط1 دار الثقافة، القاهرة.
- هرتسوغ، زئيف (د.ت) التوراة لا إثبات على الأرض جريدة هأرتس باللغة العبرية عدد
- هلال، رضا (2000). المسيحية الأصولية في أمريكا المسيح اليهودي ونهاية العالم، ط1، مكتبة الشروق القاهرة.
- الهندي، رحمة الله بن خليل الكيرانوي (1989). إظهار الحق، تحقيق: د. محمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض
- هيردوت تاريخ هيرودوت ترجمة عبد الإله الملاح
- هيرمان، بارت (2009)، الاقتباس الخاطيء عن المسيح، ترجمة فادي مرعشلي شعاع للنشر والعلوم سوريا حلب
- هيمان، إيمانويل (1998). الأصولية اليهودية، ترجمة : سعد الطويل الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998م، القاهرة.
- وايتلام، كيث (1999). اختلاق إسرائيل القديمة، ت: سحر هنيدي المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت.
- يعقوب، هشام (2016)، مخططات الاحتلال لتهويد القدس، تهويد القدس والياتة المواجهة السياسية والإعلامية، أوراق بحثية ضمن ورشة العمل التي عقدت في بيروت 2016/10/26 مؤسسة القدس الدولية ط1، يناير 2017_1438 بيروت.

- الجزيرة نت / كيف احرق المسجد الأقصى عام 1969.
- <https://www.hayadan.org.il/bible-no-evidence-291099> موقع المعرفة حتى نهاية عام 2002 جزءًا من بوابة IOL من مجموعة هآرتس.
- <https://www.hrw.org/ar/news/2021/05/12/378696>
- <https://www.palquest.org/ar/highlight/29774/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D9%81%D8%A7%D8%B6%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84%D9%89%D8%8C-1987-1993>
- Human Rights Watch
- MARK , CARTWRIGHT , WORLD HISTORY ENCYCLOPEDIA الحروب الصليبية الأسباب والأهداف 4/July/2018 .
<https://www.worldhistory.org/trans/ar/2-1249>
- " The Bibel Unearthed, Israel Finkelstein & Neil Silebrman التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار، ترجمة سعد رستم صفحات للدراسات والنشر، سورية دمشق
- القدس في 2022، إسرائيل تسرع مخطط التهويد، أرنأوط، عبد الرؤوف تقرير رقم 2773393، -
- حسون، نير بين شارع الواد للآم القدس 2015، جريدة هآرتس
<https://www.haaretz.co.il/israelpeaceconvention/israel-peace-convention-arabic/2015-11-04/ty-article/0000017f-f12d-d497-a1ff-f3ad10df0000>
- الموسوعة الأمريكية الموسوعة الأمريكية (أمريكانا) : International Edition K complete in thirty volumes first published in 1829. The Encyclopedia AMERICANA
- الموسوعة اليهودية اليهودية
<https://jewishencyclopedia.com/articles/7827-holy-city#anchor2>
- موسوعة تاريخ العالم، الشبكة العنكبوتية
https://www.worldhistory.org/trans/ar/1-18916/#google_vignette
- سلب الاراضي سياسة الاستيطان الاسرائيلي في الضفة الغربية 2002 ايار، منظمة بيتسيلم
https://www.btselem.org/arabic/publications/summaries/200205_land_grab
- زكار، سهيل، القدس بين حقائق التاريخ وزيف الإسرائيليات،
<https://www.muslim-library.com/dl/books/ar1830.pdf>
- اسطفانوس، عبد المسيح، الإصلاح الإنجيلي والكتاب المقدس الانجيليون المشيخيون موقع شبكة عنكبوتية /بدون تاريخ -
<https://epc-egypt.org/index.php/reformation/122-reformation-and-the-bible>

● قضية فلسطين موقع الأمم المتحدة

● <https://www.un.org/unispal/ar/%D9%85%D9%88%D8%AC%D8%B2-%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9>

فهرس المحتويات

إقرار	أ
شكر وتقدير:	ب
الملخص	ت
المقدمة	ج
أهمية الدراسة:	ح
أسباب اختيار الموضوع:	ح
أهداف الدراسة :	ح
مشكلة الدراسة:	خ
منهج البحث:	خ
الدراسات السابقة:	د
الفصل الأول	1
النصرانية: لمحات من التاريخ والعقيدة: نصرانية عيسى كيف تحوّلت إلى مسيحية بولس تاريخًا وعقيدة.	1
تمهيد:	1
المبحث الأول: تعريف النصرانية لغةً واصطلاحاً.	3
المطلب الأول: تعريف النصرانية لغةً	3
المطلب الثاني: النصرانية اصطلاحاً:	5
المبحث الثاني: مختصر الجذور والنشأة.	9
المطلب الأول: عيسى عليه السلام المولد والحياة.	9
المسألة الأولى: ولادة ونبوة عيسى في المصادر المسيحية واليهودية.	9
المسألة الثانية: ولادة ونبوة عيسى عليه السلام في المصادر الإسلامية.	13
المطلب الثاني: النصرانية بين الاتباع والابتداع ومسيحية بولس.	17
المسألة الأولى: التعريف ببولس الرسول.	17

- المسألة الثانية : الفجوة التاريخية بين شريعة عيسى عليه السلام وتدوين مسيحية بولس أفرزت ما
سُمِّي بالحركة النقدية للتاريخ المسيحي. 23
- المسألة الثالثة: الإسلام يجزم في حقيقة عيسى وولادته ونبوته. 28
- المبحث الثالث: من أهم المرتكزات التي تقوم عليها المسيحية الكتاب المقدس بعهديه. 32
- المطلب الأول: الكتاب المقدس. 34
- المسألة الأولى: تعريف الكتاب المقدس. 34
- المسألة الثانية: العهد الجديد (الإنجيل). 38
- المطلب الثاني: العهد القديم (التوراة). 45
- المسألة الأولى: تعريف العهد القديم لغة (التوراة). 45
- المسألة الثانية: تعريف العهد القديم (التوراة) إصطلاحاً. 46
- المسألة الثالثة: المسيحية الصهيونية آخر حلقات الصراع العقدي الغربي استكمالاً للحروب الصليبية
على القدس وفلسطين. تأصيل عقدي وتاريخي للتفريق بين اليهود وبني إسرائيل والعبريين وعن حقيقة
علاقة اليهود بابراهيم ويعقوب وموسى عليهم السلام. 49
- المطلب الثالث : أوجه الفرق بين التوراة في المفهوم الإسلامي وتوراة الصهيونية المسيحية أو العهد
القديم. 59
- المسألة الأولى : أبرز مواصفات التوراة (توراة موسى) في الإسلام. 59
- المسألة الثانية: تكفير الكنيسة المسيحية لكل من يفكر في دراسة وتحليل نصوص العهد القديم (توراة
السيبي البابلي). 61
- المبحث الرابع: إسرائيل مشروع صهيو-مسيحي غربي استمدت شرعيتها من الكنيسة البروتستانتية
التي تجسد عقائد المسيحية الصهيونية. 62
- المطلب الأول: نشوء دولة الكيان وضعف أداء العالمين العربي والإسلامي. 62
- المسألة الأولى: إسرائيل دولة يهودية منذ النشأة عام 1948. 62
- المسألة الثانية: الأركيولوجيا الحديثة كشفت عدم صحة نصوص التوراة التي تُعزّز مقولة أنّ اليهود هم
أصحاب الحق الشرعي في فلسطين. 65
- المطلب الثاني : انهيار فكرة شرعية دولة إسرائيل في فلسطين. 70

المسألة الأولى: علماء لاهوت ونقاد وبخاتة وكتاب أسقطوا فرضية انتماء ما يُدعى الشعب اليهودي إلى فلسطين من خلال التعرض لنقد توراتهم (العهد القديم).....	70
المسألة الثانية: تفكيك الشيفرة للكتابة المسمارية والكتابة الهيروغليفية على الرُّقوم الحجرية والألواح الطينية في مصر والشام وبلاد ما بين النهرين أنقذت فلسطين من براثن اندثار هويتها التاريخية العربية.....	73
الفصل الثاني.....	79
الصهيونية: موجز لتجذر الصهيونية المسيحية في التاريخ الأمريكي.....	79
المبحث الأول: الصهيونية : تبلورها تاريخاً واصطلاحاً.....	82
المطلب الأول : نبذة تعريفية عن الصهيونية:.....	82
المطلب الثاني: الصهيونية إصطلاحاً.....	83
المبحث الثاني: الصهيونية المسيحية لمحة تاريخية.....	85
المطلب الأول: تمرد لوثر وتأسيسه لاتجاه عقدي مخالف داخل الكنيسة.....	85
المطلب الثاني : إنطلاق الفكر الإنجيلي اللوثيري إلى بريطانيا.....	86
المسألة الأولى: بزوغ عصر الإصلاح الديني في بريطانيا والثورة على الكنيسة الكاثوليكية وباباواتها.....	87
المسألة الثانية: البوريتانيون ونهضة التيار البروتستانتية في بريطانيا.....	89
المسألة الثالثة: الوطن القومي وتحقيق نبوءات التوراة حرفياً في فلسطين.....	92
المبحث الثالث: ما بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى وصعود أمريكا إلى الواجهة في العالم.....	99
المطلب الأول : اكتشاف أمريكا واستعمارها من قبل الإنجليز البيوريتان 1492م - 1803: لمحة تاريخية.....	99
المسألة الأولى: الاكتشاف والتسمية.....	99
المسألة الثانية: تسلط البيوريتان الإنجليز على الأراضي الجديدة واستعمارها ونشأة أمريكا، 	103
الفصل الثالث.....	109
القدس : (بيت المقدس) بين مطرقة الصراع العقدي الصهيوني المسيحي وبين الواقع الإحلالي	
الاحت الاستيطاني اليهودي ومخرجاته.....	109

المبحث الأول: القدس: مقومات حضارية: جغرافية وتاريخية ودينية وسياسية.	114
المطلب الأول: القدس بين معاجم اللغة ومقصود المصطلح.	115
المسألة الأولى: القدس لغة.	115
- المسألة الثانية : من معاني القدس في الاصطلاح.	116
المطلب الثاني: موقعها الجغرافي ومكانتها التاريخية عبر العصور.	118
المسألة الأولى: الموقع الجغرافي.	118
المسألة الثانية : (الجزور) الثوابت التاريخية لعروبة القدس عبر العصور: تأصيل تاريخي.	121
المبحث الثالث: القدس 1948-2024 تكريس للاستيطان والتغيير الديمغرافي ونهب للمقدسات وتزوير تاريخها.	141
المطلب الأول: القدس ولعنة القرارات الدولية إبان وبعد نكبة فلسطين 1948.	141
المطلب الثاني: القدس بين الاغتصاب والاستيطان فرض حقائق استيطانية وجيوسياسية على الأرض 1948-2024م.	146
المطلب الثالث: القدس بين نتائج تجميد مواد القانون الدولي إلى فشل مشاريع التسوية وخطورة صفقة القرن.	152
المسألة الأولى : التفرغ الديمغرافي :	152
المسألة الثانية: فشل جميع مشاريع التسوية فلسطينيا وعربيا.	153
المسألة الثالثة: المواقف الأمريكية السياسية الداعمة لدولة الاحتلال بشأن تهويد القدس.	153
المبحث الرابع : التأثيرات السلبية لدولة الاحتلال على مدينة القدس رغم اتفاقيات السلام والمفاوضات بين الجانبين الإسرائيلي - الفلسطيني.	155
المطلب الأول: الأطماع الصهيونية في السيطرة على المسجد الأقصى.	155
المسألة الأولى: محاولات الاحتلال المتكررة للاستيلاء على المسجد الأقصى.	155
المسألة الثانية: ما بعد المفاوضات.	156
المطلب الثاني: التعليم والعملية التربوية في مدينة القدس في ظل الاحتلال.	158
المسألة الأولى : بعثرة منظومة العملية التعليمية وصعوبة سيرها.	158
المسألة الثانية: أبرز العراقيل التي تذهب نحو أسرلة التعليم في القدس.	159

المطلب الثالث :تآكل الوضع الاقتصادي في القدس وصولا الى مرحلة انعدامه.	163
المسألة الأولى: الجدار العازل أتى على الوضع الاقتصادي بين القدس وباقي المدن الفلسطينية.	163
المسألة الثانية : ضرائب الاحتلال بما فيها ضريبة الأرنونا أنهكت الوضع الاقتصادي للمقدسيين.	164
المطلب الرابع: التأثيرات السلبية للاحتلال على الناحية الاجتماعية في المدينة المقدسة.	166
المسألة الأولى: انقطاع المقدسيين بسبب الجدار العازل عن ذويهم في المدن الفلسطينية وإحاطتهم بالبور الاستيطانية بهدف خلق واقع ديمغرافي لتهويد المدينة.	166
المسألة الثانية: سياسة هدم البيوت أو الاستيلاء عليها وطرد أهلها المقدسيين منها.	167
الخاتمة :	174
التوصيات :	177
فهرس الآيات	179
قائمة المصادر والمراجع.....	181
فهرس المحتويات	196